

بسم الله  
 فأما الطالب بتعدد جهات  
 المراجعة فلهذا - فقد تم وثقوا بالتمسك -

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

المناقش

حضر المناقشة

محمد بن رجب

عبد الرحمن بن

عبد الرحمن بن

# حمد الله تعالى دلالاته العقيدية

## وإبطال المفاهيم

## الخاطئة فيه

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (( الماجستير ))  
 إعداد الطالب

لطفائي بن خميس أبو خشيم

إشراف فضيلة الدكتور

محمد بن محمد العزيز السلمي

العام الجامعي

١٤٢٢-١٤٢٣هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

وتشتمل على

**أسباب اختيار الموضوع**

**الدراسات السابقة لهذا الموضوع**

**خطة البحث**

**نهج البحث**

## مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل به، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبعد ...

فلما كان كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع والعمل الصالح ، وهما الهدى ودين الحق ، وبتكميله لغيره في هذين الأمرين، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(٤)</sup> ، أقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه، فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما. ولذا كان حرياً بالإنسان أن ينفق ساعات عمره بل أنفاسه فيما ينال به المطالب

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧٠-٧١.

(٤) سورة العصر.

العالية، ويخلص به من الخسران المبين وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن والسنة وتفهمهما واستخراج كنوزهما، وصرف العناية إليهما، والعكوف بالهمة عليهما، فإنهما الكفيلان بمصالح العباد، في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد، فالخير كل الخير لا يقتبس إلا من مشكاهما، ولا يستثمر إلا من شجرتيهما.

وقد تابعت كلمة عامة علماء الإسلام في فواتح مؤلفاتهم، وكريم مدوناتهم لجلة من علوم الشريعة الموقرة، وفنونها المشرفة على أن شرف العلم تابع لشرف معلومه، وكرامة عرقه مؤثرة على مولوده.

وليس هناك أشرف وأجل من أن يصرف العبد وقته للبحث عن المعاني التي تتعلق بذات الله تبارك وتعالى وما يستحقه من صفات الكمال ونعوت الجلال، التي استحق عليها أكمل الحمد والثناء.

فإن حمد الله تعالى هو وصف المحمود بالكمال مع محبته والرضا عنه، والخضوع له، وتعظيمه وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها.

ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يحصيه سواه، لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه لما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لا يحصوها سواه، ولهذا ذم الله تعالى آلهة الكفار وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها. فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تتكلم ولا تهدي ولا تنفع ولا تضر، وهذه صفة إله الجهمية التي عاب بها الأصنام، نسبوها إليه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام في حاجته لأبيه: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا

يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾<sup>(١)</sup>.

فلو كان رب العالمين تبارك وتعالى بهذه الصفة والمثابة لقال له آزر، وأنت إلهك بهذه المثابة فكيف تنكر عليّ؟ ولكن مع شركه أعرف بالله من أهل البدع والضلال.

(١) سورة مريم الآية: ٤٢.

وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية، أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً ولا مدبراً، ولا رباً، بل هو مذموم، معيب ناقص، ليس له الحمد، لا في الأولى ولا في الآخرة، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التي لأجلها استحق الحمد.

والمحمود لا يحمد على العدم ألبتة، إلا إذا كانت سلب عيوب ونقائص تتضمن إثبات أضعافها من الكمالات الثبوتية، وإلا فالسلب المحض لا حمد فيه، ولا مدح ولا كمال.

ولذلك فقد حمد الله سبحانه نفسه على عدم اتخاذ الولد المتضمن لكمال صمدية وغناه وملكه، وتعبيد كل شيء له، فاتخاذ الولد ينافي ذلك، كما قال تعالى: ﴿ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحمد نفسه على عدم الشريك المتضمن تفرد بالربوبية والإلهية وتوحده في صفات الكمال التي لا يوصف بها غيره فيكون شريكاً له، فلو عدمها لكان كل موجود أكمل منه لأن الموجود أكمل من المعدوم، ولهذا لا يحمد نفسه سبحانه بعدم إلا إذا كان متضمناً لثبوت كمال.

وقد تكرر ذكر الحمد وما يحمله من معاني عظيمة في كتاب الله تعالى، وافتتح الله تبارك وتعالى به كتابه الكريم.

وتواترت السنة بجميع أنواعها في الدلالة على فضل هذا المعنى العظيم. فمن ذلك مثلاً ما جاء في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا

(١) سورة يونس الآية: ٦٨.

(٢) سورة الإسراء الآية ١١١.

الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «والحمد لله تملأ الميزان»<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من الفضائل، والأحاديث الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى.

وعلى الرغم من أن هذا المعنى - ألا وهو الحمد - قد تكرر ذكره في كتاب الله جل وعلا، وتنوعت دلالة السنة في تقرير فضله، فقد ضلت في فهم معنى الحمد فنام من الناس، وانحرفت فيه فرق وأقوام، وزلت فيه أقدام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإذا كان كل مخلوق فيه نعمة، لم يكن الحمد إلا على نعمة، والحمد لله على كل حال، لأنه ما من حال يقضيها الله إلا وهي نعمة على عباده، لكن هذا فهم من عرف ما في المخلوقات من النعم، والجهمية والجبرية بمعزل عن هذا ...

إلى أن قال: فحقيقة قول الجهمية أتباع جهم: أنه لا يستحق الحمد، فله عندهم ملك بلا حمد مع تقصيرهم في معرفة ملكه، كما أن المعتزلة له عندهم نوع من الحمد بلا ملك تام، إذ كان عندهم يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وتحدث حوادث بلا قدرته.

وعلى مذهب السلف: له الملك وله الحمد تامين، وهو محمود على حكمته، كما هو محمود على قدرته ورحمته»<sup>(٤)</sup>.

فلأجل ما يحمله حمد الله تعالى من معاني جليلة ومقاصد عظيمة، فإني قد استخرت الله تبارك وتعالى، وشجعت الهمة، وعمت القصد رغبة مني في دراسة

(١) سيأتي تخريجه ص (٨٨).

(٢) سيأتي تخريجه ص (٨٩).

(٣) سيأتي تخريجه ص (٨٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠٨/١٤-٣٠٩).

مراميه، وعزماً مني في بحث مقاصده ومعانيه.  
والله أسأل أن يلهمني السداد والتوفيق، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه  
الكريم.

هذا ولما كان نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية يحتم على الطلاب الملتحقين  
بالدراسات العليا تقديم بحث في تخصصهم العلمي، وكنت بفضل الله تعالى من  
الطلاب الدارسين بمرحلة الماجستير، بقسم العقيدة، اخترت الكتابة في معاني الحمد،  
وقد جعلت عنوان الرسالة:

## حمد الله تعالى دلالاته العقيدية وإبطال المفاهيم الخاطئة فيه

### أولاً: أسباب اختيار الموضوع

ومما دفعني إلى هذا الموضوع ورغبني فيه ما يأتي:

١- ما وجدته عند بعض مشايخنا الفضلاء -نفع الله بهم وجزاهم الله خيراً- من

تشجيع وشحذ للهمة على البحث في هذا الموضوع.

٢- إن هذا الموضوع لم يحض حسب إطلاعي القاصر على دراسة

علمية مفصلة مستقلة وإنما هي مسائل متناثرة في ثنايا كتب أهل السنة،

ولعلي أبذل جهدي بعد توفيق الله تعالى وإعانتة في جمع شتاتها وترتيبها

وتبويبها وإخراجها في نسق تنتظم معه تلك المسائل ليسهل بعد ذلك معرفتها

والإطلاع عليها.

٣- إن البحث في هذا الموضوع يتيح للباحث الإطلاع على أنواع المعارف

الربانية التي تزيد من قوته العلمية والعملية.



## ثانياً: الدراسات السابقة لهذا الموضوع

مما تجدر الإشارة إليه أن أنه قبل الشروع في بيان خطة البحث إلى من خص

موضوع الحمد بمؤلف مستقل وهي على النحو التالي:

١- مطالع السعد بكشف مواقع الحمد للعلامة ابن القيم، هذا المؤلف مطبوع، وقد ذكر محققه أنه لم يطلع له على عنوان فسماه بهذا الاسم، وحقق تحقيقاً آخر وسماه محققه: جواب في صيغ الحمد، وموضوع هذا الكتيب الذي يقع في مائة ورقة هو جواب أجاب به ابن القيم رحمه الله على سائل يسأله عن حديث: « الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده » فأجاب رحمه الله بأنه ليس في الصحيحين ولا في أحدهما، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة، ولا له إسناد معروف؛ ثم شرع رحمه الله في هذا المؤلف في سرد الأدلة الدالة على نكارة المتن.

٢- الحمد لله ثناء ودعاء وغذاء للشوذاني الباز، هذا الكتاب يقع في مائتي ورقة، وهو كتاب لم يتناول معاني الحمد من جانب علمي عقدي وإنما تعرض لبعض معاني الحمد.

٣- الحمد في القرآن الكريم كتيب صغير في وريقات لمحمد محمد خليفة.

٤- الحمد لله، لعبد الواحد علواني كتيب صغير، هذا ما وقفت عليه مما كتب في معنى الحمد، ولم يحض حسب اطلاعي القاصر ببحث علمي يكشف عن خباياه، ويلم شتاته ويجمع فضائله ويرد على المفاهيم الخاطئة فيه.

### ثالثاً: خطة البحث

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

**المقدمة:** وتشتمل على:

١- أسباب اختيار الموضوع.

٢- الدراسات السابقة لهذا الموضوع

٣- خطة البحث.

٤- منهجي في البحث.

**الباب الأول : وفيه ثلاثة فصول :**

**الفصل الأول : معاني الحمد**

**المبحث الأول: تعريف الحمد لغة وشرعاً.**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: تعريف الحمد لغة.**

**المطلب الثاني: تعريف الحمد شرعاً.**

**المبحث الثاني : الفرق بين الحمد والمدح .**

**المبحث الثالث : الفرق بين الحمد والشكر.**

**المبحث الرابع : دلالة الحمد على إثبات الكمال لله تعالى.**

**الفصل الثاني : أنواع الحمد .**

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول : أنواع الحمد باعتبار المحمود.**

**المبحث الثاني : أنواع الحمد باعتبار الحامد.**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول : حمد الله تعالى لنفسه.**

**المطلب الثاني : حمد المخلوقات لله تعالى.**

**الفصل الثالث : فضائل حمد الله تعالى.**

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: أدلة فضل حمد الله تعالى من الكتاب والسنة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة فضل حمد الله تعالى من الكتاب العزيز.

المطلب الثاني: أدلة فضل حمد الله تعالى من السنة المطهرة.

المبحث الثاني: المفاضلة بين التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

الباب الثاني: وجوه استحقاق الله للحمد والمواضع التي يتأكد فيها

حمد الله تعالى .

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : أدلة إثبات الكمال لله تعالى وحمد الله تعالى على أفعاله وأسمائه وصفاته

وألوهيته.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات الكمال لله تعالى.

المبحث الثاني: حمد الله تعالى على أفعاله.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أفعال الله تعالى كلها خير.

المطلب الثاني: الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامه.

المبحث الثالث: حمد الله تعالى على أسمائه الحسنى.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسماء الله كلها حسنى.

المطلب الثاني: الحميد اسم من أسماء الله تعالى دال على الحمد .

المبحث الرابع: حمد الله تعالى على صفاته العليا.

المبحث الخامس: حمد الله تعالى على ألوهيته.

الفصل الثاني: المواطن التي يتأكد فيها حمد الله تعالى مع بيان مناسبتها العقيدية.  
وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حمد الله تعالى في الصلاة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حمد الله تبارك وتعالى في دعاء الاستفتاح للصلاة.

المطلب الثاني: حمد الله تعالى في ركن القراءة.

المطلب الثالث: حمد الله تعالى عند الرفع من الركوع.

المطلب الرابع: حمد الله تعالى في الركوع والسجود.

المبحث الثاني: حمد الله تعالى في أوقات مخصوصة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حمد الله تعالى في خطبة الحاجة.

المطلب الثاني: حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام.

المطلب الثالث: حمد الله تعالى عند الضراء.

المطلب الرابع: حمد الله تعالى عند العطاس.

الباب الثالث: الرد على المفاهيم الخاطئة في الحمد.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الرد على حمد المعطلة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المعطلة.

المبحث الثاني: نشأة المعطلة.

المبحث الثالث: الرد على شبهة المعطلة في الحمد.

الفصل الثاني: الرد على حمد المعترلة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المعتزلة.

المبحث الثاني: نشأة المعتزلة.

المبحث الثالث: الرد على شبهة المعتزلة في الحمد.

الفصل الثالث: الرد على حمد الجبرية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الجبرية.

المبحث الثاني: نشأة الجبرية.

المبحث الثالث: الرد على شبهة الجبرية في الحمد.

الفصل الرابع: الرد على حمد المشبهة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المشبهة.

المبحث الثاني: نشأة المشبهة.

المبحث الثالث: الرد على شبهة المشبهة في الحمد.

الفصل الخامس: الرد على حمد الفلاسفة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفلاسفة.

المبحث الثاني: نشأة الفلاسفة.

المبحث الثالث: الرد على شبهة الفلاسفة في الحمد.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

الفهارس .

ثم إنني بعد الفترة التي عايشتها مع الموضوع ودراسة جوانبه، وفهم معانيه، فقد

بدا لي حذف ما يتعلق بحمد المشبهة والفلاسفة، وذلك لعدم توفر مادة علمية كافية، ولم أعر على شبه تتعلق بذات الحمد كما هو موجود عند الجهمية والمعتزلة والجبورية، فيما سيراه القارئ وإلا فهم من حيث الجملة وقعوا في نقيض الحمد، وقد ألفت رسالة دكتوراه في الرد على شبه المشبهة، ومع دراستي لهذه الرسالة، ومع عناء البحث وبذل قصارى الجهد، ومع مشورة بعض المشايخ الفضلاء، فإني رأيت حذف ما يتعلق بحمد المشبهة والفلاسفة، وقد رأيت أني سأفتح على نفسي باباً، فلقائل أن يقول لما أثبت هاتين الفرقتين مع عدم وجود شبه تتعلق بذات الحمد مع أن جميع الطوائف والفرق المخالفة لمنهج السلف وقعوا فيما يناقض حمد الله تعالى.

### رابعاً : منهجي في البحث :

وقد حرصت ما وسعني على الالتزام بالإخراج العلمي لمادة البحث من خلال:

- ١- عزو الآيات إلى مواضعها في كتاب الله.
- ٢- تخريج الأحاديث والآثار، وبيان درجة صحتها نقلاً عن أهل العلم في ذلك إذا وجدت من صححها وإلا فإني أكتفي بتخريجها.
- ٣- ترجمة الإعلام الوارد ذكرهم غير المشهورين، وقد أترجم لبعض المشهورين.
- ٤- توثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية.
- ٥- أعلق على الآيات والأحاديث وآثار السلف وكلام أهل العلم غالباً في متن وإذا دعت الحاجة أعلق في الحاشية.
- ٦- تفسير الكلمات الغريبة من كتب اللغة وغريب الحديث.
- ٧- التعريف بالفرق والطوائف التي يرد ذكرها تعريفاً مختصراً في الحاشية.
- ٨- عملت فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والإعلام والمصادر والموضوعات .

هذا وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم نافعاً لعباده المؤمنين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## كلمة شكر وتقدير

وفي الختام فإن من أعظم المنن وأجل النعم التي أنعم الله تبارك وتعالى بها في هذا العصر على المسلمين عامة وعلى بلاد الحرمين خاصة، تأسيس الجامعة الإسلامية المباركة بالمدينة النبوية، ذلك الصرخ العلمي الشامخ الذي يستقبل الكثيرين من أبناء العالم الإسلامي في شتى أنحاء الأرض، ليتعلموا العلم النافع المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ في المكان الذي شع منه النور، وانطلق من عنده الهداة المصلحون لإخراج الناس من الظلمات إلى النور فلقد كانت هذه مفخرة تفتخر بها هذه البلاد المباركة.

وإني لأحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه لما منّ عليّ بالدراسة في الجامعة الإسلامية المباركة، ثم أتوجه بالشكر والعرفان للقائمين على هذه البلاد الذين يولون الدعم المادي والمعنوي لطلاب الجامعة الإسلامية.

وأشكر قسم العقيدة الذي هيا لي هذه الفرصة، وأتقدم بالشكر والعرفان بالجميل لفضيلة شيخني الفاضل المشرف على هذه الرسالة الدكتور: عبيد بن عبد العزيز السلمي الذي أفادني بعلمه، ووجهني في جميع مراحل إعداد الرسالة، وأشكر فضيلة شيخني الدكتور: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الذي أشار عليّ بهذا الموضوع وشحذ همتي للبحث فيه فجزاهم الله عني خير الجزاء، وأجزل مثوبتهم ورفع درجتهم في الدارين، وأشكر كل من أعانني من عالم أو أخ من رأي أو مشورة أو مساعدة أو دعاء، فشكر الله لهم وأجزل مثوبتهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وآله وصحبه أجمعين.



# المباحج الأول

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول

معاني الحمد ودلالته

وفيه ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول: تعريف الحمد لغة وشرعاً**

**المبحث الثاني: الفرق بين الحمد والمدح**

**المبحث الثالث: الفرق بين الحمد والشكر**

**المبحث الرابع: دلالة الحمد على إثبات الكمال لله تعالى**

المبحث الأول

# تعريف الحمد لغة وشرعاً

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الحمد لغة

المطلب الثاني: تعريف الحمد شرعاً

### المطلب الأول : تعريف الحمد لغة:

الحمد نقيض الذم يقال: حمدته على فعله ومنه المحمّدة.

قال ابن فارس<sup>(١)</sup>: « الحاء والميم والذال كلمة واحدة؛ وأصل محمود ومحمد على خلاف الذم، يقال: حمدت فلاناً أحمده، ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله غير المذمومة »<sup>(٢)</sup>.

قال الخليل بن أحمد<sup>(٣)</sup>: « الحمد نقيض الذم يقال: بلوته فأحمدته أي وجدته حميداً محمود الفعّال، وحمدته على ذلك، ومنه المحمّدة، وحماداك أن تفعل كذا، أي حمدك، وحماداك أن تنجوا من فلان رأساً برأس، والتحميد كثرة حمد الله بحسن المحامد. وأحمد الرجل أي فعل فعلاً يحمد عليه.

والحمد الثناء، وقولهم: أحمد إليك الله أي: معك، ويقال: إنما هو كقولك أشكو إليك »<sup>(٤)</sup>.

قال ابن دريد<sup>(٥)</sup>: « الحمد خلاف الذم، حمدت الرجل أحمده حمداً إذا رأيت منه فعلاً محموداً.

(١) هو أبو الحسين أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي المالكي اللغوي نزيل همدان كان رأساً في الأدب، بصيراً بفقّه مالك، توفي سنة ٣٩٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/١٠٣-١٠٦)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (٣/٣٩٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/١٠٠).

(٣) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، أحد الأعلام الإمام صاحب العربية ومنشئ علم العروض، وكان رأساً في لسان العرب، ديناً ورعاً قانعاً، متواضعاً، كبير الشأن توفي سنة ١٧٥هـ.

انظر: ترجمته في: وطبقات ابن سعد (٧/٢٨٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/٤٢٩-٤٣١)، التاريخ الكبير (١/٤٥٤)، والكامل لابن عدي (خ٥٣).

(٤) العين للفراهيدي (٣/١٨٨).

(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد بن عتاهية الأزدي اللغوي البصري، صاحب اللغة، كان رأساً في الأدب، يضرب المثل بحفظه ولد سنة ٢٢٣هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٢/١٩٥). تذكرة الحفاظ (٣/٨١٠)، ميزان الاعتدال (٦/١١٥-١١٦)، لسان الميزان (٥/١٣٢-١٣٣)،

وأحمدت المواضع أحدها إحماداً إذا رضيت سكنائها أو مرعاها، وتقول العرب: حمادك أن تفعل كذا وكذا وحماداك أيضاً في معنى قصاراك<sup>(١)</sup>.  
 والتحميد حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة بالمحامد الحسنة، وهو أبلغ الحمد، وإنه لحماد لله عز وجل، ومنه أي من التحميد محمد<sup>(٢)</sup>، والحمد: الذي كثرت خصاله المحمودة<sup>(٣)</sup>.

قال الأعشى<sup>(٤)</sup>:

إليك، أبيت اللعن، كان كلالها إلى الماجد القرّم الجواد المحمّد<sup>(٥)</sup>

وأما المدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحي وللमित وللجماد أيضاً كما يمدح الطعام والمكان، ونحو ذلك، ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضاً فهو أعم<sup>(٦)</sup>. اهـ

(١) جمهرة اللغة (١٢٥/٢).

(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي (٣٩/٨)، والكلبيات لأبي البقاء (٣٦٥/).

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور (٣١٦/٣).

(٤) هو ميمون بن قيس بن جندل بن عوف أبو بصير، مات سنة ٧هـ، أدرك النبي ﷺ ولم يسلم، انظر

الإكمال لابن ماكولا (٣٢٠/١)، وكشف الظنون (٧٧٦/١)، السيرة لابن هشام (١/١٢٢).

(٥) ديوان الأعشى الكبير للدكتور محمد حسن ص (١٨٩).

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٢٩).

### المطلب الثاني: تعريف الحمد شرعاً:

لقد تعددت عبارات الأئمة في حقيقة الحمد، وتغايرت تعريفاتهم له، ولعل أكثر تلك التعريفات تحده بمعنى الثناء على المحمود، وإني بصدد هذا المطلب إن شاء الله سأذكر بعض تلك التعريفات مع اختيار المعنى الأنسب والأدق، وسأبين سبب الاختيار لذلك التعريف المناسب، فأقول وبالله التوفيق:

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «معنى الحمد لله: الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح المكلفين لأداء فرائضه»<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: «الحمد الثناء على المدوح بصفاته من غير سبق إحسان»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عطية<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى: «الحمد معناه الثناء الكامل»<sup>(٦)</sup>.

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، الأملي البغدادي، صاحب التفسير، الإمام العالم العلامة المعروف توفي في شوال عام ٣١٠هـ.

انظر ترجمته في: الأنساب للسمعاني (٤/٤٦)، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (٢/٤٣١-٤٣٢)، طبقات القراء للذهبي (١/٢١٢-٢١٣)، القراء لابن الجزري (٢/١٠٦-١٠٨)، طبقات المفسرين للسيوطي (٣)، طبقات الحفاظ (٣٠٧-٣٠٨)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/١٠٦-١١٤).

(٢) جامع البيان (١/١٣٥).

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي، القرطبي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة، ورحل إلى المشرق واستقر بمصر وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة وغيرها. انظر: نفع الطيب (١/٤٢٨)، الديباج (٣١٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/٩٤).

(٥) هو أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي الغرناطي من مشاهير علماء القرن السادس في الأندلس، امتحن مهنة القضاء زماناً طويلاً، بل أصبح يلقب بالقاضي، اشتهر بفصاحته ودقة عبارته، له خيرة بعلم الكلام وفقه، اتخذها المتأخرون مصدراً للنقل من تفسيره إلى تفاسيرهم ٤٨١-٥٤٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٦).

(٦) المحرر الوجيز (١/٦٣).

- قال ابن الجوزي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد معناه الثناء على المحمود »<sup>(٢)</sup>.
- قال أبو حيان<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد هو الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها باللسان وحده »<sup>(٤)</sup>.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد خير بمحاسن المحمود مقرون بمحبته »<sup>(٦)</sup>.
- قال العلامة ابن القيم<sup>(٧)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع

(١) هو أبو الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله ابن عبد الله بن حمادي ابن أحمد القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، صاحب المصنفات في التفسير والتاريخ وغيره. ولد سنة ٥١٠هـ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١)، تذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤)، البداية والنهاية (٣٢-٣١/١٣).

(٢) زاد المسير (١١/١).

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي، أبو عبد الله الأندلسي الغرناطي الحياي، الشهير بأبي حيان، من أفاضل علماء القرن الثامن، له الباع الطويل في علم اللغة وفقهها.

انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (٤٨٢/١)، الوفيات (٤٨٢/١).

(٤) البحر المحيط (١٨/١).

(٥) هو شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، الإمام العلامة، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن مجد الدين أبو البركات عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي ابن عبد الله بن تيمية الحراني النميري، ولد سنة ٦٦١هـ بجران، وتوفي سنة ٧٢٨هـ، كان إماماً متبحراً في علوم الدين، كثير المحاسن، موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم.

انظر ترجمته في: العقود الدرية، لابن عبد الهادي، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٨٧/٢)، والبداية والنهاية (٢٤١/١٣)، وما بعدها، وذيل العبر ص (٨٤)، وتذكرة الحفاظ (١٤٩٦/٤)، وتتممة المختصر لابن الوردي (٤٠٦/٢)، والوافي للصفدي (١٥/٧)، وفيات الوفيات (٧٤/١)، والدرر الكامنة (١٥٤/١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٥١٦)، ودرة الحجال (٣٠/١)، وتذكرة النبيه (١٨٥/٢)، وشذرات الذهب (٨٠/٦)، والكواكب الدرية (ص: ٥١)، والبدر الطالع (٦٣/١)، وفهرس الفهارس (٢٧٤/١).

(٦) منهاج السنة النبوية (٤٠٤/٥).

(٧) هو العلامة الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكى

زين الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي المشهور بابن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، توفي سنة ٧٠١هـ.

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٢٠٢/١٤)، وذيل طبقات الحنابلة (٥٠/٢)، والوافي بالوفيات (٢٧٠/٢)، الدرر الكامنة (٢٢/٤) فما بعدها، وابن قيم الجوزية حياته وآثاره لبكر أبو زيد.

حبه وإجلاله وتعظيمه»<sup>(١)</sup>.

قال أبو البقاء<sup>(٢)</sup> رحمه الله: « الحمد: هو الثناء مع الرضى بشهادة موارد استعماله»<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري»<sup>(٥)</sup>.

قال القاسمي<sup>(٦)</sup> رحمه الله: « الحمد أي الثناء بالجميل»<sup>(٧)</sup>.

وقال العلامة السعدي<sup>(٨)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد لله هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل»<sup>(٩)</sup>.

(١) بدائع الفوائد (٣٣٣/١).

(٢) أبو البقاء هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي القاضي، ولد سنة ١٠٢٨هـ، وتوفي سنة ١٠٩٤هـ.

انظر: الأعلام (١٨٣/١)، معجم المؤلفين (٣١ / ٣)، وهديّة العارفين (٢٢٩).

(٣) الكلبيات ص (٣٦٦).

(٤) هو العالم الجليل والمجتهد القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن. عرف بالشوكاني، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة ١٢٥٥هـ.

انظر في ترجمته: البدر الطالع له (٢١٤/٢) فما بعد، الإمام الشوكاني مفسراً د. محمد حسن بن أحمد الغماري، الإمام الشوكاني حياته وفكره د. عبد الغني قاسم غالب الشرجي.

(٥) فتح القدير (١٩/١).

(٦) هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره. ولد سنة ١٢٨٣هـ وتوفي سنة ١٣٢٢هـ.

انظر: الأعلام للزركلي (١٣٥/٢).

(٧) محاسن التأويل (٢٢١/١).

(٨) هو العلامة العالم الجليل والفقير الأصولي، عبد الرحمن بن ناصر بن أحمد آل سعدي من نواصر بني تميم، ولد سنة ١٣٠٧هـ توفي سنة ١٣٧٦هـ، عن تسع وستين سنة قضاه في العلم والتعليم والتوجيه والتدريس، والإمامة، والخطبة والتأليف، والإفتاء.

انظر ترجمته في كتاب صفحات من حياة علامة القصيم للطيار.

(٩) تفسير السعدي ص (٢٢) وانظر: تيسير اللطيف المنان ضمن المجموعة الكاملة (١٨٠/٨).

وقال العلامة الشنقيطي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد: هو ثناء أثنى به تعالى على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه »<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى: « الحمد: هو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم »<sup>(٤)</sup>.

وبعد هذه الجملة من التعريفات التي أوردتها عن أهل العلم في تعريف الحمد، فإن المتأمل في هذه التعريفات يجد أن معانيها تدور بين معنيين:

المعنى الأول: هو بمعنى الشكر، والملاحظ على هذا التعريف القصور من حيث أن هناك عموم وخصوص بين الشكر والحمد على القول الصحيح كما سيأتي تحقيق ذلك في مبحثه إن شاء الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

المعنى الثاني: هو بمعنى الثناء، ويلاحظ القصور على هذا التعريف من حيث أن الثناء من الحمد لأن الثناء هو حمد مكرر قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « والثناء تكرير المحامد وتثنيها، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال الرحمن الرحيم. قال: أثنى عليَّ عبدي. فإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني

(١) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح، ولقبه آبا، توفي سنة ١٣٩٣هـ، وقد كان عالماً متبحراً، زكي النفس، رفيع المقام، كريم السجايا.

انظر ترجمته في مقدمة كتابه أضواء البيان، وهي محاضرة ألقاها الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله.

(٢) أضواء البيان (١/٣٣).

(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهبي التميمي، العلامة الفقيه، علامة القصيم، ولد سنة ١٣٤٧هـ، وتوفي عن عمر يناهز الأربعة والسبعين في ١٤٢١هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

انظر ترجمته في شرح العقيدة الواسطية له (١/٩-١٥).

(٤) الشرح الممتع (٣/١٣٩).

(٥) في ص: ٣٠.



عبدى»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: « ففرق الله سبحانه وتعالى بين الحمد والثناء»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: « ربنا ولك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»<sup>(٣)</sup>، فذكر الحمد والثناء والمجد هنا، فالحمد يتناول جنس المحامد، والثناء يقتضي تكررها وتعيدها والزيادة في عددها، والمجد يقتضي تعظيمها وتوسيعها والزيادة في قدرها وصفتها<sup>(٤)</sup>.

فتبين بهذين الحديثين أن الثناء هو تكرير الحمد.

وأما من زاد بأنه الثناء بالجميل الاختياري، فيلاحظ على هذا أنه قصر الحمد على كمال الصفات اللازمة التي لا تتعدى كالعظمة والكبرياء وما أشبه ذلك، والله تعالى محمود على صفات الكمال اللازمة، وصفات الكمال المتعدية، فهو محمود على كماله، ومحمود على إحسانه سبحانه وتعالى<sup>(٥)</sup>.

إذا تقرر هذا فإن أنسب التعاريف وأدقها وأدلها على المقصود هو ما عرفه به ابن القيم رحمه الله، وفي نحوه كلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ومثله كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله الذي أخذه من كلام ابن القيم كما أشار

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب : وجوب قراءة الفاتحة (ح/٣٩٥) .

(٢) الشرح الممتع (٣/١٤٠).

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل (ح/٧٧١) عن علي ؓ، وأخرجه أيضا في باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع (ح/٤٧٧) عن أبي سعيد الخدري ؓ.

(٤) انظر درء تعارض العقل والنقل (٤/١٦-١٧) .

(٥) انظر الشرح الممتع (٣/١٤٠).

هو لذلك<sup>(١)</sup>.

فالحمد إذاً هو: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، وهذا وإن كان خبيراً يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح فإنه خبر مجرد، فالقائل إذا قال الحمد لله، أو قال ربنا لك الحمد، تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى<sup>(٢)</sup>.

وبناء على هذا التعريف المختار يتبين الفرق بين الحمد، والمدح والثناء والمجد. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « نذكر تقسيماً جامعاً لهذه المعاني الأربعة - أعني الحمد والمدح والثناء والمجد - فنقول: إخبار عن محاسن الغير له ثلاثة اعتبارات: اعتبار من حيث المخبر به، واعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر، واعتبار من حيث حال المخبر.

فمن حيث الأول ينشأ التقسيم إلى الحمد والمجد، فإن المخبر إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها، أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، فإن كان الأول فهو المجد، وإن كان الثاني فهو الحمد، وهذا لأن لفظ مجد في لغتهم يدور على معنى الاتساع والكثرة، فمنه قولهم: أجد الدابة علفاً، ومنه مجد الرجل فهو ماجد، إذا كثر خيره وإحسانه إلى الناس ... ومنه قولهم: « في شجر نار: واستمجد المرخ والغفار » أي كثرت النار فيهما<sup>(٣)</sup>، ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلى الثناء والحمد، فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر أو لا، فإن تكرر فهو الثناء، وإن لم يتكرر فهو الحمد، فإن الثناء مأخوذ من الثني وهو العطف، ورد الشيء بعضه على بعض، ومنه ثنيت الثوب، ومنه الثنية في الاسم، فالثنى مكرر لمحاسن من يثنى عليه مرة بعد مرة، فإن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حبا له وإجلاله أولاً، فإن

(١) الشرح الممتع (٣/١٣٩).

(٢) انظر بدائع الفوائد (١/٣٣٣).

(٣) انظر للأمثال التي قالها عن العرب لسان العرب (١٣/٢٨) مادة: (مجد)، وجمع الأمثال للميداني (٢/٣١).

اقترن به الحب فهو الحمد وإلا فهو المدح»<sup>(١)</sup>.

وفي قوله في تعريف الحمد هو إخبار عن محاسن المحمود، ومحاسن المحمود تعالى إما قائمة بذاته، وإما ظاهرة في مخلوقاته، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « ومحاسن المحمود تعالى إما قائمة بذاته، وإما ظاهرة في مخلوقاته، فأما المعدوم المحض الذي لم يخلق ولا خلق قط فذاك ليس فيه محاسن ولا غيرها، فلا محامد فيه البتة، فالحمد لله يملأ المخلوقات ما وجد منها ويوجد، وهو حمد لله الذي يملأ المخلوقات ما وجد منها ويوجد، وهو حمد يتضمن الشناء عليه بكماله القائم بذاته، والمحاسن الظاهرة في مخلوقاته، وأما ما لا وجود له فلا محامد فيه ولا مذام»<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله « مع حبه وإجلاله وتعظيمه »؛ المحبة والتعظيم هما أصل استقامة القلب، وعليهما مدار العبودية لله تعالى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى، وحب غيره، سبق حب الله تعالى على حب ما سواه فترتب على ذلك مقتضاه.

الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الأمر والنهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾<sup>(٣)</sup>، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة»<sup>(٤)(٥)</sup>. اهـ.

فتبين بهذا أن التعريف المختار للحمد هو الإخبار عن محاسن المحمود مع محبته وتعظيمه.

(١) بدائع الفوائد (١/٣٣٤-٣٣٥).

(٢) طريق المحررتين وباب السعادتين ص (٢١٢-٢١٣).

(٣) سورة نوح الآية ١٣.

(٤) رواه بسنده إلى ابن عباس ابن جرير في تفسيره (٥٩/٢٩).

(٥) انظر الوايل الصيب بشيء من التصرف ص (١٨-١٩).

المبحث الثاني

# الفرق بين الحمد والمدح

## المبحث الثاني : الفرق بين الحمد والمدح

المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء ، يقال : مدحته مدحة واحدة ، ومدحه بمدحه مدحاً ومدحة<sup>(١)</sup> .

والمدح بمعنى الوصف بالجميل يقابله الذم ، وبمعنى عد المآثر ويقابله الهجو .

والمديح والمدحة بالكسر والأمدوحة بالضم : ما يمدح به من الشعر<sup>(٢)</sup> .

والمدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقاً ؛ سواء كان من الفواضل أو من

الفضائل ، وسواء كان اختيارياً أو غير اختياري<sup>(٣)</sup> .

وقيل : بأن الحمد مقلوب من المدح ، وليس بسديد لأن المقلوب أقل استعمالاً

من المقلوب منه ، وهذان مستويان في الاستعمال ، فليس ادعاء قلب أحدهما من

الآخر أولى من العكس فكانا مادتين مستقلتين<sup>(٤)</sup> .

وفرقوا بين الحمد والمدح من وجوه :

١- أن الحمد يختص بالثناء على الفعل الاختياري لذوي العلم والمدح يكون في

الاختياري وغيره ولذوي العلم وغيرهم ، كما يقال : مدحت اللؤلؤة على صفتها .

٢- أن الحمد يشترط صدوره عن علم لا ظن ، وأن تكون الصفات المحمودة

صفات كمال، والمدح قد يكون عن ظن وبصفة مستحسنة، وإن كان فيها نقص ما .

٣- أن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح وهو أخص بالعقلاء

والعظماء ، وأكثر إطلاقاً على الله تعالى .

٤- أن الحمد إخبار عن محاسن الغير مع المحبة والإجلال ، والمدح : إخبار عن

المحاسن ؛ ولذا كان الحمد إخباراً يتضمن إنشاء والمدح خبراً محضاً .

٥- أن الحمد مأمور به مطلقاً بخلاف المدح<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر لسان العرب (٤٩/١٣) .

(٢) انظر : تاج العروس (١١١/٧) ، وجمهرة اللغة (١٢٦/٢) .

(٣) انظر : الكليات للكفوي (ص/٨٥٧) .

(٤) انظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٣٧/١) .

(٥) انظر : روح المعاني للألوسي (٧٠/١) .

والتحقيق أن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حباً له وإجلاله أو لا ، فإن اقترن به الحب فهو الحمد ، وإلا فهو المدح<sup>(١)</sup> .  
وقد يستعمل الحمد في مكان المدح والعكس ، وهذا الفرق الذي ذكرته هو على الغالب .

ومن أمثلة استعمال المدح بمعنى الحمد قوله ﷺ : « لا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه »<sup>(٢)</sup> .

فالمدح هنا بمعنى الحمد إذ إن المدح الذي يحبه الله تبارك وتعالى من عباده هو المدح المقرون بالمحبة والتعظيم ، فاستعمل المدح بمعنى الحمد .

ومن أمثلة استعمال الحمد بمعنى المدح ما ثبت من حديث أبي ذر رضى الله عنه (( قال : قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه قال : تلك عاجل بشرى المؤمن ))<sup>(٣)</sup> .

فأخبر ﷺ أن حمد الناس للمؤمن بشارة معجلة في الدنيا ، كالرؤية الصالحة ، والبشارة نوع من الخبر بما يسر ، فالحمد هو الخبر بما يسر المحمود ويفرحه ، فاستعمل المدح في المثال الأول بمعنى الحمد وهو المدح الذي مدح الله تعالى به نفسه وعرف عباده كيف يمدحوه ، وهذا المدح هو المقرون بالمحبة والتعظيم .

واستعمل الحمد في المثال الثاني بمعنى المدح : وهو الإخبار بمحاسن المؤمن في قلوب العباد وإن لم يقترن به محبة وتعظيم ، والله تعالى أعلم .

(١) بدائع الفوائد (١/٣٣٥) .

(٢) سيأتي تخريجه (ص/٥٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب : إذا أتني على الصالح فهي بشرى ولا تضره (ح/٢٦٤٢) .

المبحث الثالث

# الفرق بين الحمد والشكر

### المبحث الثالث : الفرق بين الحمد والشكر

الحمد والشكر كلا منهما ثناء على الله تعالى، ناشئ عن محبته والخضوع له، والانقياد لأمره، كما أن كلا منهما مأمور به، مرغّب إليه، وبينهما فرق.

وقد اختلف أهل العلم في التفريق بين الحمد والشكر على ثلاثة أقوال:

١- القول الأول: أن الحمد بمعنى الشكر، وأنه لا خلاف بينهما، بل هما بمعنى واحد، ومن اختار هذا القول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى قال رحمه الله: « الحمد لله، الشكر خالصاً لله »<sup>(١)</sup>.

وقد استدلل لهذا القول بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> قال: الحمد لله هو الشكر، والاستخداء لله، والإقرار بنعمته، وهدايته، وابتدائه، وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله: « ولا تمنع بين أهل المعرفة، بلغات العرب، من الحكم لقول القائل: « الحمد لله » شكراً بالصحة؛ فقد تبين إذ كان ذلك عند جميعهم صحيحاً، أن الحمد لله قد ينطق به في موضع الشكر، وأن الشكر يوضع موضع الحمد، لأن ذلك لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يقال: الحمد لله شكراً، فيخرج من قول القائل الحمد لله مصدر أشكر، لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد، كان خطأً أن يصدر من الحمد غير معناه وغير لفظه »<sup>(٤)</sup>.

(١) جامع البيان (٥٩/١).

(٢) عبد الله بن عباس هو حير الأمة وترجمان القرآن، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب شيبه بن هاشم واسمه عمر بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ولد عبد الله قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ١٣ سنة، وكان حير الأمة ويسمى البحر لغزارة علمه.

انظر: طبقات ابن سعد (٣٦٥/٢)، والاستيعاب (٩٣٣)، وأسد الغابة (٢٩٠/٣)، وصفة الصفوة (٣٧٩/١).

(٣) انظر جامع البيان (٦٠/١).

(٤) المصدر السابق.



٢- القول الثاني: أن الحمد أعم من الشكر، وممن اختار هذا القول القرطبي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى حيث قال: «الصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان وعلى هذا الحد قال علماءنا: الحمد أعم من الشكر، لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر؛ والجزء مخصوص إنما يكون مكافأة لمن أولاك معروفاً؛ فصار الحمد أعم في الآية لأنه يزيد على الشكر»<sup>(٢)</sup>.

٣- القول الثالث: أن بينهما عموم وخصوص، وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وتلميذهما الحافظ ابن كثير<sup>(٣)</sup> رحمهم الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى «الحمد يتضمن المدح، والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد، أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى ولهذا قال الله تعالى ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾<sup>(٤)</sup>، وقال ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة﴾<sup>(٥)</sup>؛ وقال ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مشى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) تقدمت ترجمته ص (١٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/٩٤).

(٣) هو الإمام الحجة المحدث المؤرخ الثقة، ذو الفضائل، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ابن ضوء بن كثير، القرشي، الدمشقي، الشافعي ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ من تصانيفه تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وشرح صحيح البخاري ولم يكمله، وجامع المسانيد والسنن. انظر: الدرر الكامنة (١/٣٧٣)، البدر الطالع (١/١٥٣)، شذرات الذهب (٦/٢٣١)، آداب اللغة (٣/١٩٣).

(٤) سورة الأنعام الآية ١.

(٥) سورة سبأ الآية ١.

(٦) سورة فاطر الآية ١.

وأما الشكر: فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي، ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى ﴿اعملوا لداود شكراً﴾<sup>(١)</sup>.

والحمد: إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه، ومن هذا الحديث: « الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره »<sup>(٢)</sup>، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها »<sup>(٣)</sup>، والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى « والفرق بينهما - أي الشكر والحمد - أن الشكر: أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب. ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافاً، فلا يقال: شكرنا الله تعالى حياته، وسمعته، وبصره، وعلمه، وهو المحمود عليها، كما هو المحمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكلما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان »<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة سبأ، جزء من الآية: ١٣.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٩٧/٤) برقم (٤٣٩٥)، والديلمي في مسند الفردوس (١٥٥/٢)، وعبد الرزاق في المصنف (٤٢٤/١٠) برقم (١٩٥٧٤).

(٣) سيأتي تخريجه ص (٩١).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/١٣٣-١٣٤).

(٥) مدارج السالكين (٢/٢٣٧).

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى « والتحقق أن بينهما-الحمد والشكر- عموماً وخصوصاً فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول حمدته لفروسيته، وحمدته لكرمه، وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقع عليه لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته، وتقول شكرته على كرمه وإحسانه إلى»<sup>(١)</sup>.

والذي يترجح من هذه الأقوال الثلاثة والله أعلم هو القول الثالث وهو أن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص، فالحمد يكون على الجميل مطلقاً، سواء كان نعمة من المحمود أو غيرها، فيحمد الله سبحانه على نعمه، كما يحمد على عظمته وعلو شأنه، وعلى ماله من الأسماء الحسنى، والصفات العليا.

وأما الشكر فلا يكون إلا على الإحسان، فهو أخص من الحمد بهذا الاعتبار، لتعلقه بالإحسان فقط.

وأما وسائلهما: فإن الحمد يكون بالقلب واللسان فقط، بينما يكون الشكر باللسان وبالقلب وبسائر الجوارح، فهو أعم من الحمد بهذا الاعتبار، لكونه يؤدي بالثلاثة. اهـ

(١) تفسير القرآن العظيم (٢١/١).

المبحث الرابع

دلالة الحمد على إثبات الكمال

لله تعالى

### المبحث الثالث: دلالة الحمد على إثبات الكمال لله تعالى

إثبات الحمد الكامل لله تعالى يقتضي ثبوت كل ما يحمد عليه، من صفات كماله ونعوت جلاله، ولا يكون محموداً بكل اعتبار، بجميع أنواع الحمد، إلا من كانت له صفات الكمال جميعها، فجميع أنواع الحمد من الصفات الكاملة العظيمة، والأفعال التي ربي بها العالمين، وأدرّ عليهم فيها النعم، وصرف عنهم بها النقم، ودبرهم تعالى في حركاتهم وسكونهم، وفي جميع أحوالهم كلها لله تعالى، فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب المعظم<sup>(١)</sup>.

وإثبات صفات الكمال والحمد له تعالى واجبة لذاته، كما أن تنزيهه عن العيوب والنقائص واجب لذاته، وهو أظهر في العقول والفطر السليمة وجميع الكتب الإلهية وأقوال الرسل من كل شيء<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « فأخباره تعالى كلها وأقواله وأفعاله كلها حسنة محمودة، واقعة على وجه الكمال الذي يستحق عليه الحمد، وله من الأمور التي يستحق بها الكبرياء والعظمة ما هو من خصائصه تبارك وتعالى. فالكبرياء والعظمة له بمنزلة كونه حياً قيوماً قديماً واجباً بنفسه، وأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه العزيز الذي لا ينال، وأنه قهار لكل ما سواه، فهذه كلها صفات كمال لا يستحقها إلا هو... »

فالرب تعالى مستحق للكمال مختص به على وجه لا يماثله فيه شيء، فليس له سمي ولا كفؤ، سواء كان الكمال مما لا يثبت منه شيء للمخلوق كربوبية العباد والغنى المطلق ونحو ذلك، أو كان مما يثبت منه نوع للمخلوق، فالذي يثبت للخالق منه نوع هو أعظم مما يثبت من ذلك للمخلوق: عظمة هي أعظم من فضل أعلى المخلوقات على أدناها<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٧٠٩).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/١٣٨-١٤٠).

فإثبات المحامد لله تعالى يتضمن اتصافه بجميع صفات الكمال، وتنزيهه عما ينافيها من صفات النقص، وعن أن يكون له مثل، وأنه لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى « كلمة الحمد لله رب العالمين تحتها إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفاً واسماً، وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلاً ووصفاً واسماً، فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، منزّه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه، فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل، لا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت جلال، وأسمائه كلها حسنى، وحمده قد ملأ الدنيا والآخرة، والسموات والأرض، وما بينهما وما فيهما، فالكون كله ناطق بحمده، والخلق والأمر صادر من حمده، وقائم بحمده ووجد بحمده، وعدمه بحمده، فحمده هو سبب وجود كل موجود، وهو غاية كل موجود، وكل موجود شاهد بحمده، وإرساله رسوله بحمده، وإنزاله كتبه بحمده، والجنة عمرت بأهلها بحمده، والنار عمرت بأهلها بحمده، كما أنهما وجدتا بحمده، وما أطيع إلا بحمده، وما عصي إلا بحمده، ولا تسقط ورقة إلا بحمده، ولا يتحرك في الكون ذرة إلا بحمده، وهو المحمود لذاته، وإن لم يحمده العباد، كما أنه هو الواحد سبحانه الذي حمد نفسه على لسان القائل: الحمد لله رب العالمين، كما قال النبي ﷺ: « إن الله تعالى قال على لسان نبيه: سمع الله لمن حمده »<sup>(١)</sup>، فهو الحامد لنفسه في الحقيقة على لسان عبده، فإنه الذي أجرى الحمد على لسانه وقلبه، وإجراؤه بحمده فله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله »<sup>(٢)</sup>.

(١) هو جزء من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (ح/٤٠٤).

(٢) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء ص (١٢٢-١٢٣).

إذا فالحمد دال على إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفاً واسماً، فالله تعالى محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصالحة وعدل لا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت جلال، وأسمائه كلها حسنى.

قال ابن القيم رحمه الله: « فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له، فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يخصه سواه، لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يخصي أحد من خلقه ثناء عليه، لما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لا يخصها سواه، ولهذا ذم الله تعالى آلهة الكفار، وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها، فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تتكلم ولا تهدي ولا تنفع ولا تضر»<sup>(١)</sup>.

والمقصود هنا أنه سبحانه لكمال أسمائه وصفاته، موصوف بكل صفة كمال منزّه عن كل نقص، له كل ثناء حسن، ولا يصدر عنه إلا كل فعل جميل، ولا يسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يثني عليه إلا بكمال الثناء، وهو المحمود المحبوب المعظم، ذو الجلال والإكرام على كل ما قدره وخلقته، وعلى كل ما أمر به وشرعه.

قال العلامة السعدي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: « فله تعالى الحمد؛ لأن جميع صفاته يحمد عليها، لكونها صفات كمال، وأفعاله يحمد عليها؛ لأنها دائرة بين الفضل الذي يحمد عليه ويشكر، والعدل الذي يحمد عليه، ويعترف بحكمته فيه، وحمد نفسه هنا، على أن له ما في السموات وما في الأرض ملكاً وعبداً، يتصرف فيهم بحمده، وله الحمد في الآخرة لأن في الآخرة يظهر من حمده والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جزاء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم.

(١) مدارج السالكين (١/٣١).

(٢) سبقت ترجمته ص (٢١).

وأما ظهور حمده في دار النعيم والثواب، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم في الجنة، يرون من توالي نعم الله، وإدراك خيره، وكثرة بركاته، وسعة عطاياه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية ولا إرادة، إلا وقد أعطى، فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيتهم، ولم يخطر بقلوبهم.

فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة الله ومحبته والثناء عليه، ويكون ذلك أحب لأهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة، ولهذا إذا رآوا الله تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك على كل نعيم، ويكون الذكر لهم في الجنة كالنفس، متواصلًا في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر لأهل الجنة في الجنة كل وقت، من عظمة ربهم وجلاله وجماله وسعة كماله، ما يوجب لهم كمال الحمد والثناء عليه<sup>(١)</sup>. اهـ

إذا تقرر هذا فإن إثبات الحمد لله دال على إثبات صفات الكمال لله تعالى كلها التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، فإن الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأحكامها كلها محامد ومدائح لله تعالى. اهـ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٦٧٤).



# الفصل الثاني أنواع الحمد

وفيه مبحثان

المبحث الأول: أنواع الحمد باعتبار الحمود  
المبحث الثاني: أنواع الحمد باعتبار الحامد

المبحث الأول

أنواع الحمد باعتبار

المحمود

## المبحث الأول: أنواع الحمد باعتبار المحمود « وهو الله تعالى »

قد أخبر الله سبحانه وتعالى أن له الحمد، وأنه حميد مجيد، وأن له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، ونحو ذلك من أنواع المحامد، والله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو سبحانه وتعالى أحق بكل حمد من كل جهة، فهو أهل لأن يحمد لذاته، ولصفاته ولأفعاله، ولأسمائه وإحسانه، ولكل ما صدر منه سبحانه.

والحمد نوعان:

١- حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر.

٢- وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله<sup>(١)</sup>.

أما الحمد بالمعنى الأول: فإن كل ما خلقه الله تعالى فهو إحسان إلى عباده يشكر عليه، وله فيه حكمة تعود إليه يستحق أن يحمد عليها لذاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى « ففي كل ما خلقه إحسان إلى عباده يشكر عليه، وله فيه حكمة تعود إليه يستحق أن يحمد عليها لذاته، فجميع المخلوقات فيها إنعام إلى عباده كالثقلين المخاطبين بقوله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ من جهة أنها آيات يحصل بها هدايتهم، وتدل على وحدانيته، وصدق أنبيائه، ولهذا قال عقيبه<sup>(٢)</sup> ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾<sup>(٣)</sup> قيل: محمد، وقيل: القرآن، وهما متلازمان، يقول: هذا نذير أنذر بما أنذرت به الرسل، والكتب الأولى، وقوله ﴿ من النذر الأولى ﴾ أي من جنسها، فأفضل النعم نعمة الإيمان وكل مخلوق فهو من الآيات التي يحصل بها ما

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٨٤، ٨/٢٠٧، ١٠/٤٨، ٨٤-٨٥).

(٢) نظير عقيبه في سورة النجم.

(٣) سورة النجم الآية: ٥٦.

فحصل من هذه النعمة قال تعالى ﴿ لقد كان فف قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾<sup>(١)</sup> وقال ﴿ تبصرة وذكرفم لكل عبد منفب ﴾<sup>(٢)</sup>.

وما ففصب الإنسان إن كان فسره فهو نعمة ففنة، وإن كان فسوؤه فهو نعمة؛ لأنه ففكر خطافاه وفثاب ففله بالصفر، ومن جهة أن ففه ففمة ورفمة لا ففلمها العبد، ﴿ وعسى أن ففروها شفناً وهو ففر لكم وعسى أن ففبوا شفناً وهو شركم ﴾<sup>(٣)</sup> الآفة، وكفنا النعمفم ففحتاج مع الشكر إلى الصفر، أما الضراء فظاهر، وأما نعمة السراء ففحتاج إلى الصفر على الطاعة ففها، كما قال بعض السلف: ففبفنا بالضراء فففرنا، وفبفبنا بالسراء فلم نصفر، فلهذا كان أكثر من ففدل الجنة المسافم، لكن لما كان فف السراء اللذة، وفف الضراء الألم، افشهر ذكر الشكر فف السراء، والصفر فف الضراء، قال تعالى ﴿ ولفن أذفنا الإنسان منا رفة ثم نزعناها منه ﴾ إلى قوله ﴿ إلا الذفن صبروا وعملوا الصالحات ﴾<sup>(٤)</sup> الآفة، وأفصاً صاحب السراء أرفوج إلى الشكر، وصاحب الضراء أرفوج إلى الصفر، ففإن صفر هذا وشكر هذا ففجب، وأما صفر السراء فقد ففكون مسفجباً، وصاحب الضراء قد ففكون الشكر فف ففه مسفجباً، ففاجتماع الشكر والصفر ففكون مع تألم النفس وتلذذها ...

والمقصود: أن الله تعالى منعم ففذا كله، وإن كان لا ففظهر فف الفبفء لأكثر الناس، ففإن الله ففعلم وأنتم لا تعلمون، وأما ذنوب الإنسان ففهف من نفسه، ومع هذا ففهف مع حسن العاقبة نعمة، وهف نعمة على ففره لما ففحصل له بها من الفعبار<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة فوسف الآفة: ١١١.

(٢) سورة ق الآفة: ٨.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآفة: ٢١٦.

(٤) سورة هود الآفة: ٩-١٠.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠٨/٨-٢١٠).

إذا تقرر هذا فإن الله تعالى مستحق للحمد على إحسانه من وجوه كثيرة.  
قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى « أما الحمد بالمعنى الأولى - أي بمعنى الشكر - فإن الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم، والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يشنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات »<sup>(١)</sup>.  
إذا تبين هذا فإن نعم الله تعالى على عباده تترى، وآلائه جل وعلا لا تعد ولا تحصى، قال تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن بني آدم لا يقدر على إحصاء نعم الله لكثرتها عليهم، وأتبع ذلك بقوله ﴿ إن الله لغفور رحيم ﴾ فدل ذلك على تقصير بني آدم في شكر تلك النعم، وأن الله يغفر لمن تاب منهم، ويغفر لمن شاء أن يغفر له ذلك التقصير في شكر النعم، وبين هذا المفهوم المشار إليه هنا بقوله ﴿ إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وبين في موضع آخر أن كل النعم على بني آدم منه جل وعلا، وذلك في قوله ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

إذا تقرر هذا فإن الله تعالى في محكم كتابه كثيراً ما يذكر آياته الدالة على قدرته

(١) توضيح الكافية الشافية للعلامة السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن السعدي/ العقيدة

الإسلامية (٣/٢٣١-٢٣٢).

(٢) سورة النحل الآية: ١٨.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٣٤.

(٤) سورة النحل الآية: ٥٣.

(٥) أضواء البيان (٣/٢٣٠-٢٣١).

وربوبيته، ويذكر آياته التي فيها نعمه إلى عباده ويذكر آياته المبينة لحكمته، وهي متلازمة<sup>(١)</sup>؛ ثم يندبهم سبحانه إلى شكره عليها، فمن تلك الآيات على سبيل المثال:

أ - آية الليل والنهار حيث قال تعالى ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ﴾ \* قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكون فيه أفلا تبصرون \* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى « هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعاشهم في ضيائه، والليل ليهدؤوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده...، وفي هذه الآيات تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويتبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها »<sup>(٣)</sup>.

ب - ومن تلك الآيات آية إنزال الماء قال تعالى ﴿ أفأرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ \* لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ﴿<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي رحمه الله: « لما ذكر تعالى نعمته علي عباده بالطعام، ذكر نعمته بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله تعالى يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر ينزله الله تعالى

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢١٠/٨).

(٢) سورة القصص الآية: ٧١-٧٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٦٢٣).

(٤) سورة الواقعة الآية: ٦٨-٧٠.

فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة، ومن نعمته أن جعله عذباً فراتاً تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً مكروهاً للنفوس، لا ينتفع به ﴿فلولا تشكرون﴾ الله على ما أنعم به عليكم<sup>(١)</sup>.

فهذه بعض من تلك الآيات التي هي من نعم الله تعالى على عباده، ذكرها لهم ليتذكروا فضل الله تعالى، وإحسانه إليهم، وليشكروه على ما امتن به عليهم.

إذا تقرر هذا فإن للشكر خمسة أركان:

قال القرطبي رحمه الله تعالى «إن للشكر ثلاثة أركان:

١- الإقرار بالنعمة للمنعم.

٢- والاستعانة على طاعته.

٣- وشكر من أجرى النعمة على يده تسخييراً منه إليه.

وهذا الركن الثالث لم أره لأحد ممن تكلم على الشكر - فيما أعلم - والله

أعلم، فله الحمد على ما ألهم وفهم وعلم<sup>(٢)</sup>.

وقد زاد على هذه الثلاث العلامة ابن القيم فقال: «والشكر مبني على خمس

قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا

يستعملها فيما يكره<sup>(٣)</sup>.

١- أما النوع الأول: وهو الإقرار بالنعمة للمنعم، فإن الله تعالى قد أمر به عباده

في محكم كتابه فقال عز قائلًا عليمًا ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٨٣٥).

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص (٣٤٣).

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٣٤).

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

ففي هذه الآيات، وغيرها كثير أمر الله تعالى بشكره ووعده على شكره بمزيد الخير.

قال ابن القيم رحمه الله: « أما معرفتها فهو إحضارها في الذهن، ومشاهدتها وتمييزها، فمعرفتها تحصيلها ذهنياً، كما حصلت له خارجاً إذ كثير من الناس تحسن إليه وهو لا يدري، فلا يصح من هذا الشكر »<sup>(٥)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ معترفاً بنعمة الله تبارك وتعالى عليه، ويكرر اعترافه في أدبار الصلوات، حيث كان يقول دبر كل صلاة « ... له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن »<sup>(٦)</sup>.

٢- وأما الثناء عليه بها، فهو نوعان: عام وخاص.

فالعام: وصفه بالجود والكرم، والخاص التحدث بنعمته.

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٢.

(٢) سورة النحل الآية: ١١٤.

(٣) سورة سبأ الآية: ١٥.

(٤) سورة فاطر الآية: ٣.

(٥) مدارج السالكين (٢/٢٣٨).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة (ح/٥٩٤) من حديث هشام،

عن أبي الزبير قال: كان ابن الزبير يقول دبر كل صلاة حين يسلم، فذكره، وزاد في آخره: وقال: كان رسول الله ﷺ يهلل بين دبر كل صلاة.



قال ابن القيم رحمه الله تعالى « الثناء على المنعم المتعلق بالنعمة نوعان: عام وخاص، فالعام: وصفه بالجود والكرم، والبر والإحسان، وسعة العطاء، ونحو ذلك.

والخاص: التحدث بنعمته، والإخبار بوصولها إليه من جهته، كما قال تعالى:

﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي هذا التحديث المأمور به قولان:

أحدهما: أنه ذكر النعمة والإخبار بها.

والتحدث بنعمة الله شكر، كما في حديث جابر مرفوعاً: « من صنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليثن، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتبه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور »<sup>(٢)</sup>.

والقول الثاني: أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية هو الدعوة إلى الله،

وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة...

والصواب: أنه يعم النوعين، إذ كل منهما نعمة مأمور بشكرها والتحدث بها،

وإظهارها من شكرها «<sup>(٣)</sup> اهـ

٣- وأما الاستعانة بها - أي النعم - على طاعة الله، فهو ما يقتضيه الشرع

والعقل، فإن من أحسن إليك بشيء لا يجوز أن تقابله بالإساءة إليه، قال الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله: « هذا أمر للمؤمنين خاصة بعد الأمر العام،

(١) سورة الضحى الآية: ١١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨١٣/٤)، والترمذي (٢٠٣٤/٤)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد

(١/٨٤ رقم ٢١٥) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد برقم (١٥٧).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٣٨-٢٣٩).

(٤) سورة البقرة الآية: ١٧٢.

وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه باستعمالها بطاعته، والتقوى بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾ فالشكر في هذه الآية هو العمل الصالح<sup>(١)</sup>.

٤- وأما شكر من أجرى الله سبحانه النعمة على يده، فقد قال النبي ﷺ: « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي<sup>(٣)</sup> رحمه الله: « هذا الكلام يتأول على وجهين:

أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم، لاتصال أحد الأمرين بالآخر<sup>(٤)</sup>.

٥- وأما خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، فإن مطالعة آلاء الله ونعمائه تورث الذل والخضوع للمنعم ومحبته، فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه،

(١) تيسير الكريم الرحمن ص (٨١).

(٢) أبو داود في سننه (٤٨١١/٥)، والترمذي (١٩٥٤/٤)، وأحمد في المسند (٢٥٨/٢، ٢٩٥، ٣٠٣-٣٠٤، ٣٨٨، ٤١٦، ٤٩٢)، والطيالسي في مسنده (٢٤٩١)، وابن حبان في صحيحه كما في موارد الضمآن (٢٠٧٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم (٤١٦)، وقد ورد بلفظ: « من لم يشكر الناس ».

(٣) هو حمد بن محمد بن الخطاب البستي، أبو سليمان، ولد سنة ٣١٩هـ، فقيه محدث، من أهل بست، توفي سنة ٣٨٨هـ، من تصانيفه: معالم السنن، وإصلاح غلط المحدثين، وغريب الحديث، وأعلام الحديث، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/١٦٦)، إنباه الرواة (١/١٢٥)، خزانة الأدب (٢٨٢/١).

(٤) معالم السنن (٤/١١٣).

من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة، من الإيمان وغيره، فلا بد أن يثير ذلك عنده باعث الذل والخضوع لله تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>؛ لأن أعظم الشكر لله سبحانه هو توحيد عبادته وعبادته وحده لا شريك له؛ لأنه هو الذي خلق وأوجد من العدم، وأسبغ على عباده نعمه ظاهرة وباطنة، وهو الذي رزقهم وأطعمهم، ولم يشاركه في ذلك أحد، فلا يستحق العبادة أحد معه.

إذا تقرر هذا فإن إنعام الرب تعالى على عبده هو إحسان إليه، وتفضل عليه، ومجرد امتنان لا حاجة منه إليه، ولا لمعاوضة، ولا لاستعانة به، ولا ليكثر به من قلة، ولا ليتعزز به من ذلة، ولا ليقوى به من ضعف، سبحانه وبحمده.

وأمره له بالشكر أيضاً إنعام آخر عليه، وإحسان منه إليه، إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة لا إلى الله، والعبد هو الذي ينتفع بشكره، كما قال تعالى: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾<sup>(٢)</sup> فشكر العبد إحسان منه إلى نفسه دنيا وآخرة، فلا يذم ما أتى به من ذلك، وإن كان لا يحسن مقابلة المنعم به، ولا يستطيع شكره، فإنه إنما هو محسن إلى نفسه بالشكر، لا أنه مكافئ به لنعم الرب، فالرب تعالى لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبداً، ولا أقلها، ولا أدنى نعمة من نعمه، فإنه تعالى هو المنعم المتفضل، الخالق للشكر والشاكر، وما يشكر عليه، فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناء عليه، فإنه هو المحسن إلى عبده بنعمه، وأحسن إليه بأن أوزعه شكرها، فشكره نعمة من الله أنعم بها عليه، تحتاج إلى شكر آخر، وهلم جرا<sup>(٣)</sup>.

قال العلامة ابن رجب<sup>(٤)</sup> رحمه الله: « فإذا وفق الله عبده للشكر على نعمه

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٩٦/١).

(٢) سورة النمل الآية: ٤٠.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢٤٢/٢).

(٤) هو الإمام الحافظ الأصولي المفيد، أحد العلماء الزهاد، والأئمة العباد، مفيد المحدثين، وواعظ المسلمين،

الديوية بالحمد أو غيره من أنواع الشكر، كانت هذه النعمة خيراً من تلك النعم وأحبّ إلى الله عز وجل منها، فإن الله يحب المحامد، ويرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها، والثناء بالنعم والحمد عليها وشكرها عند أهل الجود والكرم أحب إليهم من أموالهم، فهم يذلونها طلباً للثناء، والله عز وجل أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، فهو يذل نعمه لعباده، ويطلب منهم الثناء بها، وذكرها، والحمد عليها، ويرضى منهم بذلك شكراً عليها، وإن كان ذلك كله من فضله عليهم، وهو غير محتاج إلى شكرهم؛ لكنه يحب ذلك من عباده، حيث كان صلاح العبد وفلاحه وكمال فيه؛ ومن فضله أنه نسب الحمد والشكر إليهم، وإن كان من أعظم نعمه عليهم، وهذا كما أنه أعطاهم ما أعطاهم من الأموال، ثم استقرض منهم بعضه، ومدحهم بإعطائه، والكل ملكه ومن فضله، ولكن كرمه اقتضى ذلك»<sup>(١)</sup> اهـ.

إذا تقرر هذا فإن من تمام نعمته سبحانه، وعظيم بره وكرمه وجوده محبته له على هذا الشكر، ورضاه منه به، وثنائه عليه به، ومنفعته وفائدته مختصة بالعبد، لا تعود منفعته على الله، وهذا غاية الكرم الذي لا كرم فوقه، ينعم عليك ثم يوزعك شكر النعمة، ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك، ويجعله سبباً لتوالي نعمه واتصالها إليك، والزيادة على ذلك منها<sup>(٢)</sup>.

شيخ الخنابلة، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد ابن أبي البركات، مسعود البغدادي، ثم الدمشقي، الخنيلي الشهير بابن رجب، صاحب التصانيف الكثيرة، ولد سنة ٧٣٦، وتوفي سنة ٧٩٥هـ.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة (١٣٠/١-١٣١)، وإنباء الغمر للحافظ (٤٢/١)، وشذرات الذهب لابن العماد (٣٩٦/٨-٣٩٧).

(١) جامع العلوم والحكم (٨٢/٢-٨٣).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢٤٢/٢).

٢- وأما الحمد بالمعنى الآخر وهو حمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، فإن هذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال، وهي أمور وجودية، فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها، ولا خير ولا كمال، ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صفات الكمال، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت أنه المستحق للمحامد الكاملة، وهو أحق من كل محمود بالحمد، والكمال من كل كامل وهو المطلوب<sup>(١)</sup>.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: « والمقصود أن الرب أسماؤه كلها حسنى، ليس فيها اسم سوء، وأوصافه كلها كمال ليس فيها صفة نقص، وأفعاله كلها حكمة ليس فيها فعل خالٍ عن الحكمة والمصلحة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم، موصوف بصفة الكمال، مذكور بنعوت الجلال، منزّه عن الشبيه والمثال، ومنزّه عما يضادّ صفات كماله، فمنزّه عن الموت المضاد للحياة، وعن السنة والنوم والسهو والغفلة المضادّ للقيومية، وموصوف بالعلم منزّه عن أضداده كلها من النسيان والذهول وعزوب شيء عن علمه، موصوف بالقدرة التامة، منزّه عن ضدها من العجز واللغوب<sup>(٢)</sup> والإعياء، موصوف بالعدل منزّه عن الظلم، موصوف بالحكمة منزّه عن العبث، موصوف بالسمع والبصر منزّه عن أضدادهما من الصمم والبكم، موصوف بالعلو والفوقية منزّه عن أضداد ذلك، موصوف بالغنى التام، منزّه عما يضادّه بوجه من الوجوه، ومستحق للحمد كله، فيستحيل أن يكون غير محمود، كما يستحيل أن يكون غير قادر ولا خالق ولا حيّ، وله الحمد كله واجب لذاته، فلا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا إلهاً ورباً وقادراً<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨٤/٦).

(٢) قال ابن منظور: « اللغوب : التعب والإعياء » اللسان (٢٩٤/١٢).

(٣) طريق المهجرتين ص (٢١٤).

وقال رحمه الله تعالى « ومن استقرأ الأسماء الحسنى وجدها مدائح وثناءً تقصر بلاغات الواصفين عن بلوغ كنهها، وتعجز الأوهام عن الإحاطة بالواحد منها، ومع ذلك فله سبحانه محامد ومدائح وأنواع من الثناء لم تتحرك بها الخواطر، ولا هجست في الضمائر، ولاحت لتوسم، ولا سنحت في فكر، ففي دعاء أعرف الخلق بربه، وأعلمهم بأسمائه وصفاته ومحامده: « أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي »<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيح عنه ﷺ في حديث الشفاعة لما يسجد بين يدي ربه قال: « فيفتح على قلبي من محامده بشيء لا أحسنه الآن »<sup>(٢)</sup>.

وكان يقول في سجوده: « أعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(٣)</sup>.

فلا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه البتة، وله أسماء وأوصاف وحمد وثناء لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ونسبة ما يعلم العباد من ذلك إلى ما لا يعلمونه كنفرة عصفور في بحر<sup>(٤)</sup>.

والمقصود أنه سبحانه لكمال أسمائه وصفاته موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، له كل ثناء حسن، ولا يصدر عنه إلا كل فعل جميل، ولا يسمى إلا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٠/٦)، وأحمد (٣٩١/١، ٤٥٢)، والطبراني في الكبير (١٠/١٦٩)، وابن حبان (٢٥٣/٣)، والحاكم (١/٦٩٠).

جميعاً من حديث فضيل بن مرزوق، عن أبي موسى الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء (ح/٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه باب: شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومقامه الممود (ح/٣٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح/٤٨٦).

(٤) طريق المهجرتين ص (٢٥٠-٢٥١).

بأحسن الأسماء، ولا يثنى عليه إلا بأكمل الثناء، وهو المحمود المحبوب المعظم، ذو الجلال والإكرام على كل ما قدره وخلقه، وعلى كل ما أمر به وشرعه. ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى واستقراء آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام، ورأى سريان آثارها فيهما، وعلم - بحسب معرفته - ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق، فاستدلّ بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله، فإنه لا يفعل بخلاف موجب حمده وحكمته، وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به، فيعلم أنه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته<sup>(١)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله: « الوجه الثاني: - أي النوع الثاني من أنواع الحمد - أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه وشرعه، وعلى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام»<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فكل صفة عليا واسم حسن وثناء جميل وكل حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال وإكرام فهو لله عز وجل على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها، وجميع ما يوصف به ويذكر به ويخبر عنه به فهو محامد له وثناء وتسبيح

(١) انظر: طريق المهجرتين ص (٢٣٨).

(٢) توضيح الكافية الشافية ضمن المجموعة الكاملة لابن السعدي، العقيدة الإسلامية (٢٣٢/٣).

وتقديس، فسبحانه وبحمده لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني به عليه خلقه، فله الحمد أولاً وآخرأ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ورفيع مجده وعلو جده<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: طريق المهجرين ص (٢٤٢).



المبحث الثاني  
أنواع الحمد باعتبار العائد

وفيه مطلبان

المطلب الأول: حمد الله تعالى لنفسه

المطلب الثاني: حمد المخلوقات لله تعالى

لما سبق في المبحث السابق أن تعرضت إلى بعض ما يتعلق بنوع من أنواع الحمد باعتبار المحمود وهو الله تبارك وتعالى - وقد ذكرت أن أنواع الحمد باعتبار المحمود ينقسم إلى قسمين: وهما: حمد الله تعالى على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وقد بينت شيئاً مما يتعلق بهذين النوعين، وإني بصدد هذا المبحث إن شاء الله سأعرض إلى شيء من التفصيل فيما يتعلق بأنواع الحمد باعتبار الحامد، وقد قمت بوضع كل نوع في مطلب، وسأبدأ المطلب الأول بالتعرض لما يتعلق بحمد الله تعالى لنفسه، وسأعقبه في المطلب الثاني بالتعرض إلى النوع الثاني من أنواع الحمد باعتبار الحامد ألا وهو حمد المخلوقات لله تعالى فأقول وبالله التوفيق:

### المطلب الأول: حمد الله تعالى لنفسه

قد نبه الله سبحانه على شمول حمده لخلقه وأمره، بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعند الأمر والشرع، وحمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية وعلى حياته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليق بكماله من اتخاذ الولد والشريك وموالاته أحد من خلقه لحاجته إليه، وحمد نفسه على علوه وكبريائه، وحمد نفسه في الأولى والآخرة، وأخبر عن سريان حمده في العالم العلوي والسفلي، ونبه على هذا كله في كتابه، وحمد نفسه عليه.

فتوّع حمده وأسباب حمده، وجمعها تارة وفرقها أخرى ليتعرف إلى عبادته ويعرفهم كيف يحملونه، وكيف يشنون عليه، ولتجنب إليهم بذلك ويحبهم إذا عرفوه وأحبوه وحمدوه<sup>(١)</sup>.

والمؤمنون وإن كانوا يحمدون ربهم ويشنون عليه فهم لا يحصون ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه، وهو يجب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له، ويجب ثناء هم عليه، وثناءه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « فالمؤمنون وإن كانوا يحمدون ربهم ويشنون عليه فهم لا يحصون ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه، كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه كان يقول: « اللهم إني أعوذ برضائك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(٢)</sup>.

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: « لا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه »<sup>(٣)</sup>، وقال له الأسود بن سريع<sup>(٤)</sup>: إني حمدت ربي بمحامد، فقال:

(١) انظر طريق المهجرتين وباب السعادتين ص (٢٣٩).

(٢) تقدم ترجمته ص (٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (ح/٧٤٠٣) ، وأخرجه

مسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش (ح/٣٢).

(٤) الأسود بن سريع بن حمير بن عباد السعدي التميمي كنيته أبو عبد الله وهو أول من قص في المسجد

« إن ربك يحب الحمد »<sup>(١)</sup>، فهو يحب حمد العباد له، وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له، ويحب ثناءهم عليه، وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه، وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه، فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد، وهو الموصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق، فالعظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قرأ على المنبر ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه ﴾<sup>(٢)</sup>، قال: « يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً، أنا الذي أعيدها »<sup>(٣)</sup> وفي رواية « يمجّد الرب نفسه سبحانه »<sup>(٤)</sup>، فهو يحمّد نفسه ويثني عليها، ويمجّد نفسه سبحانه وتعالى، وهو الغني بنفسه لا يحتاج إلى أحد غيره، بل كل ما سواه فقير إليه، ﴿ يسئله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾<sup>(٥)</sup> وهو

الجامع بالبصرة، وكان شاعراً لساناً والأحنف بن قيس ابن عمه مات يوم الجمل سنة ست وثلاثين وقد قيل إنه بقي إلى ولاية معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه. انظر في ترجمته: الكنى والأسماء (٤٦٦/١)، المقتنى في سرد الكنى (٣٤٨/١)، والتاريخ الكبير (٣١٤/١)، الجرح والتعديل (٢٩١/٢)، ومشاهد علماء العصر (٣٨/١)، والثقات (٨/٣)، وتهذيب التهذيب (٢٩٥/١)، والكاشف (٢٥٠/١)، وتهذيب الكمال (٢٢٢/٣)، والطبقات الكبرى (٤١/٧)، والإصابة (٧٤/١)، ونزهة الألباب في الألقاب (٢٠٧/١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥٨/١-٢٥٩) رقم (٨٢١-٨٢٢-٨٢٣-٨٢٤-٨٢٥).  
والحاكم في المستدرک (٦١٤/٣)، وأحمد في المسند (٤٣٥/٣) رقم (١٥٦٢٤)، من طرق عن الحسن ابن أبي الحسن البصري، عن الأسود بن سريع رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) سورة الزمر الآية: ٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب ١٩ - قول الله لما خلقت بيدي (ح/٧٤١٢)، ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين (ح/٢٧٨٧).

(٤) هذه الرواية أخرجه أحمد (٧٢، ٨٨٧، ٨٨/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٠٢/٤ - ح/٧٦٩٥)، وابن بطة في الإبانة (٢٨٦/٣) برقم (٢١٧)، وغيرهم، وصححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند (٥٤١٤).

(٥) سورة الرحمن الآية: ٢٩.

الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»<sup>(١)</sup>.

فإنه تبارك وتعالى يحب حمد العباد له، وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له، وحمده قد ملأ السماوات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «والرب سبحانه حمده قد ملأ السماوات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك، فملأ العالم العلوي والسفلي والدنيا والآخرة، ووسع حمده ما وسع علمه، فله الحمد التام على جميع خلقه، ولا حكم يحكم إلا بحمده، ولا قامت السماوات والأرض إلا بحمده، ولا يتحول شيء في العالم العلوي والسفلي من حال إلى حال إلا بحمده، ولا دخل أهل الجنة، الجنة وأهل النار، النار إلا بحمده، كما قال الحسن<sup>(٢)</sup> رحمة الله عليه: «لقد دخل أهل النار النار وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلاً»<sup>(٣)</sup>.

وهو سبحانه إنما أنزل الكتاب بحمده، وأرسل الرسل بحمده، وأمات خلقه بحمده، ويحييهم بحمده، ولهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(٤)</sup>، وحمد نفسه على إنزال كتبه فقال ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾<sup>(٥)</sup>.

وحمد نفسه على خلق السماوات والأرض ﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض

(١) مجموع الفتاوى (١٤٤/٨-١٤٥)، وانظر: (٣٦١/١١).

(٢) الحسن ابن أبي الحسن البصري، واسم أبيه: يسار، بالتحانية والمهملية، الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوّز ويقول: حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة، هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة عشرة ومائة، وقد قارب التسعين، روى له الجماعة. تقريب التهذيب ص (٩٩).

(٣) ذكره عنه ابن القيم في شفاء العليل (١٥٣/٢).

(٤) سورة الأنعام الآية: ٤٥.

(٥) سورة الكهف الآية: ١.

وجعل الظلمت والنور ﴿١﴾.

وحمد نفسه على كمال ملكه: ﴿ الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله

الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾ ﴿٢﴾.

فحمده ملأ الزمان والمكان والأعيان وعمّ الأقوال كلها: ﴿ فسبحان الله حين تمسون

وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ ﴿٣﴾.

وكيف لا يحمد على خلقه كله وهو: ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ ﴿٤﴾.

وعلى صنعه وقد أتقنه: ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ ﴿٥﴾.

وعلى أمره وكله حكمة ورحمة، وعدل ومصلحة، وعلى نهيه وكل ما نهى عنه

شرّ وفساد، وعلى ثوابه وكله رحمة وإحسان، وعلى عقابه وكله عدل وحق، فله

الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله ﴿٦﴾. والمقصود

هنا أن الله تعالى قد أكثر من حمده لنفسه في محكم كتابه ليتعرف إلى عبادته، ويعرفهم

كيف يحمدهون ويثنون عليه.

فقد افتتح الله جل وعز كتابه بالحمد فقال عز قائلنا عليما ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ﴿٧﴾.

والألف واللام في « الحمد » لاستغراق جميع المحامد ﴿١﴾.

(١) سورة الأنعام الآية: ١.

(٢) سورة سبأ الآية: ١.

(٣) سورة الروم الآية: ١٨، ١٧.

(٤) سورة السجدة الآية: ٧.

(٥) سورة النمل الآية: ٨٨.

(٦) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١٥٣/٢-١٥٥).

(٧) سورة الفاتحة الآية: ١.

قال ابن جرير رحمه الله: « في قول القائل ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ يعني أن جميع المحامد لله تعالى بألوهيته وإنعامه، بما أنعم به عليهم من النعم التي لا كفاء لها في الدين والدنيا، والعاجل والآجل، وهو جل ذكره، حمد نفسه وأثنى عليها، بما هو له أهل، ثم، علم ذلك عباده، وفرض عليهم تلاوته، اختباراً منه لهم، وابتلاء»<sup>(١)</sup>.

وكذلك فقد حمد الله تعالى نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، فقال عز وجل قائلاً عليمًا: ﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عموماً، وعلى هذه المذكورات خصوصاً، فحمد نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك كالليل والنهار والشمس والقمر، والمعنوي كظلمات الجهل والشك، والشرك والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان واليقين والطاعة، وهذا كله يدل دلالة قاطعة أنه تعالى المستحق للعبادة وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك فقد حمد نفسه سبحانه ممتناً على عباده المؤمنين بإهلاكه الظالمين، قال

(١) انظر جامع البيان (٦٠/١)، وأضواء البيان (٣٣/١).

(٢) جامع البيان (٦٠/١-٦١).

(٣) سورة الأنعام الآية: ١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٢٥٠).

تعالى: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبري رحمه الله: « فاستأصل القوم الذين عتوا على ربهم، وكذبوا رسله، وخالفوا أمره عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلا هلك بغتة، إذ جاءهم عذاب الله، والحمد لله رب العالمين » يقول: والثناء الكامل، والشكر التام لله رب العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته، بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر، وتحقيق عدتهم ما وعدهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله، من نقم الله وعاجل عذابه<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله: « قيل: على إهلاكهم، وقيل: تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه، وتضمنت هذه الآية الحجة على وجوب ترك الظلم؛ لما يعقب من قطع الدابر، إلى العذاب الدائم، مع استحقاق القاطع الحمد من كل حامد<sup>(٣)</sup> ».

وكذلك فقد حمد نفسه سبحانه على إنزاله الكتاب فقال تعالى ﴿ الحمد لله الذي

أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً<sup>(٤)</sup> ».

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: « حمد نفسه سبحانه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم من الظلمات إلى النور، حيث جعله كتاباً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ، بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحاً بيناً جلياً نذيراً للكافرين بشيراً للمؤمنين ولهذا قال: ﴿ ولم يجعل له عوجاً<sup>(٤)</sup> أي لم يجعل فيه اعوجاجاً، ولا زيغاً،

(١) سورة الأنعام الآية: ٤٥.

(٢) جامع البيان (١/١٩٥-١٩٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٧٥).

(٤) سورة الكهف الآية: ١.



ولا ميلا بل جعله معتدلاً مستقيماً»<sup>(١)</sup>.

فقد حمد الله تبارك وتعالى نفسه على أجل نعمه على الإطلاق بإنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، محمد ﷺ.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى « الحمد لله الشاء عليه بصفاته، التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدنية والدينية، وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله محمد ﷺ، فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيم مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة يقتضي أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجل الاخبارات، وهي الأخبار، التي تملأ القلوب معرفة وإيماناً وعقلاً، كالأخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه تزكي النفوس، وتطهرها وتنميها وتكملها، لاشتمالها على كمال العدل والقسط، والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له، وحقيق بكتاب موصوف بما ذكر أن يحمد الله نفسه على إنزاله، وأن يتمدح إلى عباده به»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك فقد حمد نفسه سبحانه على أن له ما في السماوات وما في الأرض،

فقال تعالى: ﴿ الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم

الخبير﴾<sup>(٣)</sup>.

فقد حمد نفسه هنا، على أن ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ ملكاً وعبيداً،

(١) تفسير القرآن العظيم (٧٠/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص (٤٦٩ - ٤٧٠).

(٣) سورة سبأ الآية: ١.

يتصرف فيهم بحمده، ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ لأن في الآخرة يظهر من حمده والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «...ابتدأ سبحانه السورة بحمده الذي هو أعم المعارف وأوسع العلوم، وهو متضمن لجميع صفات كماله ونعوت جلاله مستلزم لها، كما هو متضمن لحكمته في جميع أفعاله وأوامره فهو المحمود على كل حال وعلى كل ما خلقه وشرعه، ثم عقب هذا الحمد بملكه الواسع المديد فقال: ﴿الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم عقبه بأن هذا الحمد ثابت له في الآخرة غير منقطع أبداً، وقرن بين الملك والحمد على عادته تعالى في كلامه، فإن اقتران أحدهما بالآخر له كمال زائد على الكمال بكل واحد منهما، فله كمال من ملكه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر، فإن الملك بلا حمد يستلزم نقصاً، والحمد بلا ملك يستلزم عجزاً، والحمد مع الملك غاية الكمال<sup>(٣)</sup>.

والمقصود هنا أن الملك والحمد في حقه تعالى متلازمان، فكل ما شمله ملكه وقدرته شمله حمده، فهو محمود في ملكه.

وله الملك والقدرة مع حمده، فكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته، ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند خلقه وأمره، لينبه عباده على أن مصدر خلقه وأمره عن حمده، فهو محمود على كل ما خلقه وأمر به حمد شكر وعبودية، وحمد ثناء ومدح<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (٦٧٤).

(٢) سورة سبأ الآية: ١.

(٣) بدائع الفوائد (١/٨٨-٨٩).

(٤) انظر: طريق المحجرتين ص (٢٣٠-٢٣١).

إذا تقرر هذا فإن الله تبارك وتعالى قد أكثر من حمده لنفسه في محكم كتابه، وقرر عباده بفضله ونعمه، كل ذلك كي لا يصرف شيء من العبادة لغيره، فإنه هو المستحق لأن يعبد دون ما سواه من خلقه، ولذلك فقد حمد نفسه على ألوهيته وبرأته على الأنداد والأضداد والشركاء كما قال تعالى ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذوا ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ﴾<sup>(١)</sup>.

وحمد نفسه إذ خلق الخلق وأخرجهم من غيابة العدم إلى الظهور، كما قال تعالى ﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مشى وثلاث ورباع ﴾<sup>(٣)</sup> وحمد نفسه على آلائه، وسعة فضله وخيره، وعلى ما يظهر من الآيات التي لا تنبغي لغيره فقال تعالى ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ﴾<sup>(٥)</sup> وحمد نفسه وإن كان الجاهلون به غير حامدين، كما قال تعالى: ﴿ قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾<sup>(٦)</sup>، وحمد نفسه إذ قطع دابرهم، وقمع أولهم وأخرهم كما قال تعالى: ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(٧)</sup> وحمد نفسه إذ الحمد له في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى

(١) سورة الإسراء الآية: ١١١.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١.

(٣) سورة فاطر الآية: ١.

(٤) سورة الكهف الآية: ١.

(٥) سورة النمل الآية: ٩٣.

(٦) سورة العنكبوت الآية: ٦٧.

(٧) سورة الأنعام الآية: ٤٥.

﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾<sup>(١)</sup>، وحمد نفسه إذ لا ملك ولا حمد في الدنيا والآخرة إلا له، كما قال تعالى ﴿ له الملك وله الحمد ﴾<sup>(٢)</sup>، وحمد نفسه على أنه مالك الخلق أجمعين كما قال تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى ﴿ الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ﴾<sup>(٤)</sup> فالله تعالى هو الحامد والمحمود من نفسه لنفسه، لكون الحمد حقيقة وصفه، ولا يمكن لموجود في الوجود أن يحمد الله بمثل الحمد الذي حمد به نفسه، لأن حمد الله تعالى لنفسه يرجع إلى علمه بذاته وصفاته وأفعاله على ما هي عليه، ولا سبيل لمخلوق أن يعلم ذلك، فلذلك يكون حمد المخلوق قاصراً عن حمد الخالق، ولذلك قال النبي ﷺ: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(٥)</sup>. فلما حمد نفسه كما ينبغي أمر عباده أن يمدوه بمقدار وسعهم، وهو ما سيأتي بيانه في المطلب الثاني.

(١) سورة القصص الآية: ٧٠.

(٢) سورة التغابن الآية: ١.

(٣) سورة الفاتحة الآية: ١.

(٤) سورة سبأ الآية: ١.

(٥) سبق تخريجه ص: (٤٨).

### المطلب الثاني: حمد المخلوقات لله تعالى

الله تبارك وتعالى أهل لأن يعبد ويحب ويحمد ويثنى عليه وهذا أمر ثابت له لذاته فلا يكون إلا كذلك، كما أنه الغني القادر الحي القيوم السميع البصير، فهو سبحانه الإله الحق المبين، والإله هو الذي يستحق أن يؤله محبة، وتعظيماً، وخشية، وخضوعاً، وتذللاً، وعبادة، فهو الإله الحق ولو لم يخلق خلقه، وهو الإله الحق ولو لم يعبدوه.

فهو المعبود حقاً، المحمود حقاً، ولو قدر أن خلقه لم يعبدوه ولم يحمده، ولم يألوه، فهو الله الذي لا إله إلا هو قبل أن يخلقهم، وبعد أن خلقهم، وبعد أن يفنيهم، لم يستحدث بخلقهم ولا بأمره إياهم استحقاق الإلهية والحمد، بل إلهيته وحمده ومجده وغناه وأوصاف ذاتية له يستحيل مفارقتها له كحياته ووجوده وقدرته وعلمه وسائر صفات كماله.

فأولياؤه وخاصته وحزبه لما شهدت عقولهم وفطرتهم أنه أهل أن يعبد، وإن لم يرسل إليهم رسولا ولم ينزل عليهم كتابا ولو لم يخلق جنة ولا ناراً، علموا أنه لا شيء في العقول والفطر أحسن من عبادته، ولا أقبح من الإعراض عنه، وجاءت الرسل، وأنزلت الكتب لتقرير ما استودع سبحانه في العقول والفطر من ذلك، وتكميله، وتفصيله، وزيادته حسناً إلى حسنه، فاتفقت شريعته وفطرته، وتطابقا، وتوافقا، وظهر أنهما من مشكاة واحدة، فعبدوه وأحبوه ومجدوه وحمدوه، بداعي الفطرة، وداعي الشرع، وداعي العقل، فاجتمعت لهم الدواعي ونادتهم ودعتهم إلى وليهم وإلههم وفاطرتهم، فأقبلوا إليه بقلوب سليمة لم يعارض خيره عندها شبهة توجب ريباً وشكاً ولا أمره شهوة توجب رغبتها عنه وإيثاره سواه، فأجابوا دواعي المحبة والطاعة إذ نادى بهم: حي على الفلاح، وبذلوا أنفسهم في مرضاة مولاهم الحق.

ولا ريب أن كمال العبودية تابع لكمال المحبة، وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه، والله سبحانه له الكمال المطلق التام من كل وجه، الذي لا يعتره توهم نقص أصلاً، ومن هذا شأنه فإن القلوب لا يكون شيء أحب إليها منه ما دامت قطرها وعقولها سليمة، وإذا كانت أحب الأشياء إليها، فلا محالة أن محبته توجب

عبوديته، وحمده، وطاعته، وتتبع مرضاته، واستفراغ الجهد في التعبد له والإنابة إليه. وهذا الباعث أكمل بواعث العبودية وأقواها، حتى لو فرض تجرده عن أمر والنهي والثواب والعقاب استفراغ الوسع واستخلص القلب للمعبود الحقض<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم في المطلب السابق أن حمد الله تبارك وتعالى لنفسه هو أكمل الحمد، لأن حمد الله تعالى لنفسه يرجع إلى علمه بذاته وصفاته وأفعاله على ما هي عليه، ولا سبيل لموجود سواه أن يعلم ذلك، فلذلك يكون حمد المخلوق قاصراً عن حمد الخالق، ولذلك قال النبي ﷺ: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(٢)</sup>.

فلما حمد الله تعالى نفسه كما ينبغي أمر عباده أن يحمده بمقدار وسعهم، ولطف أيضاً بعباده إذ علمهم كيف يحمده وألهمهم حمده لما يعود إليهم من عظيم الأجر وجزيل المآب على حمده.

**فانقسم عباده في حمده على أقسام ؛** أما الملائكة فهم حامدون لله تبارك وتعالى سراً وجهاراً، وباطناً وظاهراً، كما أخبر الله تبارك وتعالى عنهم بقوله: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به...﴾<sup>(٣)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله: « هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله تعالى، وخصوصاً التسبيح والتحميد، وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده؛ لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، وحمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى »<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى عن حمد الملائكة وكمال عبادتهم لربهم تبارك وتعالى ﴿ومن عنده﴾ أي: من الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستسحرون﴾ أي: لا يعملون ولا يسأمونها،

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٥٠٥-٥٠٦).

(٢) تقدم نخرجه ص: (٤٨).

(٣) سورة غافر الآية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص (٧٣٢).

لشدة رغبتهم وكمال محبتهم، وقوة أبدانهم ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾<sup>(١)</sup> أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم، فليس في أوقاتهم وقت فارغ منها، وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمته سبحانه وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته، ما يوجب أن لا يعبد إلا هو ولا تصرف العبادة لغيره<sup>(٢)</sup>.

فحال الملائكة أنهم يحمدون ربه سبحانه في كل حال وفي كل آن، وأما أنبياء الله تعالى فقد سلكوا من حمده سبحانه المسلك الذي سلكته الملائكة، فهم يحمدون الله تبارك وتعالى على كل حال بلسان المقال والحال، وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ في محكم كتابه بالإعلان بحمده، فكان عليه الصلاة والسلام لا يقوم ولا يقعد إلا على ذكره سبحانه، فقال له تعالى: ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾<sup>(٣)</sup>؛ وقال تعالى: ﴿ وتوكل على الحي الذي يموت وسبح بحمده ﴾<sup>(٤)</sup>.

فكان محمد ﷺ لربه كما أمر حامداً مثنياً عليه سبحانه بما هو أهله، وهو ﷺ يوم القيامة بيده لواء الحمد، وآدم من دونه تحت ذلك اللواء، كما قال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر »<sup>(٥)</sup>، فلما كان صلوات الله وسلامه عليه أحمد الخلائق لله، وأكملهم قياماً بحمده أعطي لواء الحمد، ليأوي إلى لوائه الحامدون، وهو لواء حقيقي يحمله النبي ﷺ يوم القيامة بيده ينضوي تحته وينضم إليه جميع الحامدين

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٠.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (٥٢٠-٥٢١).

(٣) سورة طه الآية: ١٣٠.

(٤) سورة الفرقان الآية: ٥٨.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٨٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٣٦٣)، وأحمد في المسند

(١/٢٨١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧١).

من الأولين والآخرين، وأقرب الخلق إلى لوائه أكثرهم حمداً وذكرأً وقياماً بأمره<sup>(١)</sup>.  
 وخص اللواء بالحمد، لأنه أحب شيء إلى الله تعالى واشتق لأحب خلقه إليه،  
 وألزمهم عليه من الحمد اسمين يتضمنان كثرة حمده وفضله<sup>(٢)</sup>، وهما محمد وأحمد،  
 والفرق بينهما من وجهين:

١- أحدهما: أن محمداً هو المحمود حمداً بعد حمد، فهو دال على كثرة حمد  
 الحامدين له، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه، وأحمد أفعل تفضيل من الحمد  
 يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره، فمحمد زيادة حمد في  
 الكمية، وأحمد زيادته في الكيفية، فيحمد أكثر حمد، وأفضل حمد حمده البشر<sup>(٣)</sup>.

٢- الوجه الثاني: أن محمداً هو المحمود حمداً متكرراً، كما تقدم، وأحمد هو الذي  
 حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره، فدل أحد الاسمين - وهو محمد - على كونه  
 محموداً، ودل الاسم الثاني - وهو أحمد - على كونه أحمد الحامدين لربه<sup>(٤)</sup>، ولا ريب  
 أنه ﷺ أحمد الحامدين لربه سبحانه وتعالى، لأن الحمد والثناء تابع للمعرفة والعلم  
 بصفات المحمود، وهو ﷺ أعظم الناس حمداً لربه وثناء عليه لأنه أعلم الخلق به سبحانه.  
 وقد قام ﷺ حتى تفترت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من  
 ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(٥)</sup>.

واقصر ﷺ من جوابهم على ما تدركه عقولهم، وتناله أفهامهم، وإلا فمن المعلوم

(١) انظر: فقه الأدعية والأذكار للدكتور عبد الرزاق البدر ص (٢٣١).

(٢) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٧٩).

(٣) انظر: جلاء الأفهام ص (٢٩٩)، وزاد المعاد (١/٨٧، ٩٣)، والجواب الصحيح (٥/١٩٩).

(٤) انظر: جلاء الأفهام ص (٢٩٩).

(٥) أخرجه البخاري باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل (ح/١١٣٠)، ومسلم، باب: إكثار

الأعمال والاجتهاد في العبادة (ح/٢٨١٩)، عن المغيرة بن شعبة.



أن باعته على ذلك الشكر أمر أجل عن الوصف ولا تناله العبارة ولا الأذهان<sup>(١)</sup>.

وفي الموقف يوم القيامة في شفاعته الكبرى صلوات الله وسلامه عليه يفتح عليه الله تبارك وتعالى من محامده ما لا يحسنه الآن<sup>(٢)</sup>، وتلك المحامد هي الثناء عليه سبحانه بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا.

فنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه هو أحمد الخلق لله تبارك وتعالى، وإخوانه من الأنبياء حمدهم هو أكمل الحمد لله تبارك وتعالى لكمال علمهم بما يستحقه سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العليا.

ثم أولياء الله تبارك وتعالى من عباده، وجميع المؤمنين من خلقه يمدون الله تعالى على مقدار علمهم ومعرفتهم بحقه سبحانه، فمن وفقه الله تبارك وتعالى وأكرمه ومنّ عليه بان علم بأن الله العظيم أعظم حمد وأتمه وأكمله على ما من به من معرفته وتوحيده والإقرار بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، وإقرار القلوب بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، رب العالمين، قيوم السماوات والأرضين، إله الأولين والآخرين، ولا يزال موصوفاً بصفات الجلال، منعوتاً بنعوت الكمال، مترها عن أضدادها من النقائص والتشبيه والمثال، فهو الحي القيوم الذي لكمال حياته وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم، مالك السماوات والأرض الذي لكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، العالم بكل شيء الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم، فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، يعلم دبيب الخواطر في القلوب حيث لا يطلع عليها الملك، ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطلع عليها القلب.

البصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٥٠٧).

(٢) انظر: ص: (٤٧).

ودمها ومخها وعروقها، ويرى ذبيها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع، السميع الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشبهه عليه ولا يشغله منها سمع عن سمع، القدير الذي لكمال قدرته يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ويجعل المؤمن مؤمنا، والكافر كافرا، والبر برا، والفاجر فاجرا، ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء سبحانه أن يعلمه إياه، ولكمال قدرته خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، ولا يعجزه أحد من خلقه، ولا يفوته، بل هو في قبضه أين كان، ولكمال غناه استحال إضافة الولد والصاحبة والشريك والشفيع بدون إذنه إليه، ولكمال عظمته وعلوه وسع كرسية السماوات والأرض، ولم تسعه أرضه ولا سماواته ولم تحط به مخلوقاته، بل هو العالي على كل شيء وهو بكل شيء محيط، وهو سبحانه له الحكمة البالغة في خلقه وأمره وله النعمة السابغة على خلقه، وكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل، وهو سبحانه حكيم كريم جواد ماجد محسن ودود صبور شكور يطاع فيشكر ويعصى فيغفر، لا أحد أصبر على أذى سمعه منه سبحانه، ولا أحد أحب إليه المدح منه، ولا أحد أحب إليه العذر منه، ولا أحد أحب إليه الإحسان منه، فهو محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، جميل يحب الجمال، طيب يحب كل طيب، عليم يحب العلماء، كريم يحب الكرماء ...

ويحب أسماءه وصفاته، ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويدعوه بها، ويحب من يعرفها ويعقلها ويثني عليه بها ويحمده ويمدحه بها، كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: « لا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك أتنى على نفسه، ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين »<sup>(١)</sup>، وفي حديث آخر « لا

(١) أخرجه البخاري باب : إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (ح/٤٦٣٤)، (ح/٧٤١٦)، ومسلم في

أحد أصبر على أذى سمعته من الله، يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم»<sup>(١)</sup>.

ولحبه سبحانه لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت.

ولما كان سبحانه يحب أسمائه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بما ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد.

والمقصود أنه سبحانه لكامل أسمائه وصفاته موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، له كل ثناء حسن ولا يصدر عنه إلا كل فعل جميل، ولا يسمى إلا بأحسن الأسماء ولا يثنى عليه إلا بأكمل الثناء، وهو الحمود المحبوب المعظم ذو الجلال والإكرام على كل ما قدره وخلقته، وعلى كل ما أمر به وشرعه<sup>(٢)</sup>.

ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه سبحانه الحسنى، وصفاته العليا، استوجب ذلك منه حمداً يليق بجلال الله تبارك وتعالى، ومن علم أن كل نعمة فمنه سبحانه وتعالى استوجب منه ذلك حمداً يليق بجلال الله تبارك وتعالى.

ولذا فإن أكمل الناس حمداً لله تبارك وتعالى من أثبت حقائق الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى كما ينبغي بجلاله، وعمل بمقتضاها على الوجه الذي يحبه الرب

صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله (ح/٦٩٢٣، ٦٩٢٦)، من حديث المغيرة بن شعبة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب : ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (ح/٦٠٩٩)، ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب : غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش (ح/٦٩٢٣)، من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) انظر: طريق المهجرتين ص (١٦٧).

سبحانه.

فالمؤمنون بالله ورسوله يثبتون لله تبارك وتعالى المحامد التي يستحقها، وهؤلاء متفاوتون في حمده، فمن كان بالله أعلم كان له أحمد.

وأما الكفار فإنهم حامدون لله تعالى بلسان حالهم كما قال تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا يسبحه بحمده ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما حمدهم لله تبارك وتعالى بلسان قائلهم، فهم غير حامدين لله تعالى بألسنتهم، لأنهم أشركوا به سبحانه ووصفوه بما لا يليق به، وقد قال الله تعالى: ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾<sup>(٢)</sup>، فتره نفسه عما يصفه به أعداء رسله ومكذبوهم.

والخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ينطقون بحمده سبحانه يوم يعرضون عليه سبحانه فيفصل بينهم، ويحكم لأهل طاعته بثوابه وكرامته، ويحكم لأهل معصيته بعقابه وإهانتها، قال تعالى: ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(٣)</sup>، وأخبر عن حمد أهل الجنة له وأنهم لم يدخلوها إلا بحمده، كما أن أهل النار لم يدخلوها إلا بحمده.

فقال عن أهل الجنة: ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى عنهم أنهم يقولون ﴿ وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾<sup>(٥)</sup>.

فحمدوا الله تبارك وتعالى على ذهاب كل حزن فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، ولا في

(١) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٢) سورة الصافات الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الزمر الآية: ٧٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٥) سورة فاطر: الآية ٣٤.

دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيداً، وهو في تزايد أبد الآباد.

﴿ إن ربنا لغفور ﴾ حيث غفر لنا الزلات ﴿ شكور ﴾ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب محبوب<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى عنهم أنهم يقولون: ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾<sup>(٢)</sup> أي: قالوا عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومنّ عليهم وهداهم، الحمد لله الذي صدقنا وعده، أي: وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوقى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما مآنا<sup>(٣)</sup>.

وقال عن أهل النار: ﴿ يوم يدعوكم فتستجبون بحمده ﴾<sup>(٤)</sup>.

أي: تنقادون لأمره ولا تستعصون عليه، وقوله ﴿ بحمده ﴾ أي: هو الحمود تعالى على ما يفعله ويجزي به العباد، إذا جمعهم ليوم التناد<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾<sup>(٦)</sup>. فشهدوا على أنفسهم بالكفر والظلم، وعلموا أنهم كانوا كاذبين في الدنيا مكذبين بآيات ربهم مشركين به جاحدين لإلهيته مغترين عليه، وهذا اعتراف منهم بعدله فيهم، وأخذهم ببعض حقه

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (٦٩٠).

(٢) سورة الزمر الآية: ٧٤.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص: (٧٣١).

(٤) سورة الإسراء الآية: ٥٢.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص: (٤٦٠).

(٦) سورة القصص الآية: ٧٤-٧٥.

عليهم وأنه غير ظالم لهم، وأنهم إنما دخلوا النار بعدله وحمده<sup>(١)</sup>.  
 فالله سبحانه يعبد، ويحمد، ويجب، لأنه أهل لذلك ومستحقه، بل ما يستحقه سبحانه من عباده أمر لا تناله قدرتهم، ولا إرادتهم، ولا تتصوره عقولهم، ولا يمكن أحد من خلقه قط أن يعبد حق عبادته، ولا يوفيه حقه من المحبة والحمد، ولهذا قال أفضل خلقه وأكملهم وأعرفهم به وأحبهم إليه وأطوعهم له: « لا أحصي ثناء عليك »<sup>(٢)</sup> وأخبر أن عمله ﷺ لا يستقل بالنجاة، فقال: « لن ينجي أحد منكم عمله » قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل »<sup>(٣)</sup>، عليه صلوات الله وسلامه عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق.

وفي الحديث المرفوع المشهور: « إن من الملائكة ما هو ساجد لله لا يرفع رأسه منذ خلق، ومنهم راعع لا يرفع رأسه من الركوع منذ خلق إلى يوم القيامة، وأنهم يقولون يوم القيامة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك »<sup>(٤)</sup>.

ولما كانت عبادته وحمده سبحانه تابعة لمحبه وإجلاله، وكانت المحبة نوعين: محبة تنشأ عن الإنعام والإحسان فتوجب حمدا وعبودية بحسب كمالها ونقائصها. ومحبة تنشأ عن جمال المحبوب وكماله فتوجب عبودية وطاعة أكمل من الأولى، كان الباعث على الطاعة والعبودية والحمد لا يخرج عن هذين النوعين<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: طريق المحررتين ص (١٦٩).

(٢) تقدم تخريجه ص (٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل (ح/٦٤٦٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المناققين وأحكامهم، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (ح/٢٨١٨) عن عائشة رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥١٥)، والروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٦٠)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٣٠٧/١٢)، عن أحد أصحاب رسول الله ﷺ.

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (٥٠٧/٢-٥٠٨).

وأما سائر الموجودات من الجماد والحيوان والنبات، فهي حامدة لله تبارك وتعالى بلسان مقالها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾<sup>(١)</sup>، وليس معنى تسبيحها بحمد ربها دلالتها على صانعها فقط، فهذا القول باطل، وفي أي لغة تسمى الدلالة على الصانع تسبيحاً وسجوداً وصلاة وتأويماً وهبوطاً من خشيته كما ذكر تعالى في كتابه؟! فتارة يخبر عنها بالتسبيح، وتارة بالسجود، وتارة بالصلاة، كقوله تعالى: ﴿ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>(٣).

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « ينبه الله تعالى عباده على عظمتهم، وكمال سلطانه، وافتقار جميع المخلوقات له في ربوبيتها، وعبادتها فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَكَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من حيوان وجماد ﴿ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ ﴾ أي: صافات أجنحتها، في جو السماء، تسبح ربها، ﴿ كُلِّ ﴾ من هذه المخلوقات ﴿ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ أي: كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح، إما بواسطة الرسل، كالجن والإنس والملائكة، وإما بإلهام منه تعالى، كسائر المخلوقات غير ذلك، وهذا الاحتمال أرجح، بدليل قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: علم جميع أفعالها، فلم يخف عليه منها شيء، وسيجازيهم بذلك، فيكون على هذا قد جمع بين علمه بأعمالها، وذلك بتعليمه، وبين علمه بأعمالهم المتضمن للجزاء.

ويحتمل أن الضمير في قوله: ﴿ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ يعود إلى الله، وأن الله تعالى قد علم عبادتهم، وإن لم تعلموا أيها العباد منها، إلا ما أطلعكم الله عليه... ، فلما بين

(١) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٢) سورة النور الآية: ٤١.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (١٠٦/٢).

عبوديتهم وافتقارهم إليه - من جهة العبادة والتوحيد - بين افتقارهم، من جهة الملك والترية والتدبير فقال: ﴿ والله ملك السماوات والأرض ﴾ خالقهما ورازقهما، والمتصرف فيها، في حكمه الشرعي والقدري، في هذه الدار، وفي حكمه الجزائي، بدار القرار، بدليل قوله: ﴿ وإلى الله المصير ﴾ أي: مرجع الخلق ومآلهم، ليحازيهم بأعمالهم<sup>(١)</sup>.

فتبين بهذا أن تسييحها بحمد الله تبارك وتعالى تسيح تعبدت به، ومما يزيد دلالة على ذلك ما قاله الإمام الأزهري رحمه الله: « ومما يدل على أن تسيح هذه المخلوقات تسيح تعبدت به، قول الله جل وعز للجبال: ﴿ يا جبال أوبي معه والطير ﴾<sup>(٢)</sup>، ومعنى أوبي أي سبحي مع داود النهار كله إلى الليل، ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله جل وعز للجبال بالتأويب إلا تعبدا لها، وكذلك قوله جل وعز: ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب كثير من الناس ﴾<sup>(٣)</sup>.

فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقها عنها كما لا نفقه تسييحها، وذلك قوله: ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾<sup>(٤)</sup>، وقد علم الله هبوطها من خشيتها، ولم يعرفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أعلمنا ولا ندعي بما لم نكلف بأفهامنا، من علم فعلها كيفية نحتها<sup>(٥)</sup>.

والمقصود أن تسيح الكائنات بحمد الله تبارك وتعالى تسيحاً حقيقياً لا يفقهه

(١) تيسر الكريم الرحمن ص (٥٧٠).

(٢) سورة سبأ الآية: ١٠.

(٣) سورة الحج الآية: ١٨.

(٤) سورة البقرة الآية: ٧٤.

(٥) تهذيب اللغة (٤/٣٤٠).



الناس ولا يسمعون، وقد يعلمه الله تبارك وتعالى من يشاء من عباده، كما أسمع الصحابة رضوان الله عليهم وهم بين يدي النبي ﷺ تسبيح الطعام وهو يؤكل، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاجعوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيّ على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»<sup>(١)</sup>.

فالمخلوقات كلها شاهدة بحمد الله تعالى، وكل حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال وإكرام فهو لله عز وجل على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها، وجميع ما يوصف به ويذكر به ويخبر عنه فهو محامد له وثناء وتسبيح وتقديس، فسبحانه وبحمده لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني به عليه خلقه، فله الحمد أولاً وآخراً حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ورفيع مجده وعلو جده<sup>(٢)</sup>. والله أعلم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (ح/٣٥٧٩).

(٢) انظر: طريق المهجرتين ص (١٧٠)، بتحقيق: وليد الجمل.

الفصل الثالث  
فضائل حمد الله تعالى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أدلة فضل حمد الله تعالى من الكتاب والسنة

المبحث الثاني: المفاضلة بين التسييح والتحميد والتليل والتكبير

قد سبق في الفصل الماضي التعرض لشيء مما يتعلق بأنواع الحمد وبينت هناك أنواع الحمد باعتبار الحامد وأنواع الحمد باعتبار المحمود؛ وإني بصدد هذا المبحث سأتناول إن شاء الله ما يتعلق بفضائل الحمد، وما خص الله تعالى به الحامدين من فضله، ورضاه، ومحبته، وما ادخره الله تعالى لأهل حمده من عظيم كرمه في دار رضوانه، فنسأل الله تعالى من فضله، ونسأله أن يجعلنا من عبادہ الذاكرين له، الحامدين له.

فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الأول  
أدلة فضل حمد الله تعالى  
من الكتاب والسنة

وفيه مطلبان

المطلب الأول: أدلة فضل حمد الله تعالى من الكتاب العزيز

المطلب الثاني: أدلة فضل حمد الله تعالى من السنة المطهرة

لقد تعددت الأدلة من الكتاب والسنة المطهرة الدالة على فضل حمد الله تعالى، وعظم شأنه، ورفيع منزلته، وما يترتب عليه من الأجر العظيم، والفضل الكثير في الدنيا والآخرة، وسأتعرض في هذا المبحث إن شاء الله تعالى لما يتعلق بتلك الفضائل، وذكر الأدلة عليها من الكتاب العزيز والسنة المطهرة الدالة على فضل حمد الله تعالى، فأقول وبالله التوفيق:

## المطلب الأول: الأدلة من الكتاب العزيز على فضل حمد الله تعالى

لقد أكثر الله تبارك وتعالى في محكم كتابه من ذكر حمده والثناء عليه، وأعطى على حمده وذكره من الثواب والفضل ما لم يعط على غيره، وهذا مما يدل دلالة واضحة على فضل الحمد وعلو شأنه ورفعة منزلته، وقد ورد الحمد في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعاً جمع في بعضها أسباب الحمد، وذكرت في بعضها أسبابه مفصلة، وإني بصدد هذا المطلب سأذكر تلك الفضائل التي تدل على فضل حمد الله تعالى من القرآن الكريم. فأقول وبالله التوفيق:

١- مما يدل على فضل الحمد، ومحبة الله لحمده والثناء عليه أنه افتتح كتابه

بالحمد، فقال تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(١)</sup>، وافتتح خلقه بحمده فقال تعالى

﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى ﴿ الحمد لله

فاطر السموات والأرض ﴾<sup>(٣)</sup> وجعل حمده خاتمة الفصل بينهم، فقال تعالى بعد ما ذكر

مآل أهل الجنة وأهل النار ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي

بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(٤)</sup>.

فافتتح خلقه وأمره بحمده، وختمها بحمده<sup>(٥)</sup>.

٢- ومما يدل على فضل الحمد أن الله افتتح به بعض السور في محكم كتابه قال

تعالى في أول سورة الأنعام ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين

(١) سورة الفاتحة الآية: ١.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١.

(٣) سورة فاطر الآية: ١.

(٤) سورة الزمر الآية: ٧٥.

(٥) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٧٨).

كفروا بربهم يعدلون ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ، وقال تعالى في أول سورة الكهف ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى في أول سورة سبأ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى في أول سورة فاطر ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرِبَاعٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

٣- ومن أدلة فضل حمد الله تعالى في كتاب الله تعالى أن الله تعالى أمر به خاصة عباده، فقد أمر به نبيه ورسوله محمداً ﷺ في محكم كتابه فقال تعالى ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: « يقول: وصل بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب »<sup>(٧)</sup>.

وعن جرير بن عبد الله<sup>(٨)</sup> قال: « كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن

(١) سورة الأنعام الآية: ١.

(٢) سورة الكهف الآية: ١.

(٣) سورة سبأ الآية: ١.

(٤) سورة فاطر الآية: ١.

(٥) سورة سورة طه الآية ١٣٠.

(٦) سورة ق الآية: ٣٩.

(٧) جامع البيان (١٣٠/١٨٠).

(٨) هو أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي الصحابي المشهور، بعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخليفة فهدمها، توفي سنة ٥١ هـ وقيل غير ذلك، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/٢٣٢).

استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا»،

ثم قرأ جرير: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

وكذلك أمر به نبيه نوح عليه السلام لما نجاه من القوم الظالمين فقال تعالى ﴿ فَإِذَا

اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « أي علوتم عليها، واستقلت بكم في تيار

الأمواج، ولجج اليم، فاحمدوا الله على النجاة والسلامة، فقل الحمد لله الذي نجانا من

القوم الظالمين، وهذا تعليم منه له ولمن معه أن يقولوا هذا شكراً له وحمداً على نجاتهم

من القوم الظالمين »<sup>(٣)</sup>.

٤- ومن فضائله أن الله تعالى قد امتدح به الخالص من عباده فقال تعالى واصفاً ملائكته

المقرين بأهم يحمدونه في كل حال وفي كل زمان ﴿ وَخُنُوسٍ بِحَمْدِكَ وَتَقْدِيرِكَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة ابن جرير رحمه الله تعالى: « أما قوله ﴿ وَخُنُوسٍ بِحَمْدِكَ ﴾ فإنه

يعني: إنا نعظمك بالحمد لك والشكر »<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى مخبراً عنهم ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾

(ح ٤٨٥١)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر

والمحافظة عليها (ح ٦٣٣).

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٥١).

(٤) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٥) جامع البيان (١/٢١٠).

(٦) سورة غافر الآية: ٧.



قال العلامة الشوكاني رحمه الله تعالى: « والمعنى أن الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله متلبسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به »<sup>(١)</sup>.

وقد امتدح الله تعالى عبده وخليته إبراهيم إمام الحنفاء بأنه كان شاكراً لنعم الله تعالى حامداً له على ما أنعم به عليه، فقال تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِلْأَنْعَمِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة ابن كثير: « أي قائماً بشكر نعم الله عليه »<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾<sup>(٤)</sup> فقد امتدحه الله تعالى على ما حمد به ربه على نعمه عليه<sup>(٥)</sup>.

وكذلك فقد امتدح الله تبارك وتعالى داود وسليمان على ما قاما به من حمدهما فقال تعالى ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « وقالوا شاكرين لربهما منته الكبرى بتعليمهما: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فحمداً لله تعالى على جعلهما من المؤمنين، أهل السعادة، وأنهم كانوا من خواصهم، ولا شك أن المؤمنين أربع درجات: الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون، ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان من

(١) فتح القدير (٤/٦٧٧).

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٠-١٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٧١).

(٤) سورة إبراهيم الآية: ٣٩.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢٧).

(٦) سورة النمل الآية: ١٥.

خواص الرسل، وإن كانوا دون درجة أولي العزم [الخمسة]، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام، الذين نوه الله بذكرهم، ومدحهم في كتابه مدحاً عظيماً، فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد، أن يكون شاكراً لله على نعمه الدينية والدينية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً، فلما مدحهما مشتركين، خص سليمان بما خصه به، لكون الله أعطاه ملكاً عظيماً، ما لم يكن لأبيه صلى الله عليهما وسلم»<sup>(١)</sup>.

وكما امتدح الله أنبياءه على قيامهم بحمده تعالى فكذلك امتدح الله تعالى الصالحين من عباده المؤمنين فقال تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فامتدحهم بجملة ما امتدحهم به بحمدهم لرهم سبحانه وتعالى في السراء والضراء واليسر والعسر، واعترفهم بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار<sup>(٣)</sup>.

فهذه الآيات التي ذكرها الله تعالى فيها مدحه للحامدين له المثنين عليه بما هو أهله، فيها دلالة واضحة على فضل حمد الله تعالى.

٥- ومن فضائل حمد الله تعالى التي جاءت في كتاب الله العزيز أن الله تعالى أخبر أن حمد الله تعالى هو خاتمة دعاء أهل الجنة قال تعالى مخبراً عن حال أهل الجنة ونعيمه ﴿دَعُواهُمْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهَا أَمْمَاتٌ كَالْعِجَافِ هُمْ فِيهَا مُخَدَّرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: «هذا فيه دلالة على أنه تعالى المحمود أبداً،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٠٢).

(٢) سورة التوبة الآية: ١١١.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٣).

(٤) سورة يونس الآية: ١٠.

ينقاطعن عند العرش، لهن دوي<sup>(١)</sup> يذكرن لصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكوم له ما  
يذكر به<sup>(٢)</sup> .

فذكر في هذين الحديثين أن الحمد هو من جملة أفضل الذكر، فهو داخل في  
عموم الآيات الدالة على فضل الذكر، وقد قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا  
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> .

فعمّ بذكره أحوال العباد كلها؛ لأن العبد إما أن يكون قائماً أو قاعداً أو  
مضطجعاً، فأراد منه ذكره في هذه الأحوال كلها، وأخبر أنه من ألهاه ماله وولده عن  
ذكره فهو خاسر فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَمُوا أَمْوَالَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> .

وأمر بذكره في أعظم المواطن التي يذهل الإنسان فيها عن نفسه، وهي حاله عند  
ملاقاة عدوه فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاقْبَلُوهَا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .  
وجعل سبحانه ذكره سبباً لصلاته على عبده وذكره له فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ

(١) دوى: بفتح الدال وكسر الواو وتشديد الياء، هو صوت ليس بالعالي، كصوت النحل ونحوه. انظر: النهاية في غريب  
الحديث لابن الأثير (١٤٣/٢)، وانظر مصباح الزجاجية في زوائد ابن ماجه للإمام البوصيري (٢٥٣/٤).  
(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل التسييح (حديث رقم ٣٨٠٩)، وأحمد في مسنده  
(٤/٢٦٨-٢٧١)، والحاكم في مستدركه (٥٠٣/١) من طريق يحيى بن سعيد القطان، عن موسى بن  
مسلم أبي عيسى الطحان، عن عون بن عبد الله، عن أبيه، أو عن أخيه، عن النعمان بن بشير به، وقال  
الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

(٤) سورة المنافقون الآية: ٩.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٤٥.

الظُّلْمَاتِ إِلَى التُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا<sup>(١)</sup> .

وجعل ترك ذكره والثناء عليه سبباً لنسيانه لعبده وإنسانيته نفسه فلا يلهمه ولا

يوفقه لإرادتها وطلبها فقال تعالى ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ<sup>(٢)</sup> ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ<sup>(٣)</sup> ﴾ فلما نسوا ذكره والثناء عليه وتحميده وتمجيده نسيهم من

رحمته وأنسأهم مصالحي نفوسهم، فلم يعرفوها ولم يطلبوها، بل تركوها مهملة معطلة

مع نقصها وعيوبها<sup>(٤)</sup> .

هذا ما تيسر جمعه من أدلة الكتاب العزيز الدالة على فضل حمد الله تعالى والله

تعالى أعلم.

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤١-٤٣ .

(٢) سورة التوبة الآية: ٦٧ .

(٣) سورة الحشر الآية: ١٩ .

(٤) انظر: الصواعق المرسلّة (٤/١٤٨٠-١٤٨١) .

### المطلب الثاني: أدلة فضل حمد الله تعالى من السنة

وكما أن الأدلة من القرآن الكريم كثيرة متعددة دالة على فضل حمد الله تعالى، وجزيل فضله، وعلو منزلته، فكذلك الأدلة من السنة المطهرة كثيرة متعددة دالة على فضل حمد الله تعالى، وعلو منزلته، ومحبة الله تعالى لحامديه والمثنيين عليه، وإني بصدد هذا المطلب سأذكر شيئاً من تلك الفضائل التي دلّت عليها السنة المطهرة مما يتييسر لي جمعه فأقول وبالله التوفيق:

١- إن الله تعالى وعد على حمده والثناء عليه وتمجيده بما لم يعد به على غيره<sup>(١)</sup>، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»<sup>(٣)</sup>. قال العيني<sup>(٤)</sup> رحمه الله: «قوله: وبحمده: معطوف على محذوف تقديره: أسبح الله بتسبيحه، وأحمد بحمده.

(١) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٨٢).

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، الصحابي الجليل، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، ورجح الإمام البخاري والذهبي أنه عبد الرحمن وهو من المكثرين من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ أسلم في السنة السابعة، ومات بالمدينة سنة ٥٩هـ.

انظر: الاستيعاب (٤/١٧٦٨)، وأسد الغابة (٦/٣١٨)، والإصابة (٧/٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه (ح ٦٤٠٥)، أخرجه مسلم (٤/٢٠٧١) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، (ح ٢٨).

(٤) هو محمد بن احمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف العينتاي الحلبي الأصل، العنتايي المولد، ثم القاهري الحنفي المعروف بالعيني أبو الثناء ابن الشهاب، أبو محمد، بدر الدين، ولد سنة اثنين وستين وسبعمائة من الهجرة، كان رحمه الله إماماً عالماً، علامة، فقيهاً، أصولياً، مفسراً، مؤلفاته كثيرة من أشهرها عمدة القاري شرح صحيح البخاري، توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة من الهجرة.

انظر ترجمته في: الضوء اللامع (١٠/١٣١-١٣٥)، البدر الطالع (٢/٢٩٤-٢٩٥)، شذرات الذهب (٧/٢٨٧-٢٨٨)، معجم المؤلفين (١٢/١٥٠).

وحطت عنه خطاياها: أي رفعت عنه خطاياها، وهي جمع خطية كالعطايا جمع عطية.

وقوله: وإن كانت أي الخطايا مثل زبد البحر، وهذا خارج مخرج المبالغة، يعني: وإن كانت هذا المقدار إذا فرضت أجساماً، والمراد بالبحر جنس البحر، مثل قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾<sup>(١)</sup> إذ لا ثمة معهود<sup>(٢)</sup>.

٢- ومن فضائله ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»<sup>(٣)</sup>.

٣- ومن فضائله ما جاء عن أبي مالك الأشعري<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله، والحمد لله، تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدوا، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الكهف الآية: ١٠٩.

(٢) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب ص (١٠٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (ح/٢٦٩٢) في الذكر والدعاء: باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، وأخرجه أيضاً أبو داود (ح/٥٠٩١) في الأدب: باب ما يقول إذا أصبح، والترمذي (ح/٣٤٦٦) في الدعوات: باب رقم (٦٠) وأحمد في المسند (٢/٥١٥).

(٤) أبو مالك الأشعري مشهور بكنيته، ومختلف في اسمه، قيل: كعب بن مالك، وقيل: كعب بن عاصم، وقيل: عبيد، وقيل: عمرو، وقيل: الحارث، قدم في السفينة مع الأشعريين على النبي ﷺ، له صحبة، يعد في الشاميين.

انظر: أسد الغابة (٥/٢٧٢)، الإصابة (٤/١٦٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (ح/٢٢٣)، وأحمد (٠/٣٤٢-٣٤٣)، والدارمي (١/١٦٧)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٥/٥-٨)، وفي عمل اليوم والليلة (١٦٨-١٦٩)، وابن ماجه (٢٨٠)، والبيهقي في السنة (١/٤٢)، وفي الاعتقاد ص (١٧٦)، والطبراني في الكبير (٣٤٢٣-٣٤٢٤)، وابن منده في الإيمان (٢١١)، وابن حبان في صحيحه (٨٤٤).

قال النووي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «وأما قوله ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان» فمعناه عظم أجرها، وأنه يملأ الميزان، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «فأما الحمد لله، فاتفقت الأحاديث على أنه يملأ الميزان، وقد قيل: إنه ضرب مثل، وإن المعنى: لو كان الحمد جسماً لملأ الميزان، وقيل: بل الله عز وجل يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صوراً ترى يوم القيامة وتوزن»<sup>(٣)</sup>.

٤- ومن فضائله ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»<sup>(٤)</sup>، ففي قوله: «حبيبتان إلى الرحمن» فيه أن الله تعالى يحب بعض الكلام، وبعض العمل أكثر من غيره، ومحبة الله من صفاته، التي يجب أن تثبت له، على ما يليق بعظمته.

وقوله «خفيفتان على اللسان» أي: عند النطق بهما لا تثقلان اللسان ولا تكلفه سهولة حروفهما، وخفتهما على اللسان، مع ما فيهما من الثواب العظيم، ومحبة الرحمن جل وعز لهما.

(١) يحيى بن شرف بن مري النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، ولد سنة ٦٣١هـ، من أعلام الفقه والحديث، له تصانيف كثيرة من أشهرها: تهذيب الأسماء واللغات؛ والمنهاج في شرح صحيح مسلم والمجموع شرح المهذب للشيرازي، توفي سنة ٦٧٦هـ.  
انظر ترجمته في: الأعلام (١٤٩/٨)، طبقات الشافعية (١٦٥/٥)، النجوم الزاهرة (٢٧٨/٧)، آداب اللغة (٢٤٢/٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (٤٥٦/١).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٦/٢)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص (٤١٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فضل التسييح (ح/٦٤٠٦) و(٦٦٨٢) و(٧٥٦٣) ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسييح والدعاء (ح/٢٦٩٤).

فهاتان الكلمتان توزنان، ويثقل بهما الميزان، وهذا دليل واضح، على أن تكلم العبد بالذكر وبالقرآن، عمل له يثاب عليه، ويوضع في ميزانه، ليعطيه الله أجره عليه وافرا غير منقوص<sup>(١)</sup>.

٥- ومن فضائله أن حمد الله تعالى من أحب الكلام إلى الله تعالى، عن سمرة بن جندب<sup>(٢)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: « أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت »<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فجعل هذا الكلام الذي هو ذكر الله أفضل من جميع الكلام بعد القرآن »<sup>(٤)</sup>.

قال الصنعاني<sup>(٥)</sup> رحمه الله: « وقوله: « لا يضرك بأيهن بدأت » دل على أنه لا ترتيب بينهما ولكن تقدم التنزيه أولى لأنه تقدم التخلية بالخاء المعجمة على التخلية بالخاء المهملة والتنزيه تخلية عن كل قبيح وإثبات الحمد والوحدانية والأكبرية تخلية بكل صفات الكمال، لكنه لما كان تعالى منزلة ذاته عن كل قبيح لم تضر البداءة

(١) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٥٩٤/٢).

(٢) هو: أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو سليمان سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن ذي الرياستين الفزاري. روى له عن الرسول ﷺ مائة حديث وثلاثة وعشرون حديثاً. توفي بالبصرة آخر سنة تسع وخمسين، وقيل سنة ستين. انظر ترجمته في الاستيعاب (١٠٦٨/٢)، أسد الغابة (٢٢٤١/٢)، الإصابة (٣٤٧٧/٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الآداب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه. (ح/٢١٣٧)، وتمام الحديث: « ولا تسمين غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح، فإنك تقول أثم هو؛ فلا يكون، فيقول: لا، إنما هن أربع فلا تزيدن على ». »

(٤) مجموع الفتاوى (٣٨٩/٢٢).

(٥) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمرير، ولد بكلان سنة ١٠٩٩هـ من أهم مؤلفاته: سبل السلام شرح بلوغ المرام، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ثمرات النظر في علم الأثر، توفي سنة ١١٨٢هـ.

انظر: عنوان المجد (٥٣/١)، البدر الطالع (١٣٣/٢).



بالتحلية وتقديمها على التحلية والأحاديث في فضل هذه الكلمات مجموعة ومتفرقة بحر لا تنزفه الدلاء ولا ينقصه الإملاء وكفى بما في الحديث من أنها الباقيات الصالحات وأنها أحب الكلام إلى الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

٦- ومن فضائله ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»<sup>(٢)</sup>.

قال العيني رحمه الله: «يعني أحب إلي من الدنيا، لأنه يفضي إلى درجات الآخرة، وكل ما كان مفضيا إلى درجات الآخرة يكون أفضل وأحب من الدنيا، لأن الدنيا مفضية إلى الهلاك»<sup>(٣)</sup>.

٧- ومن فضائله ما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده»<sup>(٤)</sup>.

قال النووي رحمه الله: «هذا محمول على كلام الآدمي، وإلا فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت، أو حال، ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل. والله أعلم»<sup>(٥)</sup>.

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٤/٣٩٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ح٢٦٩٥).

(٣) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب (ص: ١٠٢).

(٤) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب النبي ﷺ مات في ذي الحجة سنة ٣٢هـ.

انظر: الاستيعاب (١/١٦٩)، أسد الغابة (١/٣٥٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده

(ح ٢٧٣١)، الترمذي، كتاب الدعوات، باب أي الكلام أحب إلى الله (٣٥٩٣).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦/٢٠٩).

٨- ومن فضائله ما جاء عن فضالة بن عبيد<sup>(١)</sup>: أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «عجل هذا. ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله، والثناء عليه ثم يصلي على النبي، ثم يدعو بعدها بما شاء»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: «فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد»<sup>(٣)</sup>.

٩- ومن فضائله، ما جاء عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل الذكر، لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»<sup>(٤)</sup>.

قال صاحب تحفة الأحوذى: «وأفضل الدعاء الحمد لله: لأن الدعاء عبارة عن ذكر الله، وأن تطلب منه الحاجة، والحمد يشملهما، فإن من حمد الله يحمده على نعمته والحمد على النعمة طلب المزيد وهو رأس الشكر»<sup>(٥)</sup>.

١٠- ومن فضائله أن حمده سبحانه من الأمور الجالبة لرضى الرب تبارك

(١) فضالة بن عبيد بن ناضد بن قيس بن صهيب بن أصرم، القاضي الفقيه، أبو محمد الأنصاري الأوسي، صاحب رسول الله ﷺ من أهل بيعة الرضوان مات سنة ٥٣هـ.  
انظر: أسد الغابة (٤/١٨٤)، الإصابة (٣/٢٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء (١٤٨١)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٦٥)، رقم (٣٤٧٧)، والنسائي في كتاب السهو، باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة (٣/٤٤)، وأحمد (٦/١٨)، وابن خزيمة (١/٧١٠)، والحاكم (١/٢٣٠، ٢٦٨)، كلهم من طريق أبي هانئ الخولاني، عن عمرو بن مالك أبي علي الجنبي، عن فضالة بن عبيد به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني رحمه الله في صفة صلاة النبي ﷺ ص (١٨٢).

(٣) الوابل الصيب ص (١٨٥).

(٤) سيأتي تخريجه ص (١٠٠).

(٥) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٩/٢٢٩).

وتعالى، عن أنس بن مالك<sup>(١)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فبحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها »<sup>(٢)</sup>.

قال النووي رحمه الله تعالى: « الأكلة هنا بفتح الهمزة، وهي المرة الواحدة من الأكل كالغذاء والعشاء، وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب »<sup>(٣)</sup>.

١١- ومن فضائله، أن حمد الله تعالى من الأمور الجالبة لمغفرة الذنوب، عن معاذ بن أنس<sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: « من أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٥)</sup>.

قال العيني رحمه الله: « من غير حول » أي: طاقة، وهذا من فضل الله، يرزق عباده، والله ذو الفضل العظيم<sup>(٦)</sup>.

١٢- ومن فضائله أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده، يذكر بصاحبه<sup>(٧)</sup>، فعن النعمان بن بشير<sup>(٨)</sup> قال: قال رسول

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله ﷺ مات سنة ٩٣هـ.  
انظر: أسد الغابة (١/١٥١)، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (ح/٢٧٣٤).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/٢١٠).

(٤) معاذ بن أنس الجهني، الأنصاري: صحابي، نزل مصر، وبقي إلى خلافة عبد الملك، روى عنه ابنه سهل بن معاذ.  
انظر ترجمته في الاستيعاب (٣/٢٤٤٤)، أسد الغابة (٥/٤٩٥٠)، الإصابة (٦/٨٠٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس (٤٠٢٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام (٣٤٥٨)، وأحمد (٣/٤٣٩)، وغيرهم من طريق أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه به، وحسنه الحافظ كما في شرح الأذكار (٥/٢٣٠)، وحسنه الألباني رحمه الله في الإرواء (١٩٧٩).

(٦) العلم الهيب شرح الكلم الطيب (ص: ٤٦٣).

(٧) انظر الوابل الصيب (ص: ٨٦).

(٨) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، الإمام العالم، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو عبد الله، الأنصاري، الخزرجي، توفي سنة ٦٤هـ.

الله ﷻ: « إن مما تذكرون الله من جلال الله من التهليل والتكبير والتحميد يتقاطعن عند العرش، لهن دوي يذكرن صاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به »<sup>(١)</sup>.

١٣- ومن فضائله أنه من غراس الجنة<sup>(٢)</sup>، فعن ابن مسعود<sup>(٣)</sup> ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان<sup>(٤)</sup>، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر »<sup>(٥)</sup>.

انظر: الاستيعاب (١٤٩٦)، أسد الغابة (٣٢٦/٥)، الإصابة (٥٥٩/٣).

(١) تقدم تخرجه ص (٨٣).

(٢) انظر الوابل الصيب ص (٩٠).

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم، الإمام الحر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري، حليف بني زهرة. كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر المجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علماً كثيراً، توفي بالمدينة، ودفن بالقيع سنة اثنين وثلاثين. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد: (١٠٦/١/٣)، حلية الأولياء (١٢٤/١، ١٣٩)، الاستيعاب (٢٠/٧)، تاريخ بغداد (١٤٧/١-١٥٠)، أسد الغابة (٣٨٤/٣)، تهذيب الكمال (٧٤٠)، سير أعلام النبلاء (٤٦١/١)، الإصابة (٧/٢٠٩)، شذرات الذهب (٣٨/١).

(٤) قال ابن الأثير: القاع: المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته، أراد أن ماء المطر غسله فايض، أو كثر عليه، فبقي كالغدير الواحد، ويجمع على: قيعا وقيعان. ومنه الحديث « إنما هي قيعان أمسكت الماء » اهـ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٣٣-١٣٢/٤).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٦٠)، رقم (٣٤٦٤)، وابن حبان (٨٢٦) من طريق روح بن عبادة، عن حجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعاً: « من قال سبحان الله العظيم ويحمده... » وقال: حسن صحيح، وأخرجه (ح/٣٤٦٥) من طريق المؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن أبي الزبير به، وقال: حسن غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٢٧) وابن حبان (٨٢٧) والحاكم (٥٠١/١، ٥١٢) من طريق حماد بن سلمة به، وقال الحاكم في الموضع الأول: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي: « على شرط البخاري » والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة رقم (٦٤)، وله شاهد صححه الشيخ في الصحيحة برقم (٢٨٨٠).

وعن جابر<sup>(١)</sup> عن النبي ﷺ قال: « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة »<sup>(٢)</sup>.

١٤- ومن فضائله ما جاء عن رفاع بن رافع الزرقني<sup>(٣)</sup> قال: « كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: « سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً مباركاً فيه. فلما انصرف قال: من تكلم؟ قال: أنا. قال: رأيت بضعة<sup>(٤)</sup> وثلاثين ملكاً يبتدرونها<sup>(٥)</sup> أيهم يكتبها أول »<sup>(٦)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: « قد دل الحديث على فضل هذا الذكر في الصلاة، وأن المأموم يشرع له الزيادة على التحميد بالثناء على الله عز وجل »<sup>(٧)</sup>.

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي السلمي من أهل بيعة الرضوان، مات سنة ٧٨هـ. انظر: الاستيعاب (٢١٩)، الإصابة (٢١٣/١)، سير أعلام النبلاء (١٨٩/٣).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٥٩)، رقم (٣٤٦٢) والطبراني في الصغير (٥٣٩) والأوسط (٤١٨٢/٥)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٢٩٢/٢) وزاد « ولا حول ولا قوة إلا بالله » من طريق عبد الواحد بن زياد، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود به، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف، وهناك خلاف في سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود من أبيه، وقد جزم الحافظ المزي في التحفة (٧٤/٧) بسماعه منه، والحديث له شواهد وقد حسنه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٠٥).

(٣) رفاع بن رافع بن مالك بن العجلان، أبو معاذ الأنصاري، من أهل بدر، شهد بدرًا مع النبي ﷺ هو وأبوه، و كان أبوه نقيياً، مات في أول خلافة معاوية، روى له الجماعة إلا مسلماً. انظر ترجمته في: الاستيعاب (٧٧٦/٢)، أسد الغابة (١٦٨٦/٢)، الإصابة (٦٦٦/٢).

(٤) البضع: بالفتح والكسر: ما بين الثلاث إلى العشر، وبالهاء من الثلاثة إلى العشرة، وحكي عن الفراء في قوله عز وجل ﴿ بضع سنين ﴾ أن البضع لا يذكر إلا مع العشر والعشرين إلى التسعين، ولا يقال فيما بعد ذلك، يعني أنه يقال مائة ونيف. انظر لسان العرب (٤٢٦/١-٤٢٧)، والنهاية لابن الأثير (١٣٣/١).

(٥) يبتدرونها: من الابتدار، وهو السبق، ومعناه يسبقونها، أيهم يكتبها في الصحائف، والضمير في يبتدرونها وفي يكتبها للكلمات. انظر العلم الهيب للعيني (ص: ٢٩٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب (١٢٦) (ح ٧٩٩).

(٧) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٢٠٢/٧).

١٥- ومن فضائله ما جاء عن الأسود بن سريع أنه قال للنبي ﷺ إني حمدت ربي بحامد، فقال: « إن ربك يحب الحمد »<sup>(١)</sup>.

ففيه من الفضل إثبات محبة الله تعالى للحمد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « ويجوز مدح الله تعالى والثناء عليه بالنظم، وكذلك دعاؤه كما قال الأسود بن سريع للنبي ﷺ لما نظم شعراً في مدح الله تعالى، فقال: إني حمدت ربي بحامد، فقال: « إن ربك يحب الحمد »؛ فلم ينكر عليه ذلك، لكن روي أنه قال: « ولم يستنشه »؛ وروي أنه استنشه كما روى الإمام أحمد في مسنده عن الأسود بن سريع؛ قال: قلت: يا رسول الله؟ إني مدحت الله بمدحة، ومدحتك بأخرى، فقال النبي ﷺ: « هات وابدأ بمدحة الله تعالى »<sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup>.

١٦- ومن فضائله ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أنعم على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ »<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « والمراد بالنعمة: النعم الدنيوية، كالعافية والرزق والصحة، ودفع المكروه، ونحو ذلك، والحمد هو من النعم الدنيوية، وكلاهما نعمة من الله، لكن نعمة الله على عبده بهدايته لشكر نعمه بالحمد عليها أفضل من نعمه الدنيوية على عبده، فإن النعم الدنيوية إن لم يقترن بها الشكر كانت بلية...، فإذا وفق الله عبده للشكر على نعمه الدنيوية بالحمد أو غيره من أنواع الشكر، كانت هذه النعمة خيراً من تلك النعم وأحب إلى الله عز وجل منها، فإن الله يحب

(١) تقدم تحريجه ص (٥٣).

(٢) تقدم تحريجه ص (٥٣).

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٥٤٨-٥٤٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، (ح ٣٨٠٥)، وصححه الألباني رحمه الله في

صحيح الجامع رقم (٥٥٦٣).

المحامد»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما تيسر جمعه من الأدلة الدالة على فضل الحمد من السنة المطهرة، وقد دلت هذه الأدلة على فضل الحمد، وعظيم ثوابه، وعلو منزلته، نسأل الله العظيم أن يجعلنا من عباده الحامدين له، ونسأله أن يستعملنا في طاعته، وأن يجعلنا من عباده الصالحين.

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم (٢/٨٢-٨٣)، والمحجة في سير الدلجة ص (٣١).

المبحث الثاني

المفاضلة بين التسبيح والتحميد والتكبير  
والتهليل



## المبحث الثاني: المفاضلة بين التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

لقد ثبت الفضل لهذه الكلمات مجتمعة فقد جاء عن سمرة ابن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت »<sup>(١)</sup>.

وهذه الكلمات متلازمة في المعنى، وكلها قد شملتها المحبة، فمن نطق بجميعها فقد ذكر الله تعالى بأحب الكلام إليه لفظاً ومعنى، ومن نطق بأحدها فقد ذكر الله تعالى ببعض أحب الكلام إليه نطقاً وبجميعها معنى من جهة اللزوم.

وبيان ذلك: أن معنى سبحان الله: البراءة له من كل النقائص وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، ومن جملتها تنزيهه عن الشركاء والأنداد، وهذا معنى لا إله إلا الله، هذا مدلول اللفظ من جهة مطابقتها، ولما وجب تنزيهه عن صفات النقص لزم اتصافه بصفات الكمال، إذ لا واسطة بينهما، وهي المعبر عنها بالحمد لله، ثم لما تنزه عن صفات النقص. واتصف بصفات الكمال وجبت له العظمة والجلال، وهو معنى الله أكبر<sup>(٢)</sup>.

إذا تبين أن هذه الكلمات الأربع متلازمة من حيث المعنى فإن هذه الكلمات تنقسم إلى شطرين فالتسبيح قرين التحميد، والتكبير قرين التهليل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « ومعلوم أن الكلمات التي هي أفضل الكلام بعد القرآن أربع « سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر » وهي شطران: فالتسبيح قرين التحميد، ولهذا قال النبي ﷺ: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم »<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص (٨٨).

(٢) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم للقرطبي (٧ / ٦١).

(٣) سبق تخريجه ص (٨٧).

وقال ﷺ: « أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده »<sup>(١)</sup>  
 وقال الله تعالى ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه  
 كان تواباً ﴾<sup>(٣)</sup>. فكان النبي ﷺ يقول في ركوعه: « سبحانك اللهم وبحمدك »<sup>(٤)</sup>،  
 يتأول القرآن.

فجعل قوله: « سبحانك اللهم وبحمدك » تأويل ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾، وقد قال  
 تعالى ﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾<sup>(٥)</sup> وقال  
 تعالى ﴿ فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض ﴾<sup>(٦)</sup> والآيات  
 والأحاديث في اقتراها كثيرة<sup>(٧)</sup>، إذا تبين هذا أن التسبيح والتحميد قرينان، فإن  
 التسبيح دون التحميد في الفضل.

قال العلامة ابن رجب رحمه الله تعالى: « فالتسبيح دون التحميد في الفضل كما  
 جاء صريحاً في حديث علي، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، والرجل من بني سليم  
 رضي الله عنهم « أن التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه »<sup>(٨)</sup> وسبب ذلك أن

(١) سبق تخريجه ص (٨٩).

(٢) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٣) سورة النصر الآية: ٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب التسبيح والدعاء في السجود (رقم: ٨١٧)، عن عائشة  
 رضي الله عنها، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب ما يقول في الركوع والسجود (رقم: ٤٨٤).

(٥) سورة غافر الآية: ٥٥.

(٦) سورة الروم الآية: ١٦-١٧.

(٧) انظر مجموع الفتاوى (٢٤ / ٢٣١-٢٣٢).

(٨) طرف من حديث أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٣/٥)، والترمذي (٥٠١/٥ رقم: ٣٥١٩) وقال هذا  
 حديث حسن، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٥٨٢) والروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٣٢-٤٣٤)،  
 والدارمي في سننه (١١٠/١ رقم: ٦٥٤). وتمام الحديث « التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه،

التحميد إثبات المحامد كلها لله، فدخل في ذلك إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال كلها، والتسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب والآفات، والإثبات أكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مجرداً، لكن مقروناً بما يدل على إثبات الكمال، فتارة يقرن بالحمد، كقول: سبحان الله وبحمده وسبحان الله، والحمد لله، وتارة باسم من الأسماء الدالة على العظمة والجلال، كقوله: سبحان الله العظيم»<sup>(١)</sup>.

وأما التهليل فهو قرين التكبير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وأما التهليل فهو قرين التكبير، كما في كلمات الآذان: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، ثم بعد دعاء العباد إلى الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فهو مشتمل على التكبير والتشهد أوله وآخره، وهو ذكر الله تعالى، وفي وسطه دعاء الخلق إلى الصلاة، والفلاح، فالصلاة هي العمل، والفلاح هو ثواب العمل لكن جعل التكبير شفعاً، والتشهد وترأ، فمع كل تكبيرتين شهادة؛ وجعل أوله مضاعفاً على آخره، ففي أول الآذان يكبر أربعاً، ويتشهد مرتين والشهادتان جميعاً باسم الشهادة، وفي آخره التكبير مرتان فقط مع التهليل الذي لم يقترن به لفظ الشهادة الأخرى»<sup>(٢)</sup>.

وكما جمع بين التكبير والتهليل في الآذان، جمع بين الأشراف، فكان على الصفا

والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض، والصوم نصف الصبر، والظهور نصف الإيمان».

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٧-١٨).

(٢) حديث الآذان هذا أخرجه أحمد (٤٣/٤)، وأبو داود في سننه في الصلاة باب كيف الآذان (٤٩٩)،

وابن ماجه في الآذان، باب بدء الآذان (٧٠٦)، والبخاري في أفعال العباد (ص: ٣٤-٣٥)، والدارمي

(٢٦٨/١)، وابن خزيمة (٣٧٠)، وابن حبان في صحيحه (١٦٧١)، وابن الجارود (١٥٨)، والبيهقي

(٣٩١/١). كلهم من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٣٩١/١)، ولم يذكر فيه

كلمات الآذان والإقامة، وقال: «حسن صحيح»، وصححه ابن خزيمة (٣٧١)، والبخاري، والنووي،

والذهبي كما في نصب الراية (٢٥٩/١-٢٦٠)، وأخرجه مختصراً الطيالسي (٣٢٥)، وابن أبي شيبة

(٢٠٣/١)، والطحاوي (١٣١/١)، والدارقطني (٢٤١/١).

والمروءة، وإذا علا شرفاً في غزوة أو حجة أو عمرة يكرّر ثلاثاً، ويقول: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده »<sup>(١)</sup> ويفعل ذلك ثلاثاً<sup>(٢)</sup>.

إذا تبين هذا فإنه قد اختلف أهل العلم<sup>(٣)</sup> في أيهما أفضل، قول العبد: الحمد لله رب العالمين، أو قول لا إله إلا الله؟ فقالت طائفة: قوله الحمد لله رب العالمين أفضل؛ لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله، ففي قوله توحيد وحمد، وفي قوله لا إله إلا الله توحيد فقط، وقالت طائفة: لا إله إلا الله أفضل؛ لأنها تدفع الكفر والإشراك، وعليها يقاتل الخلق؛ قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »<sup>(٤)</sup>، واختار هذا القول ابن عطية رحمه الله قال: والحاكم بذلك قول النبي ﷺ: « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له »<sup>(٥)</sup>، وهذا هو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العمرة باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزوة، (رقم: ٢٩٩٥)، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع (رقم: ٦٣٨٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحج باب ما يقول إذا رجع من سفره (رقم: ١٣٤٤) كلاهما عن عبد الله بن عمر به، ولفظه عندهما: « أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزوة أو حج أو عمرة يكرّر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون. صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ».

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢٣١/٢٤-٢٣٢).

(٣) حكى هذا الاختلاف ابن عبد البر في التمهيد (٦/٦٤)، والحافظ في الفتح (١١/٢١٠)، والقرطبي في جامع أحكام القرآن (١/٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة (رقم: ٣٩٢)، عن أنس ابن مالك ﷺ.

ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (رقم ٣٥) عن جابر ﷺ، به.

(٥) أخرجه الإمام مالك في النداء للصلاة (ح/٤٩٨) وفي الحج (ح/٩٦٣).

والترمذي نحوه في الدعوات (ح/٣٥٨٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

القول الحق إن شاء الله، فإن كلمة التهليل هي أفضل الكلام عند الإطلاق، لأن هذه الكلمة الفارقة بين أهل الجنة وأهل النار، والسعداء والأشقياء، كما قال النبي ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ... ».

وفضائل هذه الكلمة وحقائقها، وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون، وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾<sup>(١)</sup>، فأخبر سبحانه أنه يوحي إلى كل رسول بنفي الألوهية وإثباتها له وحده، كما أنها أفضل الذكر لما رواه الترمذي مرفوعاً إلى النبي ﷺ عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: « أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله »<sup>(٢)</sup> فهي أفضل الذكر، وأفضل ما قاله النبيون وكافة المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

فالتهليل أصل وما سواه فرع له وتابع<sup>(٤)</sup>، ولهذا قال النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ « الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق »<sup>(٥)</sup> فجعل صلوات الله وسلامه عليه التهليل أعلى وأرفع شعب الإيمان<sup>(٦)</sup>.

وصححه العلامة الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (حديث رقم ١٥٠٣).

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٢) في الدعوات (حديث رقم ٣٣٨٣)، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في الأدب (حديث رقم ٣٨٠٠).

وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة رقم (١٤٩٧)، وفي صحيح ابن ماجه رقم (٣٠٨٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٥-٢٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/٢٣٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب أمور الإيمان (حديث رقم ٩).

ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء

(حديث رقم ٥٨)، واللفظ لمسلم.

(٦) انظر: فقه الأدعية والأذكار ص (٢٩٣).

وليست هذه الأفضلية للتهليل بمعارضة لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته سبحانه الله وبحمده »<sup>(١)</sup> إذ لا يلزم منه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن يكون أفضل مطلقاً بدليل أن قراءة القرآن أفضل من الذكر، وقد فهم النبي ﷺ عنها في الركوع والسجود وقال: « إني نهيت أن أقرأ القرآن راعياً أو ساجداً، أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن<sup>(٢)</sup> أن يستجاب لكم »<sup>(٣)</sup> (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « وهنا أصل ينبغي معرفته وهو أن الشيء إذا كان أفضل من حيث الجملة لم يجب أن يكون أفضل في كل حال، ولا لكل أحد، بل المفضول في موضعه الذي شرع فيه أفضل من الفاضل المطلق، كما أن التسبيح في الركوع والسجود أفضل من قراءة القرآن ومن التهليل والتكبير والتشهد في آخر الصلاة والدعاء بعده أفضل من قراءة القرآن.

فالتفضيل مختلف باختلاف الأحوال، فقول النبي ﷺ لما سئل أي الكلام أفضل فقال: « سبحانه الله وبحمده ».

هذا خرج على سؤال سائل، فرمما علم من حال السائل حالاً مخصوصة وعلى

(١) تقدم تخريجه ص (٨٩).

(٢) فممن: بفتح القاف وكسر الميم وفتحها لغتان مشهورتان، فمن فَنَح فهو عنده مصدر لا يثنى ولا يجمع، ومن كسر فهو وصف يثنى ويجمع، وفيه لغة ثالثة قمين بزيادة ياء وفتح القاف وكسر الميم، ومعناه حقيق وجدير، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٤/١٤٨)، وسبل السلام للصنعاني (١/٣٤١).  
يقال: قَمِنٌ، وقَمِنٌ، وقَمِينٌ: أي خليق وجدير، فمن فتح الميم لم يثنى ولم يجمع ولم يوث؛ لأنه مصدر، ومن كسر ثني وجمع، وأنت؛ لأنه وصف، وكذلك القمين، انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/١١١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (حديث رقم ٤٧٩)، وأبو داود في سننه باب في الدعاء في الركوع والسجود (حديث رقم ٨٧٦)، والنسائي في سننه باب الأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود (٢/٢١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/٢٣٦).

كل حال فالترفضيل مختلف باختلاف الأحوال، وإن كان التهليل أفضل مطلقاً، والأحوال ثلاثة:

حال يستحب فيها الإسرار ويكره فيها الجهر؛ لأنها حال انخفاض كالركوع والسجود، فهنا التسبيح أفضل من التهليل والتكبير، وكذلك في بطون الأودية، وأما ما السنة فيه الجهر والإعلان كالإشراف والأذان فالسنة فيه التهليل والتكبير، وأما ما يشرع فيه الأمران فقد يكون هذا»<sup>(١)</sup>.

إذاً فالتهليل هو أفضل من حيث الإطلاق، وأما ما ورد من تفضيل غيره من التسبيح والتحميد فإن ذلك يكون ببعض الأحوال والأزمنة كما تبين ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤/٢٣٦-٢٣٩).

(٢) انظر: العدة حاشية العلامة الصنعاني على إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (١٠/١١-١١).

## الباب الثاني

وجوه استحقاق الله تعالى للحمد  
والمواطن التي يتأكد فيها الحمد

وفيه فصلان

- الفصل الأول:** أدلة إثبات الكمال لله تعالى وحمد  
الله تعالى على أفعاله وأسمائه  
وصفاته وألوهيته
- الفصل الثاني:** المواطن التي يتأكد فيها حمد الله  
تعالى مع بيان مناسبتها المقديّة



## الفصل الأول

أدلة إثبات الكمال لله تعالى وحمد الله تعالى  
على أفعاله وأسمائه وصفاته وألوهيته

وفيه خمسة مباحث

- المبحث الأول: **الأدلة العقلية والعقلية على إثبات الكمال لله تعالى**  
المبحث الثاني: **حمد الله تعالى على أفعاله**  
المبحث الثالث: **حمد الله تعالى على أسمائه المسنن**  
المبحث الرابع: **حمد الله تعالى على صفاته العليا**  
المبحث الخامس: **حمد الله تعالى على ألوهيته**

المبحث الأول

الأدلة النقلية والعقلية على إثبات الكمال لله  
تعالى

## المبحث الأول: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات الكمال لله تعالى

لما سبق أن ذكرت في تعريف الحمد أنه هو وصف المحمود بالكمال مع محبته وتعظيمه، فإن إثبات الحمد الكامل له يقتضي ثبوت كل ما يحمد عليه، من صفات كماله، ونعوت جلاله، إذ من عدم صفات الكمال فليس بمحمود على الإطلاق. وغايته: أنه محمود من وجه دون وجه؛ ولا يكون محموداً بكل وجه، وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد، إلا من كانت له صفات الكمال جميعها، فلو عدم منها صفة واحدة لنقص من حمده بحسبها.

ولما كان أهل المنهج الحق والطريق المستقيم أهل السنة والجماعة أوفر الناس حظاً من حمد الله تبارك وتعالى، وإثبات الكمال له فإن لهم في هذا المسلك الذي انتهجوه والطريق الذي سلكوه أدلة نقلية وأخرى عقلية على ما اعتقدوه، وإني بصدد هذا المبحث إن شاء الله تعالى سأذكر بعض أدلتهم النقلية والعقلية الدالة على إثبات الكمال لله تعالى.

فأقول وبالله التوفيق:

قد نبه الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه على إثبات الكمال له سبحانه وتعالى، وأرشد إليه، ودل عليه في غير موضع منه، وبين أن ما وصف به نفسه هو الكمال الذي لا يستحقه سواه، فجاحده جاحد لكمال الرب سبحانه، فإنه يمدح بكل صفة وصف بها نفسه، فذكرها سبحانه على وجه المدحة له، والتعظيم، والتمجيد، وتعرف بها إلى عبادته، ليعرفوا كماله وعظيمته ومجده وجلاله، فالله سبحانه وتعالى هو المستحق للكمال، والكمال ثابت لله تعالى، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يمكن وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى، يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وأن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية، والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧١/٦).

فقد ثبت بالعقل الصريح، والنقل الصحيح ثبوت صفات الكمال للرب سبحانه، وأنه أحق بالكمال من كل ما سواه، وثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له، وتفصيل محامده، وأن له المثل الأعلى، وإثبات معاني أسمائه ونحو ذلك كله دال على هذا المعنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « ولم يعلم أحد من الأمة نازع في هذا المعنى، بل هذا المعنى مستقر في فطر الناس، بل هم مفطورون عليه، فإنهم كما أنهم مفطورون على الإقرار بالخالق، فإنهم مفطورون على أنه أجل وأكبر وأعلى وأكمل من كل شيء »<sup>(١)</sup>.

إذا تبين هذا فإن الأدلة النقلية متعددة كثيرة واضحة بدلالاتها تدل على أن الله تعالى هو المستحق للكمال، وأن الكمال ثابت في حقه تعالى:

١- فمن تلك الأدلة أن الله سبحانه بين أنه أحق بالكمال من غيره وأن غيره لا يساويه في الكمال، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> فبين أن الخلق صفة كمال، وأن الذي يخلق أفضل من الذي لا يخلق، وإن من عدل هذا بهذا فقد ظلم<sup>(٣)</sup>.

٢- ومن تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فبين سبحانه في هذه الآية الكريمة أن كونه مملوكاً عاجزاً صفة نقص، وأن القدرة والملك والإحسان صفة كمال، وأنه ليس هذا مثل هذا، وهذا الله تعالى، وذلك لما يعبد من دونه<sup>(٥)</sup>، ثم بين سبحانه أن الحمد الكامل لله تعالى خالصاً دون ما تدعون

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤١/٥).

(٢) سورة النحل الآية: ١٧.

(٣) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٤٦/٥).

(٤) سورة النحل الآية: ٧٥.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٨٠/٦)، ومجموعة الرسائل والمسائل (٤٦/٥).

أيها القوم من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا دونها<sup>(١)</sup>.

٣- ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾<sup>(٢)</sup>.  
يعني أنه لا يستوي هذا الأبكم الكلّ على مولاه الذي لا يأت بخير، حيث توجه ومن هو ناطق متكلم بأمر الحق، ويدعوا إليه، وهو الله الواحد القهار، الذي يدعوا عباده إلى توحيدهِ وطاعته<sup>(٣)</sup>.

فبين سبحانه أن التفضيل بالكلام المتضمن للعدل والعمل المستقيم، فإن مجرد الكلام والعمل قد يكون محموداً، وقد يكون مذموماً، فالمحمود هو الذي يستحق صاحبه الحمد، فلا يستوي هذا والعاجز عن الكلام والفعل<sup>(٤)</sup>.

٤- ومن الأدلة قوله تعالى ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾<sup>(٥)</sup>.  
يقول تعالى: إذا كنتم أنتم لا ترضون بأن المملوك يشارك مالكة لما في ذلك من النقص والظلم، فكيف ترضون ذلك لي وأنا أحق بالكمال والغنى منكم، وهذا بين أنه تعالى أحق بكل كمال من كل أحد<sup>(٦)</sup>.

٥- ومثل هذا مثل قوله تعالى: ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾<sup>(٧)</sup>، فبين

(١) انظر: جامع البيان (١٤/١٤٩).

(٢) سورة النحل الآية: ٧٦.

(٣) جامع البيان (١٤/١٥٠).

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل (٥/٤٧).

(٥) سورة الروم الآية: ٢٨.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٨٠)، ومجموعة الرسائل والمسائل (٥/٤٧).

(٧) سورة النحل الآية: ٥٧-٦٠.

سبحانه في هذه الآيات أن المشركين كانوا يقولون بأن الملائكة بنات الله، وهم يكرهون أن يكون لأحدهم بنت فيعدون هذا نقصاً، وعيباً، والرب تعالى أحق بتنزيهه عن كل عيب ونقص منكم، فإن له المثل الأعلى، والوصف الأكمل، فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحق بثبوتيه منه إذا كان مجرداً عن النقص، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص وعيب فالخالق أولى بتنزيهه عنه<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: « فالمثل الأعلى هو المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده، ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعل التفضيل، أي: أعلى من غيره، وأما مثل السوء فهو لعدم صفات الكمال ولهذا جعله الله تعالى مثل الجاحدين لتوحيده وكلامه وحكمته، لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملاً، فمن سلب صفات الكمال عن الله تعالى فقد جعل له مثل السوء وهو العدم وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمر الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده يستحيل أن يكون من له المثل الأعلى مثل أو نظير<sup>(٢)</sup>».

٦- ومن الأدلة الدالة على إثبات الكمال لله تبارك وتعالى قوله تعالى: ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾<sup>(٣)</sup>.

فدل ذلك على أن عدم التكلم والهداية نقص، وأن الذي يتكلم ويهدي أكمل

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٤٧/٥-٤٨).

(٢) انظر: الصواعق المرسله (١٠٣٠/٣-١٠٣٢).

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٤٨.

من لا يتكلم ولا يهدي، والرب سبحانه أحق بالكمال<sup>(١)</sup>.

فقد جعل الله تعالى في هذه الآية نفي صفة الكلام موجباً لبطلان الإلهية، وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية: أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً، ولا مدبراً، ولا رباً، بل هو مذموم معيب ناقص، ليس له الحمد، لا في الأولى، ولا في الآخرة، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال، ونعوت الجلال، التي لأجلها استحق الحمد<sup>(٢)</sup>.

٧- ومن الأدلة الدالة على كمال الخالق جل وعلا قول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾<sup>(٣)</sup>، فدلّت الآية الكريمة على أن السميع البصير الغني أكمل ممن ليس كذلك، وأن المعبود يجب أن يكون كذلك، ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الأصنام بسلب صفات الكمال كعدم التكلم والفعل، وعدم الحياة، ونحو ذلك مما يبين أن المتصف بذلك منتقص معيب كسائر الجمادات، وأن هذه الصفات لا تسلب إلا عن ناقص معيب، وأما رب الخلق الذي هو أكمل من كل موجود، فهو أحق الموجودات بصفات الكمال، وأنه لا يستوي المتصف بصفات الكمال والذي لا يتصف بها.

والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه، فأفاد (الأصلين) اللذين بهما يتم التوحيد، وهما: إثبات صفات الكمال ردّاً على أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو ردّاً على المشركين<sup>(٤)</sup>.

٨- ومن الدلالة على إثبات الكمال لله تعالى خير الله الصادق، فما أخبر الله تعالى

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٦).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣٢/١).

(٣) سورة مريم الآية: ٤٢.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨١/٦-٨٣).

ورسوله ﷺ به فهو حق، ومن ذلك الإخبار بصفات الكمال لله تعالى، وذلك لأن الله تعالى أعلم بما يستحقه من صفات الكمال من غيره، وكذلك رسوله ﷺ أعلم بصفات ربه من غيره فوجب شرعاً إثبات صفات الكمال لله تعالى الواردة في الكتاب والسنة.

ومن تأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها يجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها، وأنه المتفرد بذلك الكمال، فليس له فيه شبه ولا مثال، وقد تقدم بعض الأدلة على ذلك بما يكفي عن إعادته.

وأما السنة فعباراتها كثيرة متعددة، وما يصح عن النبي ﷺ في هذا المعنى أكثر من أن يحصى وأذكر في هذا الصدد مثالين يوضحان معنى إثبات النبي ﷺ الكمال لربه تعالى ووصفه له بما يستحقه جل وعلا من صفات الكمال ونعوت الجلال.

أ- فمن تلك الأمثلة ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»<sup>(١)</sup> وهذا يتضمن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، وإن دخل في مخلوقاته<sup>(٢)</sup>.

ب- ومن الأمثلة قوله ﷺ: «اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وببيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله»<sup>(٣)</sup> فله سبحانه كل صفة كمال وهو موصوف بتلك الصفات كلها<sup>(٤)</sup>.

(١) سيأتي تخرجه ص (١٢١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/٤٥٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣٩٥/٥)، من حديث حذيفة بن اليمان، والطبراني في الدعاء رقم (١٧٤٦)، من حديث همام به قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦/١٠): «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم، وبقية رجاله ثقات»، وفي الباب عن أنس أيضاً أخرجه ابن أبي الدنيا في الذكر كما في الترغيب والترهيب (٤٤١/٢).

(٤) انظر: الصواعق المرسله (١٠٨٣/٣).



قال ابن القيم رحمه الله: « وهذا من أجمع الحمد وأحسنه »<sup>(١)</sup>.  
 فالله هو المحمود على صفاته، وأسمائه وعلى نعمه، وأياديه، وعلى خلقه وأفعاله،  
 وعلى أمره وحكمه، وهو المحمود أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.  
 فكل هذه النصوص من الكتاب والسنة تواطأت للدلالة على إثبات الكمال لله  
 تبارك وتعالى وأنه المستحق لكل حمد ومدح، وهذا وغيره بعض ما تعرف به إلى عباده  
 من كلامه وعلى لسان رسوله ﷺ وإلا فلا يمكن أحداً قط أن يحصي ثناء عليه بل هو  
 كما أثني على نفسه، فكل الثناء، وكل الحمد، وكل المجد وكل الكمال له سبحانه.

(١) مطالع السعد بكشف مواقع الحمد ص (٨١)، وانظر: الصواعق المرسلّة (٣/١٠٨٣).

## ثانياً: الأدلة العقلية الدالة على ثبوت الكمال لله تعالى

مما ينبغي معرفته واعتقاده أن نصوص الكتاب العزيز، والسنة النبوية الصحيحة، لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة، فإن حصل بينهما تعارض فمرجه أمران:

١- إما فساد في العقل

٢- أو عدم ثبوت في النص.

فإذا استقام العقل، ولم يشب بشيء من الهوى والتعصب، فمحال أن يناقض الوحي، لأن رب الفطرة والعقل هو منزل الشرع، وواهب العقل، فهو مصدر ذلك كله.

قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «القياس الصحيح هو من العدل الذي أنزله - الله تعالى - ولا يجوز قط أن يختلف الكتاب والميزان.

فلا يختلف نص ثابت عن الرسل وقياس صحيح، لا قياس شرعي ولا عقلي، ولا يجوز قط أن الأدلة الصحيحة النقلية تخالف الأدلة الصحيحة العقلية، وأن القياس الشرعي الذي روعيت شروط صحته يخالف نصاً من النصوص، وليس من الشريعة شيء على خلاف القياس الصحيح، بل على خلاف القياس الفاسد...»<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

وإذا تعارض نص لفظ وارد والعقل حتى ليس يلتقيان  
فالعقل إما فاسد ويظنه الرائي صحيحاً وهو ذو بطلان  
أو أن ذاك النص ليس بثابت ما قاله المعصوم بالبرهان<sup>(٣)</sup>

إذا تقرر هذا فإن ثبوت الكمال لله تعالى مستقر في فطر الناس مفطورون عليه

(١) سورة الحديد الآية: ٢٥.

(٢) الرد على المنطقيين (١/٣٧٣).

(٣) القصيدة النونية لابن القيم مع شرح الهراس (١/٣٥٠).

كفطرتهم على الإقرار بخالقهم فإنهم كذلك مفطورون على أنه تعالى أعظم وأجل وأكبر وأعلم وأكمل من كل شيء<sup>(١)</sup>.

وبيان ذلك بأمور:

١- قد شهد العقل بأن ذات الرب أكمل من كل ذات على الإطلاق، بل ليس الكمال المطلق التام من كل وجه إلا له وحده، فيستحيل وصفه بما يضاد كماله، وكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فهو صفة كمال ثبوتها له أكمل من نفيها عنه، والخلق كلهم مفطورون على أن الله سبحانه موصوف بالكمال، منزّه عن أضداده، وإن تنازعوا في كون الصفة المعينة والفعل المعين كمالاً، أو ليس بكمال، والذين نفوه تخيلوا أن إثباته يستلزم النقص والحدوث، وأن الكمال في نفيه، وإن كان كثير من طوائف بني آدم يستجيزون وصفه بالنقائص والعيوب، مع علمهم بأنها عيوب ونقائص كما صرحت به اليهود من قولهم: وإنه فقير وإنه تعب لما خلق العالم، وأنه بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة... ونحو ذلك كثير<sup>(٢)</sup>.

ومثل اليهود مثل النصارى وكذا الاتحادية<sup>(٣)</sup> فإنهم مصرحون بأنه موصوف بكل صفة مذمومة عقلاً و عرفاً و شرعاً، ومعلوم أن هذه النقائص هي التي دل العقل الصريح و اتفاق المرسلين من أولهم إلى آخرهم على نفيها عن الله تعالى وتنزيهه عنها<sup>(٤)</sup>.

٢- ومن الأدلة العقلية الشرعية التي استدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات الكمال لله تبارك وتعالى، الاستدلال بقياس الأولى الشرعي العقلي، وقد استدل به السلف على تقرير منهجهم في إثبات الكمال لله تعالى المبني على صحيح المنقول والموافق

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧٢/٦).

(٢) انظر: الكتاب المقدس، سفر التكوين، فقرة (٢١)، ص (١٠)، الإصحاح الثامن.

(٣) الاتحادية هم القائلون باتحاد الخالق بالخلق كقول النصارى في عيسى اتحد اللاهوت بالناسوت وكقول الصوفية في بعض أقطابهم ومنهم من يقول باتحاد الخالق بجميع المخلوقات.

انظر: المعجم الفلسفي ص (٢٢٩)، والموسوعة الميسرة (٤٥/١).

(٤) انظر: الصواعق المرسلّة (١٠١٠/٣-١٠١١).

لصريح المعقول، فإن الله تعالى لا مثيل له، ولا ند له، بل له المثل الأعلى؛ ولذلك نهي أن يضرب له المثل فقال ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾<sup>(١)</sup> فلا يجوز أن يمثل بغيره من الخلق، سواء كان ذلك بقياس تمثيل<sup>(٢)</sup> أو قياس شمول<sup>(٣)</sup>، وإنما يستعمل في حقه سبحانه، قياس الأولى الدال عليه قوله تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة ابن جرير رحمه الله تعالى: «هو الأطيب والأفضل والأحسن والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره»<sup>(٥)</sup>.

وقياس الأولى يستدل به على إثبات الكمال لله تعالى من وجهين كليين<sup>(٦)</sup>:

١- إن الاتصاف بالصفات الوجودية في حق المخلوق أكمل فيه من اتصافه بالأمر العدمية، فالخالق أحق بالأمر الوجودية من كل مخلوق.

٢- إن كل كمال ثبت فالخالق أولى به منه، ويشترط في هذا الكمال:

أ- أن لا يكون فيه نقص بوجه من الوجوه، كالقدرة على إنجاب الولد، فهذا كمال في حق المخلوق، ولكن ليس كمالاً مطلقاً، إذ فيه نقص من وجه، وهو أن الوالد محتاج إلى ولده ولا يستغني عنه، ولذلك قال الله تعالى ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني﴾<sup>(٧)</sup>.

ب- أن لا يكون مستلزماً للعدم، وهذا الشرط ذكر؛ لأن بعض المخالفين

(١) سورة النحل الآية: ٧٤.

(٢) قياس التمثيل: هو أن يلحق الشيء بمثيله فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق.

انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٩/١)، والرسالة التدمرية ص (٥٠)، ومذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص (٣١٦).

(٣) قياس الشمول: هو انتقال الذهن من المعين إلى المعنى المشترك الكلّي المتناول له ولغيره. الفتاوى (١١٩/٩).

(٤) سورة النحل الآية: ٧٤.

(٥) جامع البيان (١٢٥/١٤/٨).

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٩/١-٣٠).

(٧) سورة يونس الآية: ٦٨.

يصفونه بصفات السلوب التي لا تتضمن أمراً وجودياً، ويزعمون أنها كمال في حق الخالق، مع أنها مستلزمة للعدم، فيجب إذاً أن يوصف الله تعالى بصفات كاملة وجودية لا صفات مستلزمة للعدم<sup>(١)</sup>.

وهذا الاستدلال العقلي - أي قياس الأولى - قد استدل به كثير من السلف في معرض الرد على المخالف، وقرروا به وجوب إثبات صفات الكمال لله تعالى على الوجه الذي يستحقه، فمن ذلك مثلاً ما استدل به الإمام أحمد رحمه الله تعالى وهو يرد على نفاة الصفات حيث قال رحمه الله: « وخصلة أخرى: لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها كان لا يخفى عليه كم بيتاً في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار، فالله سبحانه له المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق، وقد علم كيف هو وما هو من غير أن يكون في جوف شيء مما خلق »<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « وهذا أيضاً قياس عقلي من قياس الأولى قرر به إمكان العلم بدون المخالطة، فذكر أن العبد إذا فعل مصنوعاً كذار بناها فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها مع كونه ليس هو فيها؛ لكونه هو بناها، فالله الذي خلق كل شيء أليس هو أحق بأن يعلم مخلوقاته ومقاديرها وصفاتها، وإن لم يكن فيها محايثاً لها، وهذا من أبين الأدلة العقلية »<sup>(٣)</sup>.

وقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقياس الأولى واستخدمه في معرض رده على المخالفين في إثبات الكمال لله تعالى حيث قال رحمه الله تعالى: « وجمهور أهل الفلسفة والكلام يوافقون على أن الكمال لله تعالى ثابت بالعقل

(١) انظر: نقض التأسيس (٢٦٠/٢-٢٦٣) مجموع الفتاوى (٧٦/٦-٧٧)، منهج أهل السنة والجماعة والأشاعرة في توحيد الله تعالى (٤٧٠/٢).

(٢) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية ص (٥٠).

(٣) انظر: نقض تأسيس الجهمية (٥٤٧/٢).

والفلاسفة تسميه التمام وبيان ذلك من وجوه:

(منها) أن يقال: قد ثبت أن الله قديم بنفسه، واجب الوجود بنفسه، قيوم بنفسه، خالق بنفسه، إلى غير ذلك من خصائصه، والطريقة المعروفة في وجوب الوجود تقال في جميع هذه المعاني.

فإذا قيل: الوجود إما واجب وإما ممكن، والممكن لا بد له من واجب، فيلزم ثبوت الواجب على التقديرين، فهو مثل أن يقال: الموجود إما قديم وإما حادث، والحادث لا بد له من قديم، فيلزم ثبوت القديم على التقديرين، والموجود إما غني وإما فقير، والفقير لا بد له من الغني، فلزم وجود الغني على التقديرين، والموجود إما قيوم بنفسه وإما غير قيوم، وغير القيوم لا بد له من القيوم؛ فلزم ثبوت القيوم على التقديرين، والموجود إما مخلوق وإما غير مخلوق، والمخلوق لا بد له من خالق غير مخلوق؛ فلزم ثبوت الخالق غير المخلوق على التقديرين، ونظائر ذلك متعددة.

ثم يقال: هذا الواجب القديم الخالق إما أن يكون ثبوت الكمال الذي لا نقص فيه للممكن الوجود ممكناً له، وإما أن لا يكون، والثاني ممتنع؛ لأن هذا ممكن للموجود المحدث الفقير الممكن؛ فلأن يمكن للواجب الغني القديم بطريق الأولى والأخرى؛ فإن كلاهما موجود، والكلام في الكمال الممكن الوجود الذي لا نقص فيه.

فإذا كان الكمال الممكن الوجود ممكناً للمفضول فلأن يمكن للفاضل بطريق الأولى؛ لأن ما كان ممكناً لما هو في وجوده ناقص، فلأن يمكن لما هو في وجوده أكمل منه بطريق الأولى، لا سيما وذلك أفضل من كل وجه فيمتنع اختصاص المفضول من كل وجه بكمال لا يثبت للأفضل من كل وجه، بل ما قد ثبت من ذلك للمفضول فالفاضل أحق به؛ فلأن يثبت للفاضل بطريق الأولى.

ولأن ذلك الكمال إنما استفاده المخلوق من الخالق، والذي جعل غيره

كاملاً هو أحق بالكمال منه؛ فالذي جعل غيره قادراً أولى بالقدرة، والذي علم غيره أولى بالعلم، والذي أحيا غيره أولى بالحياة... وإذا ثبت إمكان ذلك له؛ فما جاز له من ذلك الكمال الممكن الوجود فإنه واجب له لا يتوقف على غيره»<sup>(١)</sup>.

إذا ثبت أن الكمال ثابت لله تعالى بل الثابت له هو أقصى ما يكون من الأكملية، فإن الله تعالى مستحق لأكمل الحمد على ما له من الكمال المطلق.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧٥/٦-٧٧).

المبحث الثاني  
حمد الله تعالى على أفعاله

وفيه مطلبان

المطلب الأول: أفعال الله تعالى كلها خير

المطلب الثاني: الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامه



الله تبارك وتعالى محمود على أفعاله، وأفعاله كلها خير وحكمة وعدل لا تخرج عن ذلك، فله الحمد سبحانه على أفعاله، وأفعاله كلها حسنة، وإني بصدد هذا المبحث سأتناول ما يتعلق بحمد الله تعالى على أفعاله وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين.

## المطلب الأول: أن أفعال الله تعالى كلها خير

الله تبارك وتعالى هو الذي له الحمد كله، فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص ولا في أسمائه ولا في أفعاله ولا في صفاته، فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى، فإن ذاته لها الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام، ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلاً، ولو فعل الشر سبحانه لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، ولعاد إليه منه حكم، تعالى وتقدس عن ذلك وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم، هو خير محض إذ هو محض العدل والحكمة، وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم، فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم لا في فعله القائم به تعالى<sup>(١)</sup>.

إذاً فأفعال الله تعالى كلها خير عند أهل السنة والجماعة، وذلك لما يأتي<sup>(٢)</sup>:

١- إن فعل الله تعالى قائم به، والله تعالى لا يقوم به إلا ما هو الأحسن والأكمل كما قال الله تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- إن الملاحظ في سياق القرآن ونصوصه نسبة الخير إلى الله تعالى فمن ذلك قول الله تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾<sup>(٤)</sup>.

فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله، وأنه سبحانه هو الذي يؤتية من يشاء لا غيره، فالأول تفرده بالملك، والثاني تفرده بالتصرف فيه، وأنه سبحانه هو الذي يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه، وأن الخير كله بيديه ليس لأحد معه منه شيء.

ثم ختمها بقوله ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/٤٥٠).

(٢) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (١/٢٤٤).

(٣) سورة النحل: ٦٠.

(٤) سورة آل عمران: ٢٦.

وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة، لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك قول الله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فذكر الله تعالى أنه فاعل النعمة، ثم لما ذكر الضلال أضافه إلى غيره وحذف فاعل الغضب فقال ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك قوله ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾<sup>(٣)</sup> فما هنا موصولة ليس إلا والشر مسند في الآية إلى المخلوق المفعول، لا إلى خلق الرب تعالى الذي هو فعله وتكوينه، فإنه لا شر فيه بوجه ما، فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى<sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك من الأمثلة في كتاب الله تعالى.

٣- إن الرسول ﷺ نص على أن الخير يضاف إلى الله تعالى ولا يضاف إليه الشر فقال: «

والخير كله في يديك والشر ليس إليك»<sup>(٥)</sup> وقد ذكر العلماء في هذا الحديث أجوبة:

أحدها: والشر لا يتقرب به إليك.

والثاني: لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب.

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٦٣/٢).

(٢) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله (٢٤٤/١).

(٣) سورة الفلق: ١-٢.

(٤) انظر: بدائع الفوائد (٤٥٠/١).

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم (رقم ٧٧١) في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه،

وأبو داود (رقم ٧٦٠) في الصلاة باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، والنسائي (١٣٠/٢) في

الافتتاح باب نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة، وأحمد في المسند (١٠٢/١).

والثالث: لا يضاف إليك أدباً، فلا يقال: يا خالق الشر، وإن كان خالقاً، كما لا يقال: يا خالق الخنازير، وإن كان خالقها.

والرابع: ليس شراً بالنسبة إلى حكمتك، فإنك لا تخلق شيئاً عبثاً<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولا يلتفت إلى تفسير من فسره بقوله: والشر لا يتقرب به إليك أو لا يصعد إليك، فإن المعنى أجل من ذلك، وأكبر وأعظم قدراً، فإن من أسماءه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها صدق وعدل يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه، أو أفعاله أو أقواله»<sup>(٢)</sup>.

فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما ينسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف لم يكن شراً، وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلق وفعله وقضاءه وقدره خير كله.

ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه<sup>(٣)</sup>.

٣- وأسماءه الحسنی تشهد بأن الشر ليس إليه، فإن منها القدوس السلام، العزيز الجبار المتكبر.

فالقدوس المنزه عن كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير<sup>(٤)</sup> هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة<sup>(٥)</sup> وأصل

(١) انظر: الكلم الطيب (ص/ ١٠٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٧).

(٣) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٢/ ٦٤)، والفوائد له (ص: ٢٣٢-٢٣٣)، جلاء الأفهام ص (٤٣٣).

(٤) انظر: جامع البيان (١/ ٢١١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٩١)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٤٣) طبعة مكتبة العلوم والحكم.

(٥) انظر: لسان العرب (١١/ ٦١).

الكلمة من الطهارة والنزاهة، ومنه بيت المقدس أي البيت المطهر أو المكان الذي يتطهر به من الذنوب<sup>(١)</sup>، ومنه سمي جبريل روح القدس؛ لأنه طاهر من كل عيب<sup>(٢)</sup>، ومنه قول الملائكة ﴿نسبح بحمدك ونقدس لك﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن جرير: «أي ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك»<sup>(٤)</sup>.

وقيل معناه: نُنزِهك عن السوء فلا ننسبه إليك، ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم ﴿نسبح بحمدك﴾ فإن التسبيح تنزيه الله سبحانه عن كل سوء.

قال الليث<sup>(٥)</sup>: «سبحانه وتعالى، تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به تقول: سبحت تسيحاً لله، أي نزهته تنزيهاً، والسبوح القدوس، وهو الله تعالى»<sup>(٦)</sup>.

وهو يقتضي تنزيه الله نفسه عن فعل السيئات، كما يقتضي تنزيهه عن الصفات المذمومة<sup>(٧)</sup>.

فمن أتى على الله ونزّهه عن السوء فقد سبّحه، ويقال: سبح الله وسبح له، وقدس له وقدس له<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (٢٣/٥)، واللسان (٦١/١١)، وأسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٣٠).

(٢) انظر: شفاء العليل لابن القيم (٦٥/٢).

(٣) سورة البقرة: ٣٠.

(٤) جامع البيان (٢١١/١).

(٥) الليث بن نصر بن عبد الجبار الخراساني اللغوي النحوي، صاحب الخليل بن أحمد الفراهيدي، أملى عليه فيما قيل ترتيب كتاب العين، في اللغة، وسدد له أماكن فيه، وروي أن الإمام إسحاق بن راهويه قال فيه: «كان رجلاً صالحاً» انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٨/١-٣٠)، وإنباه الرواة على أبناء النحاة لأبي الحسن القطفي (٤٢/٣-٤٣).

(٦) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (١٥١/٣-١٥٢)، وتهذيب اللغة (٢٣٨/٤).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/١٦).

(٨) انظر: شفاء العليل (٦٥/٢).

وكذلك اسمه السلام فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص في ذاته وصفاته وأفعاله<sup>(١)</sup>، ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم، ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم، فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر، ومن التسمية به، ومن فعله، ومن نسبته إليه، فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص، المسلم لخلقه من الظلم، ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها سلام<sup>(٢)</sup>، والجنة بأنها دار السلام<sup>(٣)</sup>، وتحية أهلها السلام<sup>(٤)</sup>، وأثنى على أوليائه بالقول السلام، كل ذلك السالم من العيوب<sup>(٥)</sup>.

وكذلك الكبير من أسمائه والمتكبر، قال قتادة وغيره: هو الذي تكبر عن كل شيء<sup>(٦)</sup>، وقيل المتكبر عن كل سوء<sup>(٧)</sup>.

وكذلك اسمه العزيز الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب، فإن ذلك ينافي العزة التامة.

وكذلك اسمه العلي الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص، ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء وكذلك اسمه الحميد، وهو الذي له الحمد كله، فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص، لا في أسمائه ولا في أفعاله، ولا في صفاته.

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٤٣/٤) ط: مكتبة العلوم والحكم.

(٢) إشارة إلى الآية الخامسة من سورة القدر وهي قوله تعالى ﴿ سلام هي مطلع الفجر ﴾.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾ الآية ١٢٧ من سورة الأنعام.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ خالدن فيها يا ذن ربهم تحيتهم فيها سلام ﴾ الآية ٢٣ من سورة إبراهيم.

(٥) انظر: شفاء العليل (٦٥/٢-٦٦)، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦/١٨)، وكذلك فتح

القدير للشوكاني (٢٠٧/٥)، وروح المعاني للألوسي (٦٣/٢٨).

(٦) أخرجه ابن جرير بسنده، جامع البيان (٥٦/١).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٤٤/٤)، ط. العلوم والحكم.

فأسماءه الحسنی تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب سبحانه هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فجعله فاعلاً خيراً، والمفعول شر قبيح، فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه، لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشرّاً.

وهذا أمر معقول في الشاهد، فإن الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور، واللينة الناقصة، فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك عدلاً وصواباً بمدح به، وإن كان في المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل<sup>(١)</sup>.

إذا تبين هذا وأن الخير يذكر في أفعال الله تعالى، والشر لا يذكر في أفعاله، فإنه يقال: إن الشر يذكر في مفعولاته ومقدوراته التي هي مخلوقات بئنة عنه ليست قائمة به، فالشر هنا باعتبار المقدور والمفعول، وأما باعتبار الفعل فلا، فمثلاً نحن نجد في المخلوقات المقدورات شرّاً، ففيها الحيات والعقارب والسباع والأمراض والفقر والجذب وما أشبه ذلك، وكل هذه بالنسبة للإنسان شر، لأنها لا تلائمها، وفيها أيضاً المعاصي والفجور والكفر والفسوق والقتل وغير ذلك، وكل هذه شر، لكن باعتبار نسبتها إلى الله هي خير، لأن الله عز وجل لم يقدرها إلا للحكمة بالغة عظيمة، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها<sup>(٢)</sup>.

وللتحقيق في هذه المسألة ينظر إلى ثلاثة اعتبارات<sup>(٣)</sup>:

الأول: التفريق بين الفعل والمفعول.

(١) انظر: شفاء العليل (٦٦/٢-٦٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٧٠/١)، والقول المفيد على كتاب التوحيد له أيضاً (٢٢٥/٣).

(٣) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٢٤٥/١).

الثاني: طريقة إضافة الشر.

الثالث: النظر في الشر نفسه، هل هو شر محض أو شر جزئي؟

أما الاعتبار الأول وهو التفريق بين الفعل والمفعول، فإنه أمر يقول به أهل السنة والجماعة، ويتضح هذا بمثال وهو: تخليق السموات والأرض، فالسموات والأرض مخلوقة لله تعالى فهي ليست قائمة بذات الرب تعالى، أما التخليق فهو فعله وهو صفته<sup>(١)</sup>.

أما الاعتبار الثاني: فهو أن الشر لا يضاف إلى الله تعالى مفرداً وإنما بأحد ثلاث اعتبارات<sup>(٢)</sup>:

١- إما أن يدخل في عموم المخلوقات كما في قوله تعالى ﴿الله خالق كل شيء﴾<sup>(٣)</sup> فدخل في عموم مخلوقاته.

٢- وإما أن يضاف الشر إلى سببه ومن قام به كقوله تعالى ﴿والكافرون هم الظالمون﴾<sup>(٤)</sup> وقوله ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾<sup>(٥)</sup> وقوله ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾<sup>(٦)</sup> وقوله ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم﴾<sup>(٧)</sup> وقوله ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾<sup>(٨)</sup> وهو في القرآن أكثر من أن يذكر هنا عشر معشاره، وإنما المقصود التمثيل<sup>(٩)</sup>.

٣- وإما أن يحذف فاعله كما في قوله تعالى حكاية عن مؤمنين الجن ﴿وأنا لا

(١) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري ص (١٨٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٦/١٤)، ومنهاج السنة النبوية (١٤٢/٣).

(٣) سورة الزمر الآية: ٦٢.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٥٤.

(٥) سورة المائدة الآية: ١٠٨.

(٦) سورة النساء الآية: ١٦٠.

(٧) سورة الأنعام الآية: ١٤٦.

(٨) سورة الزخرف الآية: ٧٦.

(٩) انظر: بدائع الفوائد (٤٥٤/١).



ندري أشراً يريد بمن في الأرض أم أردا بهم ربهم رشداً ﴿<sup>(١)</sup>﴾ فحذفوا فاعل الشر ومريده وصرحوا بمريد الشر، ونظيره في الفاتحة ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه، والضلال منسوباً إلى من قام به، والغضب محذوفاً فاعله، ومثله قول الخضر في السفينة ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ وفي الغلامين ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كثرهما رحمة من ربك ﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾ ومثله قوله ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ ﴿<sup>(٤)</sup>﴾ فنسب هذا التزيين المحبوب إليه، وقال ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ ﴿<sup>(٥)</sup>﴾ فحذف الفاعل المزين، ومثله قول الخليل ﷺ ﴿ الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ ﴿<sup>(٦)</sup>﴾ فنسب إلى ربه كل كمال من هذه الأفعال، ونسب إلى نفسه النقص منها وهو المرض، والخطيئة، وهذا كثير في القرآن.

وبالجمله فالذي يضاف إلى الله تعالى كله خير وحكمة ومصالحة وعدل والشر

ليس إليه <sup>(٧)</sup>.

٣- وأما الاعتبار الثالث فهو: أن الشر نوعان: شر محض حقيقي من كل وجه، وشر نسبي إضافي من وجه دون وجه <sup>(٨)</sup>، فالشر الذي يكون في مخلوقاته هو شر جزئي إضافي، وليس شراً متمحضاً من كل الوجوه؛ لأنه يرجع إلى أحد الأمرين:

١- إما أن يكون الشر قائم بمحل معين خيراً من وجه آخر للمحل نفسه، ومثاله

(١) سورة الجن الآية: ١٠.

(٢) سورة الكهف الآية: ٧٩.

(٣) سورة الكهف الآية: ٨٢.

(٤) سورة الحجرات الآية: ٧.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٤.

(٦) سورة الشعراء الآية: ٧٨-٨٢.

(٧) انظر بدائع الفوائد (١/٤٥٤-٤٥٥).

(٨) انظر: شفاء العليل (٢/٦٨).

القصاص والحدود والآلام ولنفرض حد الزني مثلاً إذا كان غير محصن أن يجلد مائة جلدة ويسفر من بلده لمدة عام، هذا لا شك أنه شر بالنسبة إليه، لأنه لا يلائمه، لكنه خير من وجه آخر؛ لأنه يكون كفارة له، فهذا خير؛ لأن عقوبة الدنيا أهون من عقوبة الآخرة، فهو خير له، ومن خيره أنه ردع لغيره ونكال لغيره، فإن غيره لو هم أن يزني وهو يعلم أنه سيفعل به مثل ما فعل بهذا، لارتدع، بل قد يكون خيراً له هو أيضاً، باعتبار أنه لن يعود إلى مثل هذا العمل الذي سبب له هذا الشيء، فتبين بهذا أن هذه الشرور تنفع صاحبها المؤمن بتكفير ذنبه أو رفع درجته، فهي إذاً خير من وجه آخر.

٢- وإما أن يكون الشر القائم بمحل معين خير لمحل آخر، كقتل الكفار، فإن القتل وإن كان شراً للكفار، إلا أنه خير لغيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض<sup>(١)</sup>.

تبين مما سبق أن أفعال الله تبارك وتعالى التي استحق عليها كمال الحمد كلها خير لا شر فيها أصلاً، وأن الشر إنما هو في المفعول، وهذا الشر ليس شراً محضاً .

(١) انظر: شفاء العليل (٦٨/٢)، وشرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٧١/١).

### المطلب الثاني: الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامه

تقدم أن الله تبارك وتعالى محمود على أفعاله، وأوصافه وأسمائه منزّه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه، فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل لا تخرج عن ذلك<sup>(١)</sup>، وحمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعته وإكرامه، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا، وهو يحمده نفسه على ذلك كله، ويحمده عليه ملائكته ورسله وأوليّاه، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم، وما كان من لوازم كمال حمده وتماهه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة كما له عليه الحمد التام، فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته<sup>(٢)</sup>. ومعلوم أن الفاعل لا يحمده على فعله، إن لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى من عدمها، وإلا فمجرد الفعل الصادر عن الفاعل إذا لم يكن له غاية يقصده بها لا يحمده عليه، ولا يقع الفعل على هذا الوجه إلا من عائب، والله منزّه من العيب، فحمده سبحانه من أعظم الأدلة على كمال حكمته وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل لحقيقة حمده<sup>(٣)</sup>.

إذا تبين هذا فإن المراد بالحكمة عند أهل السنة والجماعة هي: العاقبة المحمودة للفعل التي لأجلها فعل الله تعالى، وللأمر الذي لأجله أمر الله، فالحكمة تتضمن ما في خلقه تعالى وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ص (١٢٢-١٢٣).

(٢) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١٨٧/٢).

(٣) المصدر السابق ١١٧/٠٢.

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (١/١٤١)، والحكمة في أفعال الله تعالى د. محمد بن ربيع المدخلي ص: ٣٢.

### والحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه يجبها ويرضاها، فالحجة والرضى أخص من الإرادة والمشية، والحكمة ليست مطلق المشية، إذ لو كان كذلك لكان كل مرید حكيماً<sup>(١)</sup>.

والثاني: حكمة تعود إلى عباده هي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذون بها؛ وهذا في المأمورات وفي المخلوقات<sup>(٢)</sup>.

فالله تبارك وتعالى هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بما في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال.

### وحكمته نوعان:

١- أحدهما: الحكمة في خلقه، فإنه خلق الخلق بالحق ومشملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقه وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً ولا نقصاً ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدرُوا، وأتى لهم القدرة على شيء من ذلك وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه، ويطلعوا على بعض ما فيها من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/٨)، ومنهاج السنة النبوية (١٤١/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٦/٨).

الحسن والإتقان، وهذا أمر معلوم قطعاً بما يعلم من عظمته وكمال صفاته وتتبع حكمه في الخلق والأمر، وقد تحدى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكروا النظر والتأمل: هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصاً؟ وأنه لا بد أن نرجع الأبصار كليله عاجزة عن الانقياد على شيء من مخلوقاته<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا، وأي فضل وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له، وحده وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل الفضائل لمن يمن الله عليه بها، وأكمل سعادة وسرور للقلب والروح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم، فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات، وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء وخلقت الجنة والنار لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخبره تملأ القلوب علماً و يقيناً وإيماناً وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انصرافها، وتثمر كل خلق جميل وعمل صالح وهدى ورشد، وأوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدين والدنيا، فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مضرتة خالصة أو راجحة.

(١) انظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية لابن سعدي

(٢/٣-٢٣٧-٢٣٨) ضمن المجموعة الكاملة.

(٢) سورة الملك الآية: ٣، ٤.

ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه هو الغاية لصلاح القلوب والأخلاق والأعمال والاستقامة على الصراط المستقيم، فهو الغاية لصلاح الدنيا فلا تصلح أمور الدنيا صلاحاً حقيقياً إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل<sup>(١)</sup>.

وهذا النوع من الحكمة أي الحاصلة من الشرائع على ثلاثة أنواع:

١- أحدها: حكمة حاصلة من الأمر بفعل مشتمل على مصلحة أو مفسدة فيهما معلومتان بأصل الفطرة والخلقة، كالعدل والظلم، فهذا يعلم بالعقل والشرع، وثبوته بالشرع: المراد به إثبات الثواب أو العقاب به، لا إثبات صفة للفعل لم تكن قبل مجيء الشرع<sup>(٢)</sup>.

٢- النوع الثاني: حكمة حاصلة من الأمر أو النهي عن فعل بحسب اشتماله على المصلحة والمفسدة إلا أنه لا يعرف إلا بخطاب الشرع<sup>(٣)</sup> وذلك مثل قبح الزيادة على أربع في النكاح<sup>(٤)</sup>.

٣- النوع الثالث: حكمة يكون منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به، وذلك بأن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه! ولا يكون المراد فعل المأمور، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح<sup>(٥)</sup> قال الله تعالى: ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين ونادياها أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا هو البلاء المبين ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية لابن سعدي (٢٣٨/٣-٢٣٩) ضمن المجموعة الكاملة.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٤/٨-٤٣٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٥/٨-٤٣٦).

(٤) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد بن عبد اللطيف (٢٥٠/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٦/٨).

(٦) سورة الصافات الآية: ١٠٦-١٠٧.

والمقصود هنا أن الله تبارك وتعالى له في كل ما خلقه وشرعه حكمة بالغة ونعمة سابغة لأجلها خلق وأمر، ويستحق أن يثنى عليه ويحمد لأجلها كما يثنى عليه ويحمد لأسمائه الحسنى ولصفاته العلى، فهو المحمود على ذلك كله أتم حمد وأكملة، لما اشتملت عليه صفاته من الكمال، وأسمائه من الحسن، وأفعاله من الحكم والغايات المقتضية لحمده، المطابقة لحكمته، الموافقة لما يحبه فإنه سبحانه كامل الذات، كامل الأسماء والصفات، لا يصدر عنه إلا كل فعل كريم مطابق للحكمة، موجب للحمد، يترتب عليه من محابه ما فعل لأجله<sup>(١)</sup>.

إذا تقرر هذا وأنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلام الله تبارك وتعالى، وكلام رسوله ﷺ على هذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها، وقد قام العلامة الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى باستقصاء تلك الأدلة، وتتبع أنواعها في كتابه القيم شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل<sup>(٢)</sup>، وقد قمت بصدد هذا البحث بتلخيص تلك الأدلة التي ذكرها وذكر الأهم منها على النحو الآتي:

١- النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله تعالى: ﴿حكمة بالغة﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: طريق المحرتين ص (٢٧٦).

(٢) انظر: شفاء العليل (٨٧/٢).

(٣) سورة القمر الآية: ٥.

(٤) سورة النساء الآية: ١١٣.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٦٩.

والحكمة هي العلم النافع، والعمل الصالح، وسمي حكمة لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتهما، وكذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلاً إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة، فيكون مرشداً إلى العلم النافع والعمل الصالح، فتحصل الغاية المطلوبة<sup>(١)</sup>.

٢- النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا، كقوله:

﴿ ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وغيره في القرآن كثير<sup>(٥)</sup>.

٣- النوع الثالث: الإتيان بكى الصريحة في التعليل، كقوله تعالى: ﴿ ما أفاء

الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقوله سبحانه: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسر لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾<sup>(٧)</sup>.

فأخبر سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الأنفس أو المصيبة أو الأرض أو المجموع، وهو الأحسن.

(١) انظر شفاء العليل (٨٨/٢).

(٢) سورة المائدة الآية: ٩٧.

(٣) سورة الطلاق الآية: ١٢.

(٤) سورة النساء الآية: ١٦٥.

(٥) انظر: شفاء العليل (٨٨/٢-٩٦).

(٦) سورة الحشر الآية: ٧.

(٧) سورة الحديد الآية: ٢٢.



ثم أخبر أن ذلك قدرته عليه وأنه يسير عليه، وحكمته البالغة التي منها أن لا يجزن عباده على ما فاتهم إذا علموا أن المصيبة فيه بقدره، وكتابته ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفئات فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا بالحاصل لعلمهم أن المصيبة مقدره في كل ما على الأرض، فكيف يفرح بشيء قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه<sup>(١)</sup>.

٤- النوع الرابع: ذكر المفعول له وهو علة للفعل المعلن به كقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

٥- النوع الخامس: الإتيان بأن والفعل المستقبل بعدها تعليلاً لما قبله؛ كقوله تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿أن تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾<sup>(٦)</sup> ونظائره، وفي ذلك طريقان: أحدهما للكوفيين، والمعنى لثلاثاً تقولوا، ولثلاثاً تقول نفس.

والثاني للبصريين أن المفعول له محذوف أي كراهة أن تقولوا، أو حذاراً أن تقولوا<sup>(٧)</sup>.

٦- النوع السادس: ذكر ما هو من صرائح التعليل، وهو من أجل، كقوله: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾<sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: شفاء العليل (٩٦/٢-٩٧).

(٢) سورة النحل الآية: ٨٩.

(٣) انظر: شفاء العليل (٩٨/٢-٩٩).

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٥٦.

(٥) سورة الزمر الآية: ٥٦.

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

(٧) انظر: شفاء العليل (٩٩/٢).

(٨) سورة المائدة الآية: ٣٢.

(٩) انظر: شفاء العليل (١٠٠/٢).

٧- النوع السابع: التعليل بلعل، وهو في كلام الله سبحانه للتعليل مجردة عن معنى الترجي، فإنها إنما يقارنها معنى الترجي إذا كانت من المخلوق، وأما في حق من لا يصح عليه الترجي فهي للتعليل المحض، كقوله: ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾<sup>(١)</sup>. فقيل: هو تعليل لقوله: ﴿اعبدوا ربكم﴾ وقيل: تعليل لقوله: ﴿خلقكم﴾، والصواب: أنه تعليل للأمرين لشرعه وخلقته<sup>(٢)</sup>.

٨- النوع الثامن: ذكر الحكم الكوني والشرعي عقيب الوصف المناسب له، وتارة يذكر بيان، وتارة يقرن بالفاء، وتارة يذكر مجرداً.

فالأول كقوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾<sup>(٣)</sup>.

والثاني كقوله: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا﴾<sup>(٤)</sup>.

والثالث كقوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم﴾<sup>(٥)</sup>.

وهذا في التنزيل يزيد على عدة آلاف موضع بل القرآن مملوء منه،

فإن قيل: هذا إنما يفيد كون تلك الأفعال أسباباً لما رتب عليها، ولا يقتضي إثبات التعليل في فعل الرب وأمره، فأين هذا من هذا؟ قيل: لما جعل الرب سبحانه هذه الأوصاف عللاً لهذه الأحكام وأسباباً لها دل ذلك على أنه حكم بها شرعاً وقدرراً لأجل تلك الأوصاف، وأنه لم يحكم بها لغير علة ولا حكمة<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة الآية: ٢١.

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/ ١٠١-١٠٢).

(٣) سورة الذاريات الآية: ١٥.

(٤) سورة المائدة الآية: ٣٨.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٧٧.

(٦) انظر: شفاء العليل (٢/ ١٠٢-١٠٣).

٩- النوع التاسع: تعليقه سبحانه عدم الحكم القدرى والشرعى بوجود المانع منه كقوله: ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾<sup>(٢)</sup> فأخبر سبحانه عن المانع الذي منع من إنزال الملك عياناً بحيث يشاهدونه، وأن حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك، فإنه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعقوبة ولم ينظروا<sup>(٣)</sup>.

١٠- النوع العاشر: إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره، كقوله: ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ إلى قوله: ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله: ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾<sup>(٧)</sup>.  
إلى أضعاف ذلك في القرآن مما يفيد من له أدنى تأمل القطع بأنه سبحانه فعل للحكم والمصالح التي ذكرها وغيره مما لم يذكره<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة الزخرف الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٨.

(٣) انظر: شفاء العليل (١٠٤/٢).

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٢.

(٥) سورة النبأ الآية: ٦-١١.

(٦) سورة عبس الآية: ٢٤-٣٢.

(٧) سورة الجاثية الآية: ١٢.

(٨) انظر: شفاء العليل (١٠٥/٢-١٠٧).

١١- النوع الحادي عشر: إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة كقوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين حيث نزهوه عن إيجاد الخلق لا لشيء ولا لغاية، فقال تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه﴾<sup>(٥)</sup> وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أوليائه فقال: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا﴾<sup>(٦)</sup> وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول إنه لم يخلق لحكمة مطلوبة، ولا أمر لحكمه، ولا نهي لحكمه، وإنما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا لغاية مقصودة.

وهل هذا إلا إنكار لحقيقة حمده !! بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات، فهما مظهران بحمده وحكمته، فإنكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره<sup>(٧)</sup>.

١٢- النوع الثاني عشر: إنكاره سبحانه أن يسوي بين المخلوقين، أو يفرق بين المتماثلين، وأن حكمته وعدله يأبى ذلك.

أما الأول كقوله: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾<sup>(٨)</sup> فأخبر أن هذا حكم باطل جائر يستحيل نسبته إليه كما يستحيل نسبة الفقر والحاجة والظلم إليه.

(١) سورة المؤمنون الآية: ١١٥.

(٢) سورة الدخان الآية: ٣٩.

(٣) سورة القيامة الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ١٦.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

(٦) سورة ص الآية: ٢٧.

(٧) انظر: شفاء العليل (١٠٩/٢).

(٨) سورة القلم الآية: ٣٥-٣٦.

وأما الثاني: وهو أن لا يفرق بين التماثلين فكقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

١٣- النوع الثالث عشر: أمره سبحانه بتدبير كلامه والتفكير فيه، وفي أوامره ونواهيه وزواجره، ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي هي محل الفكر لما كان للتفكير فيه معنى، وإنما دعاهم إلى التفكير والتدبير ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة وما فيها من الغايات والمصالح المحمودّة التي توجب لمن عرفها إقراره بأنه تنزيل من حكيم حميد<sup>(٣)</sup>.

١٤- النوع الرابع عشر: إخباره عن صدور الخلق والأمر عن حكمته وعلمه فيذكر هذين الاسمين عن ذكر مصدر خلقه وشرعه تنبيهاً على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام، لقوله: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم﴾<sup>(٥)</sup>.

فذكر العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف، والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم<sup>(٦)</sup>.

١٥- النوع الخامس عشر: إخباره بأن حكمه احسن الأحكام وتقديره أحسن التقادير، ولولا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة لما كان ذلك، قال تعالى: ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة التوبة الآية: ٧١.

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/١١٠-١١١).

(٣) انظر: شفاء العليل (٢/١١٢-١١٣).

(٤) سورة النمل الآية: ٦.

(٥) سورة الزمر الآية: ١.

(٦) انظر: شفاء العليل (٢/١١٣).

(٧) سورة المائدة الآية: ٥٠.

وقال تعالى: ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾<sup>(١)</sup> ولولا مجيئه على أكمل الوجوه وأحسنها، ومطابقتها للغايات المحمودة والحكم المطلوبة لكان كله متفاوتاً أو كان عدم تفاوته أمراً اتفاقياً لا يحمد فاعله لأنه لم يردده ولم يقصده وإنما اتفق أن صار كذلك<sup>(٢)</sup>.

١٦- النوع السادس عشر: إخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه.

أحدهما: قوله حاكياً عن نبيه هود: ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾<sup>(٣)</sup>.

والثاني: قوله: ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو صراط مستقيم ﴾<sup>(٤)</sup>.

ووصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم يعني كونه يقول الحق، ويفعل الصواب، فكلماته صدق وعدل، وقوله كله صواب وخير: والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فلا يقول إلا ما يحمد عليه لكونه حقاً وعدلاً وصدقاً وحكمة في نفسه.

وإذا عرف هذا فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شيئاً إلا بحكمة يحمد عليها، وغاية هي أولى بالإرادة من غيرها، فلا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصلحة والإحسان والرحمة والعدل والصواب. كما لا تخرج أقواله عن العدل والصدق<sup>(٥)</sup>.

١٧- النوع السابع عشر: حمده سبحانه لنفسه على جميع ما يفعله وأمره عباده بحمده، وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة به، وعلى حصولها ...

(١) سورة الملك الآية: ٣.

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/١١٤-١١٥).

(٣) سورة هود الآية: ٥٦.

(٤) سورة النحل الآية: ٧٦.

(٥) انظر: شفاء العليل (٢/١١٠-١١٧).

ومعلوم أن الفاعل لا يحمد على فعله، إن لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى به من عدمها، وإلا فمجرد الفعل الصادر عن الفاعل إذا لم يكن له غاية يقصده بها لا يحمد عليه، بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال، ولا يقع الفعل على هذا الوجه إلا من عائب، والله منزّه من العيب، فحمده سبحانه من أعظم الأدلة على كمال حكمته، وقصده بما فعل يقع خلفه الإحسان إليهم ورحمتهم وإتمام نعمته عليهم وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل الحقيقة حمده<sup>(١)</sup>.

١٨- النوع الثامن عشر: إخباره بإنعامه على خلقه وإحسانه إليهم وأنه خلق لهم ما في السموات وما في الأرض، وأعطاهم الأسماع والأبصار والأفئدة لئتم نعمته عليهم.

ومعلوم أن المنعم المحسن لا يكون كذلك ولا يستحق هذا الاسم حتى يقصد الإنعام على غيره والإحسان إليه، فلو لم يفعل سبحانه لغرض الإنعام والإحسان لم يكن منعماً في الحقيقة ولا محسناً، إذ يستحيل أن يكون كذلك من لم يقصد الإنعام والإحسان، وهذا غني عن التقرير، يوضحه أنه سبحانه حيث ذكر إنعامه وإحسانه فإنما يذكره مقروناً بالحكم والمصالح والمنافع التي خلق الخلق وشرع الشرائع لأجلها، كقوله في آخر سورة النحل ﴿والله جعل لكم ما خلق ظللاً وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾<sup>(٢)</sup> فجعل تمام نعمته في أن خلق ما خلق للإحسان وأمر بما أمر لذلك<sup>(٣)</sup>.

١٩- النوع التاسع عشر: اتصافه بالرحمة وأنه أرحم الراحمين، وأن رحمته وسعت كل شيء، وذلك لا يتحقق إلا بان تقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم، وربما أمرهم به<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: شفاء العليل (١١٧/٢).

(٢) سورة النحل الآية: ٨١.

(٣) انظر: شفاء العليل (١١٧/٢-١١٨).

(٤) المصدر السابق.

٢٠- النوع العشرون: جوابه سبحانه لمن سأل عن التخصيص والتمييز الواقع في أفعاله بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه وإن كان السائل لا يعلمها، كما أجاب الملائكة لما قال لهم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾<sup>(١)</sup> فقالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ فأجابهم بقوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾<sup>(٢)</sup>.

ولو كان فعله مجرداً عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم به إن سألوا هذا السؤال ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم ما لا يعلمونه من الحكم والمصلحة التي في خلق هذه الخليقة<sup>(٣)</sup>.

٢١- النوع الحادي والعشرون: إخباره سبحانه عن تركه بعض مقدوره لما يستلزمه من المفسدة، وإن المصلحة في تركه ولو كان الأمر راجعاً إلى محض المشيئة لم يكن ذلك علة للحكم، كقوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾<sup>(٤)</sup>.

فعل سبحانه عدم إسماعهم السماع الذي ينتفعون به وهو سماع الفهم بأنه لا خير فيهم يحسن معه أن يسمعهم، وبأن فيهم مانعاً آخر يمنع من لا خير فيهم يحسن معه أن يسمعهم، وبأن فيهم مانعاً آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه، وهو الكبر والإعراض، فالأول من باب تعليل عدم الحكم بعدم ما يقتضيه، والثاني من باب تعليله لوجود مانعه.

وهذا إنما يصح ممن يأمر وينهى ويفعل للحكم والمصالح، وأما من يُجرّد فعله عن ذلك فإنه لا يضاف عدم الحكم إلا إلى مجرد مسببه ومن هذا تنزيهه نفسه عن

(١) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٣) انظر: شفاء العليل (١١٩/٢).

(٤) سورة الأنفال الآية: ٢٢.



كثير مما يقدر عليه فلا يفعله لمنافاته لحكمته وحمده، كقوله تعالى: ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقوله: ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾<sup>(٤)</sup>.

فنزّه نفسه عن هذه الفعال لأنها لا تليق بكماله وتنافي حكمته وحمده<sup>(٥)</sup>.

فتبين بهذه الأدلة أن من يفعل لحكمة وغاية مطلوبة يحمده عليها أكمل ممن يفعل لا لشيء البتة، كما أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يريد أكمل ممن لا يريد، ومن يقدر أكمل ممن لا يتصف بذلك.

والمقصود أن كمال الرب تبارك وتعالى وجلاله وعدله ورحمته وقدرته وإحسانه وحمده ومجده وحقائق أسمائه الحسنی تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة.

فتبين بذلك أن الله تبارك وتعالى محمود على أفعاله وأن أفعاله كلها خير، وأن أفعاله صادرة عن حكمة وغاية مطلوبة فله الحمد كله، ويده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله.

(١) سورة آل عمران الآية: ١٧٩.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٣٣.

(٣) سورة التوبة الآية: ١١٥.

(٤) سورة هود الآية: ١١٧.

(٥) انظر: شفاء العليل: (٢/١٢٠-١٢١).

المبحث الثالث

حمد الله تعالى على أسمائه الحسنى

وفيه مطلبان

المطلب الأول: أسماء الله ~~كلها~~ حسنى

المطلب الثاني: الحميد اسم من أسماء الله تعالى دال على الحمد

أسماء الله تعالى كلها محامد ومدائح يحمد الله تعالى بها ويثني عليه بها، وأسماءه كلها حسنى بالغة في الحسن غاية، والحميد اسم من أسماء الله تعالى دال على الحمد، فله الحمد على أسمائه الحسنى، وإني بصدد هذا المبحث سأتناول ما يتعلق بحمد الله على أسمائه، وما يلحق به من مسائل، وقد قمت بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: في أن أسماء الله تعالى كلها حسنى.

المطلب الثاني: الحميد اسم من أسماء الله تعالى دال على الحمد.

### المطلب الأول: أسماء الله تعالى كلها حسنى

الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى، كما سمي نفسه بذلك، وأنزل كتبه، وعلمه من شاء من خلقه كاسمه، الحق، والعليم، والرحيم، والحكيم، ونحو ذلك. وهذه الأسماء كلها أسماء مدح وحمد تدل على ما يحمد به، ولا يكون معناها مذموماً<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الله تبارك وتعالى أسماءه بالحسنى في أربع آيات من كتابه العزيز وهي:

١- قوله تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- قوله تعالى: ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ﴾<sup>(٥)</sup>.

والحسنى تأنيث الأحسن، وهي ضد السوءى، والحسن ضد القبح، تقول: أحسنت لفلان وأسأت بفلان، أي أحسنت إليه وأسأت إليه<sup>(٦)</sup>. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: « والحسنى: المفضلة على الحسنه، والواحدة الأحاسن »<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية، ١٠/٢.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء الآية: ١١.

(٤) سورة طه الآية: ٨.

(٥) سورة الحشر الآية: ٢٤.

(٦) انظر: لسان العرب ١٧٨/٣-١٨٠.

(٧) (١) مجموع الفتاوى ١٤١/٦.

قال ابن الوزير<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «واعلم أن الحسنى في اللغة هو جمع الأحسن لا جمع الحسن، فإن جمعه حسان وحسنة، فأسماء الله التي لا تخصى كلها حسنة، أي: أحسن الأسماء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾. أي: الكمال الأعظم في ذاته وأسمائه ونعوته، فلذلك وجب أن تكون أسماؤه أحسن الأسماء من التفاوت العظيم عقلاً وشرعاً ولغةً وعرفاً»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «أسماء الله تعالى كلها حسنى أي: بالغة في الحسن أكمله من كل وجه، ليس فيها نقص لا فرضاً ولا احتمالاً»<sup>(٣)</sup>.  
ووجه كون أسماء الله تعالى حسنى لعدة أمور منها:-

١- لدلالاتها على مسمى الله تعالى، فكانت حسنى لدلالاتها على أحسن وأعظم وأجل وأقدس مسمى وهو الله تبارك وتعالى<sup>(٤)</sup>.

قال الشيخ عبد العزيز السلطان: «فأسماء الله إنما كانت حسنى لدلالاتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول»<sup>(٥)</sup>.

٢- لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديراً<sup>(٦)</sup>.

٣- إن أسماءه كلها مدح وحمدٌ وثناءٌ وتمجيدٌ، ولذلك كانت حسنى<sup>(٧)</sup>.

(١) هو العلامة المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير اليماني وُلِدَ سنة ٧٧٥هـ، له مؤلفات كثيرة من أهمها: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، وإبثار الحق على الخلق، وتحرير الكلام في مسألة الرؤية وما دار بين المعتزلة والاشعرية، توفي سنة ٨٤٠هـ. انظر: البدر الطالع، للشوكاني ٩٠/٢.

(٢) العواصم والقواصم ٢٢٨/٧.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٩١/٣.

(٤) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص ٣٩٨.

(٥) الأسئلة والأجوبة الأصولية ص ٥١.

(٦) انظر: القواعد المثلى ص ٩.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ١٢١/١.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: « وليس في أسمائه الحسنى إلا اسم يمدح به، ولهذا كانت كلها حسنى، والحسنى بخلاف السوءى فكلها حسنة، والحسن محبوب ممدوح»<sup>(١)</sup>.

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده مثال ذلك: الحي اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

ومثال آخر: « العليم: اسم من أسماء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: ﴿ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾<sup>(٢)</sup>.

العلم الواسع المحيط بكل شئ جملة وتفصيلاً سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾<sup>(٣)</sup>.

فلا يخرج من علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، قال الله تعالى: ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: ﴿ يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) منهاج السنة النبوية، ٤٠٩/٥، وبيان تلبيس الجهمية، ١١/٢.

(٢) سورة طه الآية: ٥٢.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٥٩.

(٤) سورة هود الآية: ٦.

(٥) سورة التغابن الآية: ٤.

ومثال ثالث: الرحمن اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>(١)</sup>. يعني: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وأصقته ببطنها وأرضعته، ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾<sup>(٢)</sup>. وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً﴾<sup>(٣)</sup>.

وكما يكون الحسن في أسماء الله تعالى باعتبار كل اسم على انفراده يكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل يجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال<sup>(٤)</sup>. مثال ذلك الحكيم الخبير فقد جمع الله تعالى بينهما في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير﴾<sup>(٥)</sup>. والحكيم الخبير دالين على كمال الإرادة، وأنها لا تتعلق بمراد إلا الحكمة البالغة، وعلى كمال العلم وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بخبرة، فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم، فالمراد ظاهر، والحكمة باطنة، والعلم ظاهر والخبرة باطنة، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة وكمال العلم أن يكون كاشفاً عن الخبرة، فالخبرة باطن العلم وكمالها والحكمة باطن الإرادة وكمالها، وتأمل كيف تضمنت الآية من أول سورة سبأ إثبات حمده وملكه وحكمته وعلمه على أكمل الوجوه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته رقم (٥٩٩٩)، ومسلم: كتاب التوبة: باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٤) (٢٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٥٦.

(٣) سورة غافر الآية: ٧.

(٤) انظر: القواعد المثلى، ص ٩ - ١٠.

(٥) سورة سبأ الآية: ١.

ثم ختم الآية بصفيتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه، وهما الرحمة والمغفرة، فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه برحمته ويعفو عن زلتهم ويغفر لهم ذنوبهم ولا يؤاخذهم بها بمغفرته، فقال تعالى: ﴿ وهو الرحيم الغفور ﴾، فتضمنت هذه الآية سعت علمه ورحمته وحكمته ومغفرته<sup>(١)</sup>.

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿ العزيز الحكيم ﴾ فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً، فيكون كلاً منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز والحكمة في الحكيم والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين فإن العزيز منهم قد تأخذ العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسئ التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالجزء الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل<sup>(٢)</sup>.  
ونظائر هذا في القرآن كثير.

ومن أسمائه سبحانه ما يدل على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد، مثاله: المجيد، العظيم، الصمد<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: « إن من أسمائه الحسنی ما يكون دالاً على عدة صفات ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها، كاسمه العظيم والمجيد والصمد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصمد: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو

(١) انظر: بدائع الفوائد، ١/٨٩.

(٢) انظر: القواعد المثلى، ص ١٠.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ١/١٧٦.



الله سبحانه، هذه صفة لا تنبغي إلا له<sup>(١)</sup>، ليس له كفوياً أحد، وليس كمثلته شيء<sup>(٢)</sup>. وأسماء الله تعالى منها ما يُطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يسوغ أن يدعى به مفرداً ومقترناً بغيره، فتقول: يا عزيز يا حلیم يا غفور يا رحيم، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع، ومنها ما لا يُطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله كالمانع والضار، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمعطي والنافع، فهو المعطي المانع، الضار النافع، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله لأنه يُراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاءً ومنعاً ونفعاً وضراً، وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة<sup>(٣)</sup>.

إذا ثبت هذا الأصل العظيم في باب أسماء الله تبارك وتعالى، وأن أسماء الله تعالى كلها حسنى، أي بالغة في الحسن غايته، فإن هذا الأصل يتخرج عليه مسائل، هي بمترلة الفرع للأصل، وهي على ما يأتي:-

(١) أخرجه بسنده ابن جرير الطبري، ٣٤٦/١٥، وابن أبي حاتم. كما في مجموع الفتاوى، ٢٢٠/١٧ عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس به، وفي روايته عن ابن عباس انقطاع.  
انظر: جامع الترمذي، ٢/٢٩٠، وجامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي، / ٢٩٤، قال المعلمي: «والسند عن ابن عباس فيه كلام وهو مع ذلك منقطع، علي بن أبي طلحة أجمع الحفاظ على أنه لم يسمع عن ابن عباس».  
انظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ٢/٢٩١-٢٩٢، والقائد إلى تصحيح العقائد، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) بدائع الفوائد، بشيء من التصرف، ١/١٨٥.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ١/١٨٤.

المسألة الأولى: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف<sup>(١)</sup>

فأسماء الله تبارك وتعالى أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالاتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فالحي العليم القدير السميع البصير الرحمن الرحيم العزيز الحكيم، كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحيّ غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « فالله له الأسماء الحسنى دون السوآى، وإنما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيء بمعناه، فلو كانت كلها بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى لم تنقسم إلى حسنى وسوآى »<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « وكذلك أسماء الرب تعالى، كلها أسماء مدح، فلو كانت ألفاظاً مجردة من معاني لها، لم تدل على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلها، فقال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾<sup>(٤)</sup>، فهي لم تكن حسنى بمجرد اللفظ، بل لدلالاتها على أوصاف الكمال، ولهذا لما سمع بعض العرب قارئاً يقرأ: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكلاً من

(١) انظر: القواعد المثلى، ص ١١. وانظر: جلاء الأفهام، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) وهذا شأن أسماء الله تعالى، وأسماء كتبه وأسماء نبيه، هي أعلام دالة على معان هي بما أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين، فهو الله، الخالق، البارئ، المصور، فهذه أسماء له دالة على معان هي صفاته، وكذلك القرآن، والفرقان، وغير ذلك من أسمائه، وكذلك أسماء نبيه ﷺ محمد وأحمد والمحيي. انظر: جلاء الأفهام، ص ٢٧٨.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية، ص ٧٧.

(٤) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

الله<sup>(١)</sup> والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله تعالى، فقال القارئ: أتكذب بكلام الله تعالى، فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأ "والله عزيز حكيم"، فقال الأعرابي: صدقت: « عز فحككم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع »<sup>(٢)</sup>. ولهذا إذا اختتمت آية الرحمة باسم عذاب، أو بالعكس، ظهر تنافر الكلام، وعدم انتظامه.

وفي السنن من حديث أبي بن كعب<sup>(٣)</sup>: « قراءة القرآن على سبعة أحرف ». ثم قال: « ليس منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت: سمياً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختتم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب »<sup>(٤)</sup>.

ولو كانت هذه الأسماء أعلاماً محضة لا معنى لها، لم يكن فرق بين ختم الآية بهذا وهذا<sup>(٥)</sup>. قال السعدي رحمه الله تعالى: « له - سبحانه - كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسني، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علماً محضاً لم تكن حسني، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسني، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها مستغرق لجميع معناها »<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة المائدة الآية: ٣٨.

(٢) ذكره ابن القيم في جلاء الأفهام ص (٢٧٩)، ولم أعثر على تخريجه.

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار سيد القراء، أبو المنذر الأنصاري البخاري المدني المقرئ البصري ويكنى أيضاً أبا الطفيل، شهد العقبة، وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ وعرض عليه ﷺ، وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه، مات سنة ٢٢٦هـ. انظر: حلية الأولياء، ١/٢٥٠-٢٥٦، الاستيعاب: ١/١٢٦، سير أعلام النبلاء، ٣٨٩/١-٣٩٠.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٤/٥)، وأبو داود (١٤٧٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٦٧٠)، وابن جرير في مقدمة تفسيره، ١/١٥، والضياء في المختارة رقم (١٧٧٤).

(٥) انظر: جلاء الأفهام، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣١٠.

والأدلة الدالة على اشتغال الأسماء الحسنى على المعاني والأوصاف كثيرة

منها:

١- وصف الله تعالى أسماءه بأنها حسنى، وذلك يقتضي أن تكون متضمنة لمعان وأوصاف كاملة، وإلا لكانت جامدة، فالحسن يحصل باعتبار ما تضمنته من المعاني الكاملة، وباعتبار تنوعها فاسم (السميع) يدل على معنى ليس موجوداً في (التواب)، ومعنى (التواب) ليس هو معنى الجبار<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أخبر سبحانه أنه إله واحد، وإن تعددت أسماءه الحسنى المشتقة من صفاته، ولهذا كانت حسنى، وإلا فلو كانت كما يقول الجاحدون لكماله أسماء محضة فارغة من المعاني ليس لها حقائق لم تكن حسنى، ولكانت أسماء الموصوفين بالصفات والأفعال أحسن منها»<sup>(٢)</sup>.

٢- إن أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح، فلو كانت ألفاظاً مجردة من معاني لها، لم تدل على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلها، فقال: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾<sup>(٣)</sup>، فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالاتها على أوصاف الكمال<sup>(٤)</sup>.

٣- إن الله تعالى وصف نفسه بصفات تلتقي مع الأسماء الحسنى في المعنى كصفة القوة مع اسمه القوي، والرحمة مع الرحمن الرحيم، والعلم مع العليم، والبصر مع البصير<sup>(٥)</sup>. وقد علم في فن الصرف أن الأسماء مشتقة من المصادر<sup>(٦)</sup>، والمراد بكون

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٥٢/٥-٥٣.

(٢) الصواعق المرسله، ٩٣٨/٣.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

(٤) انظر: جلاء الأفهام، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٥) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة، ٢٧٦/١.

(٦) انظر: بدائع الفوائد، ٢٥/١، وعدة السالك إلى تحقيق أوضاع المسالك، لمحمد محي الدين عبد الحميد، ١٨٤/٢.

الأسماء مشتقة من الصفات أي تلتقي معها في المعنى لا أنها متولدة منها، فأسماء الله الحسنى على هذا متضمنة للصفات إذ لو لم تدل على المعاني والصفات لما أخبر الله عن نفسه بتلك الصفات التي تلتقي معها<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر علماء أصول الفقه أن الاسم المشتق لا بد أن يكون ما اشتق منه - هو الوصف - موجوداً: قال في المراقي:

وعند فقد الوصف لا يشتق وأعوز المعتزلي الحق

يعني أن الذات إذا لم تتصف بالمصدر فلا يجوز الاشتقاق لها منه فلا يصح اشتقاق الضارب لمن لم يحم منه ضرب أصلاً، ولا اشتقاق الأسود لمن لم يحم به سواد<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة ما ورد من الأسماء الحسنى والصفات التي تلتقي معها أن الله تعالى سمي نفسه الرحيم فقال تعالى: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾<sup>(٣)</sup>، وأخبر عن نفسه بأنه ذو رحمة فقال تعالى: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾<sup>(٤)</sup>، فدلّت الآية على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة<sup>(٥)</sup>.

وسمى الله نفسه القوي العزيز فقال تعالى: ﴿وهو القوي العزيز﴾<sup>(٦)</sup> وأخبر عن نفسه بأنه الموصوف بالقوة والعزة فقال تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾<sup>(٧)</sup>، فدلّت الآية

(١) انظر: بدائع الفوائد، ٢٦/١.

(٢) انظر: نثر الورود على مراقي السعود، شرح العلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ١٢٩/١.

(٣) سورة الأحقاف الآية: ٨.

(٤) سورة الكهف الآية: ٥٨.

(٥) انظر: القواعد المثلى، ص ١١.

(٦) سورة الشورى الآية: ١٩.

(٧) سورة الذاريات الآية: ٥٨.

على أن القوي هو المتصف بالقوة، وقال تعالى: ﴿ فلله العزة جميعاً ﴾<sup>(١)</sup>، فدلّت الآية على أن العزيز هو الموصوف بالعزة، وأمثال هذا في كتاب الله العزيز وفي السنة المطهرة كثير.

٤- إن الله تبارك وتعالى يُعلّل أحكامه وأفعاله بأسمائه، ولو لم يكن لها معنى لما كان التعليل صحيحاً، كقوله تعالى: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر وعشراً فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾<sup>(٣)</sup>، فحتم حكم الفيء الذي هو الرجوع، والعودة إلى رضى الزوجة، والإحسان إليها - بأنه غفور رحيم، يعود على عبده بمغفرته، ورحمته إذا رجع إليه، والجزاء من جنس العمل، فكما رجع إلى التي هي أحسن، رجع الله إليه بالمغفرة والرحمة، كقوله تعالى: ﴿ وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾، فإن الطلاق لما كان لفظاً يسمع ومعنى يقصد، عقبه باسم "السميع" للنطق به، العليم بمضمونه<sup>(٤)</sup>.

٥- إن الله تعالى أخبر عن نفسه بأفعال هذه الأسماء، والأفعال أحكام للصفات، فثبوت الأحكام فرع ثبوت الصفات وإذا انتفى الأصل استحال ثبوت الفرع، فإذا ثبت الفرع وهو الحكم - أي الفعل - ثبت وجود الأصل، وهي الصفات التي هي أصل للأسماء<sup>(٥)</sup>.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إني معكما أسمع وأرى ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى:

(١) سورة فاطر الآية: ١٠.

(٢) سورة نوح الآية: ١٠.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) انظر: جلاء الأفهام، ص ٢٨٠.

(٥) انظر: مدارج السالكين، ٣٥/١، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٦) سورة طه الآية: ٤٦.

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾<sup>(١)</sup>.

٦- إن الله تعالى يستدل بأسمائه على توحيده، ونفي الشرك عنه، ولو كانت أسماء لا معنى لها، لم تدل على ذلك، كقول هارون لعبدة العجل في قوله تعالى: ﴿ يقوم إنما فتتم به وإن ربكم الرحمن ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله سبحانه تعالى في القصة: ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾<sup>(٣)</sup>، قوله تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله سبحانه آخر سورة الحشر: ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحن الله عما يشركون ﴾<sup>(٥)</sup>، فسبح نفسه عن شرك المشركين به عقب تمدحه بأسمائه الحسنی المقتضية لتوحيده، واستحالة إثبات شريك له<sup>(٦)</sup>.

٧- إن الله تعالى يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف، والجار والمجرور وغيرهما، ولو كانت أعلاماً محضة، لم يصح فيها ذلك، كقوله تعالى: ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾<sup>(٨)</sup> ونظائره كثيرة.

٨- إنه سبحانه يجعل أسماءه دليلاً على ما ينكره الجاحدون من صفات كماله، كقوله تعالى: ﴿ الأيعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة المجادلة الآية: ١.

(٢) سورة طه الآية: ٩٠.

(٣) سورة طه الآية: ٩٨.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٦٣.

(٥) سورة الحشر الآية: ٢٢ - ٢٣.

(٦) انظر: جلاء الأفهام، ص ٢٨٢.

(٧) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

(٨) سورة البقرة الآية: ٩٥.

(٩) سورة الملك الآية: ١٤.

فثبت بهذا أن أسماء الله تبارك وتعالى أعلام وأوصاف، وأيضاً فإنه بإجماع أهل اللغة أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل<sup>(١)</sup>.

وقد نقل العلامة ابن القيم رحمه الله إجماع المسلمين على أنه لو حلف بحياة الله، أو سمعه، أو بصره، أو قوته، أو عزته، أو عظمته، انعقدت يمينه، وكانت مكفرة، لأن هذه صفات كماله التي اشتقت منها أسماءه<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً لو لم تكن أسماءه ذات معانٍ وأوصافٍ لكانت جامدة كالأعلام المحضة، التي لم توضع لمسامها باعتبار معنى قام به، فكانت كلها سواء، ولم يكن فرق بين مدلولاتها، وهذه مكابرة صريحة وبهت بين، فإن من جعل معنى اسم التقدير هو معنى اسم السميع البصير، ومعنى اسم التواب هو معنى اسم الجبار، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع، فقد كابر العقل واللغة والفطرة<sup>(٣)</sup>. فثبت بهذه الأدلة اليقينية أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

(١) انظر: القواعد المثلى، ص ١١. وانظر: التبصير في معالم الدين، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ٣٥/١.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ٣٥/١-٣٦. ودرء تعارض العقل والنقل، ٥٢/٥-٥٣. وشرح العقيدة

الأصفهانية، ص ٧٦-٧٨. ومختصر الصواعق المرسله، ١٨٩/٢. وبدائع الفوائد، ١٦٥/١.



## المسألة الثانية: أسماء الله تعالى حقيقة في الخالق جلا وعلا

أهل السنة والجماعة يثبتون أسماء الله تعالى الحسنى ويقولون هي حقيقة<sup>(١)</sup> باعتبار إضافتها لله تعالى، فيثبتون حقائقها لله تعالى على ما يُعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه، فقال تعالى:

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾<sup>(٢)</sup>، فيقال: الله سميع بصير، له سمع وبصر، إذ لا يُعقل مسمّى سمياً في لغةٍ ولا عقل في النشوء والعادة والمتعارف إلا من له سمع وبصر<sup>(٣)</sup>.

فثبت لله تعالى الأسماء الحسنى البالغة في الحسن أكمله<sup>(٤)</sup> على وجه الحقيقة، بلا تمثيل ولا تعطيل<sup>(٥)</sup>.

ومذهب السلف قاطبة يقوم على هذا الأصل العظيم وهو إثبات أسماء الله عز وجل إثباتاً حقيقياً بألفاظها ومعانيها ما جاء منها في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة<sup>(٦)</sup>، قال الله تعالى: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « وهدى الله أصحاب سواء السبيل: للطريقة المثلى

(١) انظر: بدائع الفوائد، ١/١٨١. ومعارج القبول، ١/١١٩.

(٢) سورة الشورى الآية: ١١.

(٣) انظر: التبصير في الدين لابن جرير الطبري، ص ١٤٠-١٤١.

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، ٣/٩١.

(٥) المصدر السابق، ٣/٩٠.

(٦) انظر: التمهيد لابن عبد البر، ٧/١٣٧، ومجموع الفتاوى، ٣/٤-٤، ٥/٢٦-٢٧، ومعارج القبول

١١٩/١، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، ١/٢٧١، والآثار الواردة عن

أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ١/٢٠٢-٢٢٣.

(٧) سورة الإسراء الآية: ١١.

فلم يتلوثوا بشيء من أوضار<sup>(١)</sup> هذه الفرق وأدناسها<sup>(٢)</sup>، وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات<sup>(٣)</sup>.

إذا تبين هذا فإن الأسماء على ثلاثة أقسام:

١- اسم لا يُسمى به غير الله تعالى، مثل الله، الرحمن، رب العالمين، وما أشبه ذلك<sup>(٤)</sup>.

٢- الاسم الذي يُسمى به غيره، وهو عند الإطلاق ينصرف إليه كالمملك والعزيز والحليم، ويختص بكماله وإطلاقه فلا يشركه في ذلك غيره، وما سمي به المخلوق منها فإنها تتضمن صفات تناسب حال المخلوق من الضعف والنقص وليس له الكمال المطلق فيها، فالأسماء إذا قطعت عن التخصيص والإضافة فإنه يفهم منها معنى كلي، فإذا أُضيفت إلى الخالق اختصت به ولا يشركه فيها غيره، وإذا أُضيفت إلى الخلق اختصت بهم بحسب حالهم من النقص والضعف<sup>(٥)</sup>. فالأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد هي من الألفاظ المتواطئة التواطء المشكك<sup>(٦)</sup>،

(١) الوضر: وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء والقصعة ونحوهما، والوضر: ما يشمه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد. لسان العرب، ٣٢٥/١٥.

(٢) الدنس في الثياب: لطيخ الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق، والجمع أدناس. وقد دنس يدنس دنساً فهو دنس: توسخ، وتدنس: اتسخ. لسان العرب، ٤١٦/٤.

(٣) الصواعق المرسله، ٤٢٥/٢-٤٢٦.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٩/١٠-٢٨٠، فتح الباري، ٢٢٥/١١، وتحفة المودود في أحكام المولود، ص ٧٩، والقول المفيد على كتاب التوحيد، ٢٢/٣، ومنهج الحافظ ابن حجر في العقيدة، ٥٣٤/١.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٢٨٠/١٠، والرسالة التدمرية، ص ٢٢، وتحفة المودود بأحكام المولود، ص ٨٠.

(٦) سُمِيََ بالمشكك لتشكك السامع هل هذا اللفظ من قبيل المتواطئ أم من المشترك، مثاله: لفظ النور، فيقال: نور الشمس ونور السراج، فالمعنى في الاثنين واحد، ولكن هناك تفاوت وتفاضل فشتان بين نور

الشمس ونور السراج. انظر: الفتوى الحموية الكبرى، ص ١٤٩، منهاج السنة النبوية ٥٨٦/٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، ١٠٧٠/٣-١٠٧٣.

فالحق فيها هو أن يُقال إنه بالنسبة للأسماء والصفات التي تطلق على الله وعلى العباد كالحَي، والسميع، والبصير، والعليم، والحياة، والسمع، والبصر، والعلم، ونحوها هي حقيقة في الرب وحقيقة في العبد، ولكن للرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به<sup>(١)</sup>.

قال ابن خزيمة رحمه الله: « وكل من فهم عن الله خطابه: يعلم أن هذه الأسماء التي هي لله تعالى أسامي، بين الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ مما قد أوقع تلك الأسماء على بعض المخلوقين قد تتفق وتختلف المعاني، فالنور: وإن كان اسماً لله، فقد يقع اسم النور على بعض المخلوقين، فليس معنى النور الذي هو اسم الله في المعنى مثل النور الذي هو خلق الله<sup>(٢)</sup> ».

قال ابن القيم رحمه الله: « الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات: اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد، الاعتبار الثاني اعتباره مضافاً إلى الرب مختصاً به، الثالث اعتباره مضافاً إلى العبد مقيداً به، فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتاً للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به.

وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والتقدير وسائر الأسماء، فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه، بل ثبت له على وجه لا يماثله فيه خلقه ولا يشابههم<sup>(٣)</sup>.

فثبت بهذا بيان اختصاص الله تبارك وتعالى بالأسماء الحسنى، وأن أسماءه كاملة المعاني، لا يلحقها نقص، أو عيب، وأن اتصاف المخلوق بالصفات التي يوصف الرب

(١) انظر: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، للشنقيطي، ص ٥٣.

(٢) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل، لأبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة، ١ / ٧٩-٨٠.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ١ / ١٨١-١٨٢.

تبارك وتعالى به من المعاني، لا يلزم منه نقص أو عيب في أسمائه، وصفاته تعالى لأنها حسنى كاملة تناسب عظمته، وكبريائه فلا يتوهم أن في ذلك تشبيهاً، وأما المخلوق فأسمائه وصفاته ليست حسنى ولا كاملة، فهي تناسب ضعفه وعجزه.

٣- اسم يُسمى به غيره ولا ينصرف إطلاقه إليه: كالموجود والمتكلم والمريد<sup>(١)</sup>، فهذا القسم لم يأت به الشرع فهي ليست من الأسماء الحسنى ويجوز الإخبار بها عن الله بشرط كونها لا تتضمن نقصاً ولا سوءاً، فالواجب أن يختص الله بكمال ما أخبر به عنه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٢٨٠/١٠، وبيان تلبس الجهمية، ١٠/٢-١١.

(٢) انظر: بدائع الفوائد، ١٧٨/١.

### المسألة الثالثة: أسماء الله تعالى غير مخلوقة

معتقد أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تبارك وتعالى هي أوصافه التي وصف بها نفسه، ووصفه سبحانه وتعالى من كلامه، وكلامه غير مخلوق فالأسماء الحسنى إذاً غير مخلوقة<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الشافعي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: « من حلف باسم من أسماء الله فحنت فعليه كفارة لأن اسم الله غير مخلوق »<sup>(٣)</sup>.

وعن خلف بن هشام البزار المقرئ<sup>(٤)</sup> أنه قال: « من قال إن أسماء الله مخلوقة فكفره عندي أوضح من هذه الشمس »<sup>(٥)</sup>.

وقال إبراهيم بن هانئ<sup>(٦)</sup>: « سمعت أحمد بن حنبل - وهو مختفي عندي - فسألته

(١) انظر: النقص على بشر المريسي للدارمي، ص ١٠، وأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٢٣٢/٢، ومجموع الفتاوى، ١٨٦/٦، ومعارج القبول، ١٢٠/١.

(٢) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب أبو عبد الله القرشي الشافعي المكي، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، الإمام المعروف أحد الأئمة الأربعة المشهورين، وُلِدَ سنة ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٠٤ هـ. من أهم كتبه: الأم، والرسالة، ونسبت إليه عدة كتب منها كتاب المسند والرد على البراهمة، ومسند الشافعي. انظر ترجمته في: مناقب الشافعي، للبيهقي، ٤٧٢/١، فما بعد، وتوالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، للحافظ ابن حجر، وآداب الشافعي ومناقبه، للإمام عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي.

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم الرازي، في آداب الشافعي ومناقبه، ص ٩٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ١١٣/٩، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢٨/١٠.

(٤) خلف بن هشام بن ثعلب، بالمثلثة والمهملة، البزار، بالراء آخره، المقرئ البغدادي، ثقة له اختيار في القراءات من العاشرة، مات سنة تسع وعشرين. انظر: تقريب التهذيب، ص ١٣٥.

(٥) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٢٣٢/٢.

(٦) إبراهيم بن هانئ النيسابوري، الإمام، الحافظ، القدوة، العابد، أبو إسحاق الأرغيباني الفقيه، نزيل بغداد، وُلِدَ بعد الثمانين ومائة، كان من كبار تلامذة الإمام أحمد في الفقه والفضل، توفى سنة ١٦٥ هـ. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل، ١٤٤/٢، وتاريخ بغداد، ٢٠٤/٦-٢٠٦، وطبقات الحنابلة، ٩٧/١-٩٨، وسير أعلام النبلاء، ١٧/١٣-١٩.

عن القرآن، فقال: من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: «باب الإيمان بأسماء الله تعالى وأنها غير مخلوقة»، ثم قال رحمه الله: «ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق، لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم، بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله صفاته، ولا شيء من صفاته مخالف للأسماء.

فمن ادعى أن صفة من صفات الله تعالى مخلوقة، أو مستعارة فقد كفر وفجر»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره: الإنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة، فيقولون: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق. وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول، لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء»<sup>(٤)</sup>.

فتبين بهذه النقول عن أئمة السلف أن أسماء الله تعالى غير مخلوقة وقد استدلوا على هذا المذهب بأدلة منها:

(١) أخرجه عنه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٢/٢٣٩-٢٤٠.

(٢) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد: الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، أبو سعيد، التميمي، الدارمي، السجستاني، كان واسع الرحلة طواف الأقاليم في طلب الحديث ولقي الكبار، وُلد قبل المائتين بيسير، وقيل سنة مائتين، من مؤلفاته: المُسند الكبير، والرد على الجهمية، والنقض على بشر المريسي، توفي في ذي الحجة سنة ٢٨٠هـ. انظر ترجمته في: طبقات الشافعية، للأسنوي، (١: ٥١٦)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي، (٢: ٦٢١-٦٢٢)، وسير أعلام النبلاء، ١٣: ٣١٩ ن وطبقات الشافعية، للسبكي، (٢/ ٣٠٢-٣٠٦)، والبداية والنهاية، (١١: ٦٩).

(٣) انظر: نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد، الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، ص ١١-١٣.

(٤) مجموع الفتاوى، ٦/١٨٥-١٨٦.

١- إن أصل الاسم في اللغة هو: اللفظ الموضوع للدلالة على مسماه، سواء كان هذا المسمى ذاتاً أو صفة<sup>(١)</sup>. فالأول كالعليم، فهو دال على ذات متصفة بالعلم، والثاني كالعلم فهو دال على صفة، والمراد باللفظ الصوت المشتمل على الحروف<sup>(٢)</sup> وما كان كذلك فإنه يكون من جملة الكلام الذي لا بد له من متكلم به، ولا يصح الخروج عن هذه الدلالة اللغوية إلاّ بدليل، فإن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، وعليه فإن أسماء الله الحسنى هي: كلماته الدالة على ذاته المتضمنة إثبات صفات الكمال له بلا مماثلة، وتنزيهه عن صفات النقص والعيب<sup>(٣)</sup>.

٢- إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾<sup>(٥)</sup>، كذلك قال في الاسم: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾<sup>(٦)</sup> كما يسبح الله. ولو كان مخلوقاً مستعاراً، غير الله لم يأمر الله أن يسبح مخلوق غيره، وقال: ﴿له الأسماء الحسنى﴾<sup>(٧)</sup>، وقال تعالى: ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾<sup>(٨)</sup>، ثم ذكر الآلهة التي تعبد من دون الله بأسمائها المستعارة المخلوقة فقال: ﴿إن هي إلاّ أسماء سميتوها أتم وآباؤكم﴾<sup>(٩)</sup>، وكذلك قال هو لقومه حين قالوا: ﴿أجئتنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾<sup>(١٠)</sup>

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة (سمو) ص ١٦٧٢، ومجموع الفتاوى ١٩٢/٦، وبدائع الفوائد ١٦/١.

(٢) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، ١٢/١.

(٣) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله، ٣٩٠/٢-٣٩١.

(٤) سورة الحشر الآية: ١.

(٥) سورة الأحزاب الآية: ٤٢.

(٦) سورة الأعلى الآية: ١.

(٧) سورة طه الآية: ٨.

(٨) سورة التغابن الآية: ١.

(٩) سورة النجم الآية: ٢٣.

(١٠) سورة الأعراف الآية: ٧٠.

فقال لهم ينهاتهم: ﴿أتجادلونني في أسماء سميتوها أتم وءاباكم﴾<sup>(١)</sup>، يعني أن أسماء الله تعالى لم تنزل كما لم ينزل الله، وأما بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام، والآلهة التي عبدوها من دونه.

فإن لم تكن أسماء الله بخلافها فأي توبيخ لأسماء الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماؤها وأسماء الله مخلوقة مستعارة<sup>(٢)</sup>.

٣- ومن الأدلة على أن أسماء الله تعالى غير مخلوقة ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحاً، قالوا: يا رسول الله: أفلا نتعلمهن، قال: بلى، ما ينبغي لمن يسمعهن أن يتعلمهن»<sup>(٣)</sup>.

وقد دل الحديث على أن أسماء الله تعالى غير مخلوقة، بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه، ولهذا لم يقل بكل اسم خلقتك لنفسك، ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها، فإن الله تعالى لا يقسم عليه بشيء من خلقه، فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم، وأيضاً أسماؤه مشتقة من صفاته وصفاته قديمة به، فأسماءه غير مخلوقة.

(١) سورة الأعراف الآية: ٧١.

(٢) انظر: نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، ص ١٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (١/٣٩١ و ٤٥٢)، وابن السني رقم (٣٣٩)، والحاكم في المستدرک (١/٥٠٩)، وقال حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه، وتعقبه الذهبي فقال: وأبو سلمة لا يدري من هو، ولا رواية له في الكتب السنة، وأخرجه ابن حبان، ٢٣٧٢، موارد الضمان، وأخرجه الطبراني في الكبير، ج ٢/١٠٣٥٢، والحديث حسنه الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار للنووي. انظر: تحفة الأبرار بنكت الأذكار وهو مع الأذكار للنووي، ص ١٦٦، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، ص ٧٤، وفي السلسلة الصحيحة برقم ١٩٩، وفي كتاب التوسل أحكامه وأنواعه، ص ٣٤.



فقوله في الحديث: سَمِيََ به نفسك ولم يقل خلقتك لنفسك، ولا قال: سماك به خلقتك، دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه، كما سَمِيَ نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة<sup>(١)</sup>.

والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته، وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل، لصح أن يسمى متكوناً ومتحركاً وساكناً وطويلاً وأبيض وغير ذلك، لأنه خالق هذه الصفات.

فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه علم أنه يشتق أسمائه من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه، ولا يتسمى باسمه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: شفاء العليل، ٢/٢٧٧.

(٢) انظر: شفاء العليل، ٢/٢٦٢-٢٦٣.

### المسألة الرابعة: أسماء الله الحسنى توقيفية

أهل السنة والجماعة يثبتون من الأسماء الحسنى ما أثبتته الله تبارك وتعالى لنفسه في كتابه، أو أثبتته له رسوله ﷺ، لا يتجاوزون القرآن والحديث، فلا مجال للعقل فيها، لأنها من الأمور الغيبية، والأمور الغيبية لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة. وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزداد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾<sup>(٢)</sup>. ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص<sup>(٣)</sup>. قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: «ومن علم هذا الباب - أعني الأسماء والصفات - وما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط: أنه لا يتجاوز فيها التوقيف»<sup>(٤)</sup>. قال الإمام البغوي<sup>(٥)</sup>: «أسماء الله تعالى على التوقيف»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٣٣.

(٣) انظر: القواعد المثلى، ص ١٦.

(٤) شأن الدعاء، ص ١١١.

(٥) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء - أحد أئمة الشافعية - وكان يُلقب بمحبي السنة، له

تصانيف منها: "شرح السنة"، "معالم التنزيل"، توفي سنة ٥١٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٣٩/١٩.

(٦) معالم التنزيل، ٣٠٧/٣.

وقال الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، وعلى لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص فيها»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وهكذا أسماء الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيرها ليس تفسيراً بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم، وإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكملها، وأتمه معنى، وابعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفة الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير دون الباصر والناظر.

ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود، دون الرفيق والشفوق ونحوهما.

وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي.

والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكّل.

والغفور العفوّ دون الصفوح الساتر.

وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم

غيره مقامه، فتأمل ذلك فأسماءه أحسن الأسماء، كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا

تعديل عما سمي به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به

رسوله ﷺ إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون»<sup>(٣)</sup>.

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، موفق الدين، فقيه، زاهد، كثير العبادة، كان إماماً في فنون كثيرة، ولد سنة ٥٤١هـ، من تصانيفه: "المعني"، و"روضة الناظر"، و"الكافي"، و"لمعة الاعتقاد"، وغيرها، توفي سنة ٦٢٠هـ. أنظر في ترجمته: البداية والنهاية، ٩٩/١٣، وشذرات الذهب، لابن العماد ٨٨، وفوات الوفيات، ٢٠٣/١، وسير أعلام النبلاء، ١٦٥/٢٢، ومرآة الزمان، ٦٢٨/٨، وذيل الطبقات، ١٣٣/٢.

(٢) ذم التأويل، ص ١١.

(٣) بدائع الفوائد، ١٨٤/١-١٨٥.

وقال الإمام علاء الدين بن العطار<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: «... وأما في الأصل أي أمور العقائد التي منها الأسماء الحسنى، فلا مدخل له أصلاً البتة سوى الوقوف عنده (أي النص)، فما أثبتته سبحانه لنفسه وفي كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ أثبتناه، وما نفاه نفينا»<sup>(٢)</sup>.

قال السفاريني<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى:

لكنها في الحق توقيفية ... لنا بهذا أدلة وفيّة<sup>(٤)</sup>  
فمنهج أهل الحق أهل السنة والجماعة في هذا الباب، باب إثبات الأسماء الحسنى مبني على التوقيف، فلا يثبتون إلا ما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ.  
وأهل السنة والجماعة القائلين بأن أسماء الله تعالى توقيفية ميزوا بين ما يُشترط فيه التوقيف وما لا يشترط فيه التوقيف فيما يُطلق على الله تعالى، فالأول ما كان على سبيل التسمي والدعاء، والثاني ما كان على سبيل الإخبار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ويفرق بين دعائه والإخبار عنه، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى، وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيئ لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم شيء، وذات، وموجود»<sup>(٥)</sup>.

(١) هو علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان، علاء الدين بن العطار، دمشقي، بقية السلف، العالم المحدث، من مؤلفاته: "الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد"، توفي سنة ٧٢٤هـ، انظر ترجمته في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢٧٣/٣)، وشذرات الذهب (٦٣/٦).

(٢) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، ص ٢٣.

(٣) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، النابلسي، الحنبلي، صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة ١١١٤هـ، من أهم مؤلفاته: "شرح ثلاثيات مسند أحمد"، و"شرح نونية الصرصري"، و"لوامع الأنوار البهية"، و"البحر الزاخر في علوم الآخرة"، توفي سنة ١١٨٨هـ. انظر ترجمته في: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والآثار، لعبد الرحمن الجبرتي، ١/٤٦٨، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ٨/٢٦٢.

(٤) الدررة المضئية في عقد الفرقة المرضية مع حاشية ابن قاسم، ص ٣٢-٣٣، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، (١٢٤/١).

(٥) مجموع الفتاوى، ٦/١٤٢.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « ما يُطلق عليه في باب الأسماء الحسنی والصفات توقيفي، وما يُطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع»<sup>(١)</sup>.

والأسماء الحسنی التوقيفية المعروفة هي التي يُدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها، مثال ذلك: العلم والقدرة والحكمة، ونحو ذلك، فهي في نفسها صفات والأسماء الدالة عليها أسماء مدح<sup>(٢)</sup>.

وأما الإخبار عنه باسم لم يرد فيشترط فيه أن يكون إما باسم حسن، أو باسم ليس بسئ وإن لم يحكم بحسنه<sup>(٣)</sup>. وذلك لتحقيق أمور هي:-

- ١- لإثبات معنى يستحقه، نفاه عنه ناف لما يستحقه من الصفات وذلك مثل: القديم، وواجب الوجود، والذات، ... الخ<sup>(٤)</sup>.
- ٢- لنفي ما تنزه الله تعالى عنه من العيوب، والنقائص، مثل: بائن من خلقه، فهي لنفي وحدة الوجود والاتحاد والحلول<sup>(٥)</sup>.

وقد روي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى في هذا الباب أنه قال لرجل ودعه: «قل يا دليل الحائرين دلني على طريق الصادقين، واجعني من عبادك الصالحين»<sup>(٦)</sup>.

(١) بدائع الفوائد، ١/١٧٩.

(٢) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ص ٢٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٦/١٤٢.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٤٠.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٢٨٧، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٣/١٢٣٢، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، ٢/٣٨٦.

(٦) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى، ٢٢/٤٨٤. وانظر: مختصر المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى بن الفراء ص ٢٦٢، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، ١/٢٧٥-٢٧٦.

٣- لإثبات معنى يستحقه لا يُستعمل إلاّ مقروناً مع غيره ليفيد الحُسن التام في المعنى. وذلك مثل: «الضار النافع»<sup>(١)</sup>.

وفي الجملة فإن باب الإخبار إنّما يُذكر للحاجة ولا يتوسع فيه، قال شيخ الإسلام: «وأما إذا أُحتجج إلى الإخبار عنه مثل أن يُقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها وقيل ليس بشيء، فقيل بل هو شيء فهذا سائغ وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل: يا شيء، إذا كان هذا لفظاً يعم كل موجود»<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة القول في هذه المسألة كما قال الإمام ابن أبي زمنين<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى في كتابه (أصول السنة): «باب الإيمان بصفات الله وأسمائه»، ثم قال: «واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبيأؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً والعجز عما لم يدع إليه إيماناً، وأنهم إنّما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه»<sup>(٤)</sup>.

(١) إذا أُحتجج إلى تفهيم الغير المراد، مثل أن ترجم أسماءؤه إلى غير العربية أو يُعبر باسم له معنى صحيح. انظر: الجواب الصحيح، ٢٠٣/٣، ط المدني.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٣٠١/٩، ودرء تعارض العقل ٢٩٧/١.

(٣) الإمام القدوة الزاهد، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الأندلسي الإلبيري، شيخ قرطبة، وُلِدَ سنة ٣٢٤هـ، وتوفى سنة ٣٩٩هـ، أهم كتبه: "اختصر المدونة"، وله كتاب "منتخب الأحكام"، و"الوثائق"، و"أصول السنة".

انظر: حذوة المقتبس، ٥٦-٥٧، ترتيب المدارك، ٦٧٢/٤-٦٧٤، تذكرة الحفاظ، ١٠٢٩/٣، ومجموع الفتاوى، ٣٠١/٩، ودرء تعارض العقل والنقل، ٢٩٨/١، وسير أعلام النبلاء، ١٧/١٨٨-١٨٩، وطبقات المفسرين، للسيوطي، ص ٣٤، وطبقات المفسرين للداوودي، ١٦١/٢-١٦٢.

(٤) أصول السنة، لابن أبي زمنين، ص ٦٠، ونقلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية، ص ٩٨.

## المسألة الخامسة: الأوصاف التي تتضمنها الأسماء من حيث التعدي

### واللزوم والتعليق

أسماء الله تعالى إما أن تتضمن أوصافاً متعدية أو لازمة:

فإذا دلت على أوصاف متعدية تضمنت ثلاثة أمور:

إحداها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك: السميع يتضمن إثبات السميع اسماً لله تعالى، وإثبات السمع صفة له.

وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال تعالى:

﴿والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾<sup>(١)(٢)</sup>.

ومثال ذلك العليم يتضمن إثبات العليم اسماً لله تعالى، وإثبات العلم صفة له،

وإثبات حكم ذلك ومقتضاه<sup>(٣)</sup> وهو أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور كما

قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾<sup>(٤)</sup>.

وأسماءه تبارك وتعالى المتعدية كاسمه: السميع، والبصير، والغفور، والشكور،

والجيب، والقريب، لا يجب أن تتعلق بكل موجود، بل يتعلق كل اسم بما يناسبه،

واسمه العليم لما كان كل شيء يصلح أن يكون معلوماً تعلق بكل شيء<sup>(٥)</sup>.

وأما الاسم من أسماء الله تعالى إن دل على وصف غير متعدي تضمن أمرين:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

(١) سورة المجادلة الآية: ١.

(٢) انظر: القواعد المثلى، ص ١٣.

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، ١٨/٣.

(٤) سورة غافر الآية: ١٩.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، ٤٩٤/٥.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها الله عز وجل.  
مثال ذلك: الحي، يتضمن إثبات الحي اسماً لله عز وجل.  
وإثبات الحياة صفة له (١).

---

(١) انظر: القواعد المثلى، ص ١٣.



## المسألة السادسة: دلالات<sup>(١)</sup> أسماء الله الحسنى

فدلالة أسماء الله الحسنى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام<sup>(٢)</sup>.  
فأسماء الله الحسنى تدل دلالة المطابقة على ذات المسمى - وهو الله عز وجل -  
وعلى الصفة التي اشتق منها الاسم، فإن اسم السميع يدل على الله عز وجل، وعلى  
صفة السمع بالمطابقة.

وتدل الأسماء الحسنى دلالة التضمن على ذات الله وحدها فقط أو على الصفة  
التي اشتق منها ذلك الاسم فقط، فاسم الله الرحيم يدل ضمناً على ذات، ويدل دلالة  
ضمنية أخرى على صفة الرحمة<sup>(٣)</sup>.

وتنقسم دلالة الأسماء الحسنى من جهة التضمن إلى أربعة أقسام:

١ - الاسم العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى، وهو الله، ولهذا تأتي

(١) الدلالة في اللغة من دل يدل دلالة ودلالة، والدليل: الدال، والمستدل به، والجمع أدلة وأدلاء، والاسم  
الدلالة والدلالة بالكسر والفتح. انظر: لسان العرب، ٣٩٤/٤.

والدلالة في الاصطلاح: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو  
الدال، والثاني هو المدلول. انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ١٣٩.

والدلالة اللفظية الوضعية: هي كون اللفظ بحيث إذا أُطلق أو نُحِيل فهم منه معناه، للعلم بوضعه، وهي  
المنقسمة إلى المطابقة، والتضمن والالتزام. انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ١٤٠.

(٢) دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له اللفظ، كدلالة الرجل على الإنسان الذكر،  
والمرأة على الإنسان الأنثى.

ودلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء مسماه في ضمن الله، ولا تكون إلا في المعاني المركبة كدلالة  
الأربعة على الواحد ربها.

وأما دلالة الالتزام: فهي دلالة اللفظ على خارج عن مسماه لازم له لزوماً ذهنياً، بحيث يلزم من فهم  
المعنى المطابق فهم ذلك الخارج اللازم كدلالة: الأربعة على الزوجية في الاصطلاح هي: الانقسام إلى  
متساويين. انظر: معيار العلم في المنطق، للغزالي، ص ٤٣، وتهذيب المنطق للفتازاني، ص ٩، وآداب  
البحث والمناظرة، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، ص ١٣-١٤.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ٣٦/١، القواعد المثلى، ص ١٤.

الأسماء الحسنى جميعها صفات تابعة له، كقوله تعالى: ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾<sup>(١)</sup> ولم يأت هو تابعاً لغيره من الأسماء<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>، فإن اسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، لهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿ والله الأسماء الحسنى ﴾، ويقال: « والرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزیز، والحكيم، من أسماء الله تعالى ولا يُقال الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

فعلم أن اسم الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية، التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً، تأله الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحشر الآية: ٢٤.

(٢) انظر: أسماء الله الحسنى، تأليف عبد الله بن صالح الغصن، ص ٨٢.

(٣) وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿ ... يا ذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾

سورة إبراهيم الآية: ١-٢، لأنه للمفسرين في الكلام على هذه الآية توجيهين:

[١] رفع لفظ الجلالة (الله) على الاستئناف وخبره ما بعده، وهذه قراءة أبي جعفر ونافع

وابن عامر، وعلى هذه القراءة يزول الإشكال فلا إبتاع، ولا يوهم تأخير لفظ الجلالة بعد الأسمين أنه نعت له.

[٢] الخفض على التقديم والتأخير وتقديره: إلى صراط الله العزيز الحميد، وهذه قراءة

عامه، أهل العراق والكوفة والبصرة.

انظر جامع البيان، ١٧٩/٨-١٨٠.

(٤) انظر: مدارج السالكين، ١/٣٧-٣٨.

٢- ما يتضمن صفة ذات الله عز وجل كاسمه تعالى البصير المتضمن بصره النافذ في جميع المبصرات، سواء دقيقتها وجليلها.

٣- ما يتضمن صفة فعل الله كالخالق، الرازق، البارئ، المصور، وغير ذلك.

٤- ما يتضمن تنزهه تعالى وتقديسه عن جميع النقائص كالقدوس، السلام<sup>(١)</sup>.  
وتدل الأسماء الحسنى دلالة لزوم على الصفة الأخرى، غير الصفة التي علمت عن طريق التضمن<sup>(٢)</sup>.

مثال ذلك: الخالق يدل على ذات الله وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها، وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا ذكر الله خلق السموات والأرض قال: ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

« ولكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه، ومن هاهنا يقع اختلافهم في كثير من الأسماء والصفات والأحكام، فإن من علم أن الفعل الاختياري لازم للحياة، وأن السمع والبصر لازم للحياة الكاملة، وأن سائر الكمال من لوازم الحياة الكاملة - أثبت من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ما ينكره من لم يعرف لزوم ذلك، ولا عرف حقيقة الحياة ولزومها، وكذلك سائر صفاته »<sup>(٥)</sup>.

والمقصود أن كل اسم من أسماء الله تعالى فإنه يستلزم معنى الآخر، فإنه يدل على الذات، والذات تستلزم معنى الاسم الآخر، لكن هذا باللزوم، وأما دلالة كل اسم على خاصيته، وعلى الذات بمجموعها بالمطابقة، ودلالاتها على أحدهما بالتضمن<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: بدائع الفوائد، ١/١٥٩، وأعلام السنة المنشورة، لحافظ الحكمي، ص ٥٠.

(٢) انظر: أسماء الله الحسنى، للغصن، ص ٨٣.

(٣) سورة الطلاق الآية: ١٢.

(٤) انظر: القواعد المثلى، ص ١٤.

(٥) انظر: مدارج السالكين، ١/٣٦-٣٧.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، ١٠/٢٥٤.

### المسألة السابعة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « إن لله تسعة وتسعون اسماً - مائة إلا واحد - من أحصاها دخل الجنة »<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث لا يدل على حصر الأسماء الحسنى بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة ونحو ذلك.

ومعنى الحديث أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاها دخل الجنة وعلى هذا فيكون قوله - من أحصاها دخل الجنة - جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين قوله ﷺ: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(٣)</sup>.

فأخبر أنه ﷺ لا يحصى ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها، فكان يحصى الثناء عليه، لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « ثم ختم الدعاء بقوله « لا أحصي ثناء عليك أنت

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحد رقم (٦٤١٠)، ومسلم في الذكر رقم (٥).

(٢) انظر: القواعد المثلى، ص ١١، وشرح كتاب التوحيد، للغنيان، ٢١٥/١.

(٣) تقدم تخريجه ص (٤٨).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٣/٣٢٢-٣٣٣.

كما أثبتت على نفسك»، اعترافاً بأن شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعم وأجل من أن يحصيها أحد من الخلق، أو يبلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه<sup>(١)</sup>.

ومن الأدلة كذلك قوله ﷺ: « ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ... »<sup>(٢)</sup>.

فقد قسم أسماء الله تعالى في هذا الحديث ثلاثة أقسام:

- ١- ما سمي به نفسه، فأظهره لمن شاء، من ملائكته أو غيرهم ولم يتزل في كتبه.
  - ٢- أنزله في كتبه، أو في بعضها، فتعرف به إلى عباده.
  - ٣- استأثرت به في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، ولهذا قال: « أو استأثرت به في علم الغيب عندك »، أي جعلته من الغيب الذي لا يعلمه غيرك، وليس المراد أنه تعالى انفرد بالتسمي به لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزلها في كتبه، وهو ثبوت ما دلت عليه من المعاني اللائقة بعظمته، لا مجرد التسمية<sup>(٣)</sup>.
- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « وقوله: « أو استأثرت به في علم الغيب عندك » دليل على أن أسماء أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات واستأثرت بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره<sup>(٤)</sup>.

ومن الأدلة على عدم حصر أسماء الله تعالى الحسنى فيما ذكر في الحديث، قوله ﷺ في حديث الشفاعة: « فيفتح عليّ من محامده ما لا أحسنه الآن »<sup>(٥)</sup>.

(١) شفاء العليل، ٢/٢٦٩.

(٢) تقدم تحريجه ص (١٦٦).

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان، ١/٢١٦.

(٤) شفاء العليل، ٢/٢٧٧-٢٧٨.

(٥) تقدم تحريجه ص (٤٨).

وتلك المحامد، وهي الثناء عليه تعالى بما له من أسماء حسنى وصفات عليا<sup>(١)</sup>.  
فثبت بهذه الأدلة أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين.

وأما قوله ﷺ في الحديث: « من أحصاها دخل الجنة » فقد اختلف في معنى الإحصاء، وقد ذكر الخطابي رحمه الله تعالى في معنى الإحصاء أربعة معاني وهي:

١- المعنى الأول: العد: كما في قوله تعالى: ﴿ وأحصى كل شئ عددا ﴾<sup>(٢)</sup>، فيكون معنى « أحصاها » في الحديث أنه يعدها ليستوفيها حفظاً، فيدعوا ربه بها.

وقد استدل على صحة هذا التأويل بما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد من حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر »<sup>(٣)</sup>.

قال النووي رحمه الله: « فاختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري<sup>(٤)</sup> وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر، لأنه جاء مفسراً في الرواية الأخرى ( من حفظها ) »<sup>(٥)</sup>.

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن الجوزي أنه قال: لما ثبت في بعض طرق الحديث

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ٢١٧/١.

(٢) سورة الجن الآية: ٢٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، ح ٢٦٧٧، وكذا أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، ح ٦٤١٠، موقوفاً على أبي هريرة.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري، وُلد سنة ١٩٤ هـ. من مؤلفاته: الجامع الصحيح، خلق أفعال العباد، التاريخ الكبير، وهو إمام حافظ مشهور

عالم بالحديث، توفي سنة ٢٥٤ هـ، انظر: الكامل، لابن عدي، (١/١٤٠)، وتاريخ بغداد، ٦٠٥/٢.

(٥) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٧٧/٥-١٧٨.

( من حفظها ) بدل ( من أحصاها ) اخترنا أن المراد العد أي: من عدها ليستوفيتها حفظاً<sup>(١)</sup>.

٢- المعنى الثاني: الطاقة، كما في قوله تعالى: ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾<sup>(٢)</sup>، أي لن تطيقوه.

وكقول النبي ﷺ: « استقيموا ولن تحصوا »<sup>(٣)</sup>. أي لن تطيقوا كل الاستقامة.

٣- أن يكون الإحصاء بمعنى الإحاطة بمعانيها من قول العرب: « فلان ذو حصة أي ذو عقل ومعرفة ».

٤- المعنى الرابع: أن يكون المعنى أن يقرأ القرآن حتى يحتمه فيستوفي هذه الأسماء كلها في إضعاف التلاوة، فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة<sup>(٤)</sup>.

ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي عمر الظلمنكي<sup>(٥)</sup> أنه قال: « من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله ﷺ، المعرفة بالأسماء والصفات وما تتضمن من الفوائد، وتدلل عليه من الحقائق، ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالماً لمعاني الأسماء ولا مستفيداً بذكرها وما تدل عليه من المعاني »<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري، ١١/٢٦٦.

(٢) سورة المزمل الآية: ٢٠.

(٣) طرف حديث أخرجه أحمد في المسند، (٥/٢٨٢، ٢٧٧)، وابن ماجه في سننه، برقم ٢٧٨، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء، ٤١٢، وصحيح ابن ماجه ٢٢٦.

(٤) انظر: شأن الدعاء، ص ٢٩.

(٥) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري، ابو عمر الإمام الحافظ المقرئ، يكنى أبا عمر منسوب إلى بلده، سكن قرطبة وروى عن كثير من علمائها، وكانت له عناية كاملة بالحديث حافظاً للسنن، عارفاً بأصول الديانات، وكان رحمه الله سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع. ولد سنة ٣٤٠هـ، وتوفي سنة ٤٢٩هـ.

انظر ترجمته في: جذوة المقتبس، للحميدي، ص ١٠٦، وبغية المنتم لأحمد بن يحيى الضبي، ص ١٦٢، وتذكرة الحفاظ، ٣/١٠٩٨-١١٠٠.

(٦) انظر: فتح الباري، ١١/٢٢٦.

والحق والصواب من هذه المراتب لمعنى الإحصاء أن الإحصاء شامل لهذه الأمور جميعها، فلا بد من الجمع بين الإحصاء النظري المتمثل في العلم بها وحفظها وحفظ النصوص الدالة عليها، والإحصاء الفقهي المتمثل في فهم معانيها ومدلولاتها والإيمان بآثارها، والإحصاء العملي الذي هو العمل بمقتضاها ودعاء الله بها<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن القيم رحمه الله لإحصائها ثلاث مراتب:-

١- إحصاء ألقاظها وعددها.

٢- فهم معانيها ومدلولاتها.

٣- دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، للتميمي، ص ٤٦١.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ١/١٨٠.



## المسألة الثامنة: حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى

الإلحاد لغةً: من اللحد - بفتح اللام وضمها - وهو الشق الذي يكون في جانب القرب موضع الميت، والإلحاد في اللغة الميل عن القصد<sup>(١)</sup>.  
واصطلاحاً: هو الميل والعدول بأسماء الله تعالى وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها<sup>(٢)</sup>.

والإلحاد في أسماء الله تعالى على أنواع:

١- أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له: "الأب"، وتسمية الفلاسفة إياه: "علة الفاعلة"<sup>(٣)</sup>، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنه<sup>(٤)</sup>.

٢- تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع البصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر.

(١) لسان العرب، ٢٤٦/١٢.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ٣٦/١، وتوضيح الكافية الشافية، لابن سعدي، ص ١٣٣، وأسماء الله الحسنى، للغصن، ص ١٠٧.

(٣) العلة الفاعلة تسمى السبب وهي: ما يترتب عليه سبب عقلاً أو واقعاً. انظر: المعجم الفلسفي ص ١٢٢.

(٤) انظر: القواعد المثلى، ص ٢٦.

٣- أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به لقوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض﴾<sup>(٣)</sup>، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحق، وبأنه يسبح له ما في السموات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها<sup>(٤)</sup>.

٤- وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخصب الخلق اليهود إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: ﴿يد الله مغلولة﴾<sup>(٥)</sup> وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته<sup>(٦)</sup>.

٥- أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه<sup>(٧)</sup>، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله تعالى أتباع رسول الله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بما عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات

(١) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

(٢) سورة طه الآية: ٨.

(٣) سورة الحشر الآية: ٢٤.

(٤) انظر: بدائع الفوائد، ١/١٨٦، والقواعد المثلى، ص ٢٦.

(٥) سورة المائدة الآية: ٦٤.

(٦) بدائع الفوائد، ١/١٨٦.

(٧) انظر: القواعد المثلى، ص ٢٦.

ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيههم خلياً من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنماً أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلاّ عدماً<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول في هذا المطلب أن أسماء الله تعالى كلها حسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق والحمد المطلق، وكلها مشتقة من أوصافها، فالوصف فيها لا ينافي العلمية والعلمية لا تنافي الوصف، وأن أسماء الله تعالى حقيقة لله تعالى، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله حي حقيقة، وعليم حقيقة، وقدير حقيقة، وسميع حقيقة، وبصير حقيقة<sup>(٢)</sup>.

وأسماء الله تعالى هي من كلامه وكلامه غير مخلوق. فالله تبارك وتعالى مستحق لأن يُحمد أكمل الحمد على ما له من الأسماء الحسنى البالغة في الحسن أكمله.

(١) انظر: بدائع الفوائد، ١/١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٥/١٩٦، والتدمرية، ص ٧٦.

- المطلب الثاني: الحميد اسم من أسماء الله تعالى دال على الحمد  
ورد اسم الحميد في كتاب الله جل وعلا سبع عشرة مرة منها:-
- ١- قوله تعالى: ﴿ولستم بأخذيهِ إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾<sup>(١)</sup>.
  - ٢- قوله تعالى: ﴿رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾<sup>(٢)</sup>.
  - ٣- قوله تعالى: ﴿وقال موسى إن تكفروا أأنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾<sup>(٣)</sup>.
  - ٤- قوله تعالى: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾<sup>(٤)</sup>.
  - ٥- قوله تعالى: ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾<sup>(٥)</sup>.
  - ٦- قوله تعالى: ﴿لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد﴾<sup>(٦)</sup>.
  - ٧- قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس أأنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾<sup>(٧)</sup>.
  - ٨- قوله تعالى: ﴿وإنه لكأب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾<sup>(٨)</sup>.
  - ٩- قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾<sup>(٩)</sup>.
  - ١٠- قوله تعالى: ﴿وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة البقرة الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة هود الآية: ٧٣.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٨.

(٤) سورة الحج الآية: ٢٤.

(٥) سورة لقمان الآية: ١٢.

(٦) سورة لقمان الآية: ٢٦.

(٧) سورة فاطر الآية: ١٥.

(٨) سورة فصلت الآية: ٤١-٤٢.

(٩) سورة الشورى الآية: ٢٨.

(١٠) سورة البروج الآية: ٨.

والحميد: فعيل من الحمد، هو بمعنى: محمود، وأكثر ما يأتي فعياً في أسمائه تعالى فاعل، كسميع، وبصير، وعليم، وقدير، وعلي، وحكيم، وهو كثير، وكذلك فعول، كغفور، وشكور، وصبور.

وأما الحميد، فلم يأت إلا بمعنى المحمود، وهو أبلغ من المحمود، فإن فعياً إذا عدل به عن مفعول، دل على أن تلك الصفة قد صارت مثل السجية الغريزية والخلق اللازم، كما إذا قلت: فلان ظريف، أو شريف، أو كريم، ولهذا يكون هذا البناء غالباً من أبنية الغرائز والسجاي اللزامة، ككبر وصغر، وحسن، ولطف ونحو ذلك.

ولهذا كان حبيب أبلغ من محبوب، لأن المحبوب: هو الذي حصلت فيه الصفات، والأفعال التي يحب لأجلها، فهو حبيب في نفسه، وإن قدر أن غيره لا يحبه، لعدم شعوره به، أو لمانع منعه من حبه، وأما المحبوب: فهو الذي تعلق به حب المحب، فصار محبوباً بحب الغير له، وأما الحبيب: فهو حبيب بذاته وصفاته، تعلق به حب الغير أو لم يتعلق، وهكذا الحميد المحمود<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله: « يعني بقوله (حميد) أنه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمة، وبسط لهم من فضله »<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي: « الحميد: هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ولا يعترضه الخطأ فهو محمود على كل حال »<sup>(٣)</sup>.

قال الحلبي<sup>(٤)</sup>: « الحميد: هو المستحق لأن يحمد، لأنه جل ثناؤه بدأ فأوجد، ثم

(١) انظر: جلاء الأفهام، ص ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) جامع البيان، ٨٧/٣.

(٣) شأن الدعاء، ص ٧٨.

(٤) هو الحسين بن الحسين، بن محمد بن حليم البخاري، أبو عبد الله، الحلبي، العلامة البارع، كان من أذكى زمانه، له يد طولى في العلم، وُلد سنة ٣٣٨هـ، وله مؤلفات كثيرة وهو صاحب كتاب النهاج في شعب الإيمان. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ٢٣١/١٧، وتذكرة الحفاظ، ١٠٣٠/٣، وطبقات السبكي، ٢٠٢/١.

جمع بين النعمتين الجليلتين: الحياة والعقل، ووالي بين منحه، وتابع آلاءه ومننه، حتى فاتت العد، وإن استفرغ فيها الجهد فمن ذا الذي يستحق الحمد سواه، بل له الحمد كله لا لغيره، كما أن المنّ منه لا من غيره»<sup>(١)</sup>.

وقال البيهقي<sup>(٢)</sup>: « الحميد هو المحمود الذي يستحق الحمد، وقيل من له صفات المدح والكمال »<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « الحميد: الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود: من تعلق به حمد الحامدين »<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير رحمه الله: « الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله هو ولا رب سواه »<sup>(٥)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « الحميد فعيل من الحمد، بمعنى محمود، وابلغ منه، وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها، وقيل: « بمعنى الحامد أي يحمد أفعال عباده »<sup>(٦)</sup>.

(١) المنهاج في شعب الإيمان، ٢٠٢/١.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي الشافعي، وُلِدَ سنة ٣٨٤هـ، من أئمة الحديث، قال فيه إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي فإنه له المنّة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرته مذهبه، وبسط موجزه وتأيد آرائه، له مؤلفات كثيرة منها: السنن الكبرى والصغرى، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، توفي سنة ٤٥٨هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ، ٣/١٣٢-١٣٥، وشذرات الذهب، ٣/٤٠٣، وطبقات الشافعية، ٣/٣.

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص ٥٤.

(٤) جلاء الأفهام، ص ٤٤٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ١/٣٠٤.

(٦) فتح الباري، ١١/١٦٣، السلفية.

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الحميد فكل حمد واقع      أو كان مفروضاً مدى الأزمان  
ملاً الوجود جميعه ونظيره      من غير ما عد ولا حسابان  
هو أهله سبحانه وبجمده      كل المحامد وصف ذي الإحسان<sup>(١)</sup>

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « هذا تفسير لاسمه الحميد فذكر أنه حميد

من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بجمده، فكل حمد وقع من أهل السموات والأرض، الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدراً حيثما تسلسلت الأزمان، واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله: العالم العلوي والسفلي، ويملاً نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء، فإن الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة منها: أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه وعلى شرعه وعلى أحكامه القدرية، وأحكامه

(١) الكافية الشافية، ص ٢٤١.

الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام<sup>(١)</sup>.

والمقصود هنا أن من فسر اسم الله تعالى الحميد من أهل العلم فإن معناه يدور حول هذين المعنيين وهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، وأنه له الحمد المطلق والكمال المطلق على ما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال الحميدة، هذا هو معنى هذا الاسم من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى وهو الحميد الدال على كمال الحمد.

وهذا الاسم قد تكرر ذكره في كتاب الله جلا وعلا مقترناً بغيره من الأسماء فيزيد هذا الاسم كمالاً فوق كماله، فقد جاء مقترناً باسم المجيد في كتاب الله جلا وعلا وفي سنة نبيه المصطفى ﷺ، يقول تعالى: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يختتم تشهده في الصلاة بهذين الاسمين ﴿إنيك حميد مجيد﴾<sup>(٣)</sup>.

« والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء، والمحبة للمحمود، فمن أحببته، ولم تكن عليه، لم تكن حامداً له، وكذا من أثنيت عليه لغرض ما، ولم تحبه، لم تكن حامداً له حتى تكون مثيلاً عليه محبباً، وهذا الثناء، والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال

(١) توضيح الكافية الشافية، لابن سعدي، ص ٢٣٢، ضمن المجموعة الكاملة. وانظر: شرح القصيدة النونية، لخليل هراس، ٧٦/٢.

(٢) سورة هود الآية: ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: الصلاة على النبي ﷺ (ح/٥٩٩٦) ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (ح/٤٠٦)، عن ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة.



والإحسان، إلى الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل، كان الحمد والحب أتم وأعظم، والله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو سبحانه وتعالى أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يحب لذاته، ولصفاته ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سبحانه.

وأما الحمد<sup>(١)</sup> فهو مستلزم للعظمة، والسعة، والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دال على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله سبحانه وتعالى - ذو الجلال والإكرام - وهذا معنى قول العبد: « لا إله إلا الله، والله أكبر »، فلا إله إلا الله دال على ألوهيته وتفردّه فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، والله أكبر دال على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيدّه، وتعظيمه وتكبيره، وبهذا، يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً، كقوله تعالى: ﴿ رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله سبحانه: ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌ من الذل وكبره تكبيراً ﴾<sup>(٣)</sup>.

فأمر بحمده وتكبيره، وقال تعالى: ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾<sup>(٥)</sup>. فالجلال والإكرام هو الحمد والمجد. وذكر هذين الاسمين « الحميد المجيد » عقب الصلاة على النبي ﷺ مطابق لقوله

(١) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص ١٩: مجد الله: شرفه وكرمه.

(٢) سورة هود الآية: ٧٣.

(٣) سورة الإسراء الآية: ١١١.

(٤) سورة الرحمن الآية: ٧٨.

(٥) سورة الرحمن الآية: ٢٧.

تعالى: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾<sup>(١)</sup>.

ولما كانت الصلاة على النبي ﷺ، وهي ثناء الله تعالى عليه، وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره، وزيادة حبه، وتقريبه كانت مشتملة على الحمد والمجد، فكأن المصلي طلب من الله تعالى أن يزيد في حمده ومجده ﷺ، فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد، هذا حقيقتها، فذكر في هذا المطلوب الاسمين المناسبين له، وهما أسماء الحميد المجيد.

وأيضاً فإنه لما كان المطلوب للرسول ﷺ حمداً ومجداً، وكان ذلك حاصلًا له، ختم ذلك بالإخبار عن ثبوت ذنك الوصفين للرب عز وجل بطريق الأولى، وكل كمال في العبد غير مستلزم للنقص، فالرب أحق به.

وأيضاً فإنه لما طلب للرسول ﷺ الحمد والمجد بالصلاة عليه، وذلك يستلزم الثناء على مرسله بالحمد والمجد، ليكون هذا الدعاء متضمناً لطلب الحمد، والمجد لرسول الله ﷺ، والإخبار عن ثبوته للرب سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>.

وكذلك قد اقترن اسم الحميد في كتاب الله تعالى باسمه الغني، قال الله تعالى: ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وقال موسى إن تكفروا أأنتم ومن الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾<sup>(٤)</sup>، فالغني من أسماء الله تعالى الحسنى فله سبحانه الغنى التام المطلق من كل وجه، بحيث لا تشوبه شائبة فقر وحاجة أصلاً، وذلك لأن غناه وصف لازم له لا ينفك عنه لأنه مقتضى ذاته، وما بالذات لا يمكن أن يزول، فيمتنع أن يكون إلا غنياً كما يمتنع أن يكون إلا جواداً محسناً براً رحيماً كريماً.

وكما أن غناه ذاتي له لا يمكن أن يطرأ عليه ما ينافيه من ذل واحتياج فكذلك

(١) سورة هود الآية: ٧٣.

(٢) انظر: جلاء الأفهام، ص ٤٥٠ - ٤٥٢.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٦٧.

(٤) سورة إبراهيم الآية: ٨.

فقر المخلوقات إليه هو فقر ذاتي لا يمكن أن تستغني عنه لحظة من اللحظات<sup>(١)</sup>.  
فجميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم، والعباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، ومن لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يجرمهما في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه، أو بقرته خطاياهم في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾<sup>(٣)</sup>، ومثل هذا كثير في القرآن، وقال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾<sup>(٤)</sup>.

فهو سبحانه الغني الكامل وهي صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما<sup>(٥)</sup>.  
وكذلك قد اقترن اسم الحميد في كتاب الله تعالى باسمه الولي، قال تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾<sup>(٦)</sup>.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: «وهو الولي الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم، الحميد في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: شرح القصيدة النونية، للهراس، ٧٩/٢-٨٠.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ٣٧/٢-٣٨.

(٣) سورة الكهف الآية: ١٧.

(٤) سورة فاطر الآية: ٢.

(٥) انظر: بدائع الفوائد، ١٧٧/١.

(٦) سورة الشورى الآية: ٢٨.

(٧) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٥٨.

فله الحمد سبحانه على توليه المؤمنين بنصرته ورعايته لهم ونعمته عليهم، ومحبتة لهم<sup>(١)</sup>.  
وكذلك فقد قرن اسمه الحميد باسمه العزيز، قال تعالى: ﴿وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا

بالله العزيز الحميد﴾<sup>(٢)</sup>.

« وقد ذكر أهل العلم أن العزة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع:

١- فعزة القدرة: معناه أن الله تعالى ذو قدر عزيز، يعني: لا نظير له.

٢- وعزة القهر: هي عزة الغلبة، يعني: أنه غالب كل شيء قاهر كل شيء،

ومنه قوله تعالى: ﴿فقال أكلنيها وعزني في الخطاب﴾<sup>(٣)</sup>، يعني: غلبني في الخطاب، فالله سبحانه عزيز لا غالب له بل هو غالب كل شيء.

٣- وعزة الامتناع: وهي أن الله تعالى يمتنع أن يناله سوء أو نقص، فهو مأخوذ

من القوة والصلابة، ومنه قولهم: أرض عزاز، يعني: قوية شديدة.

هذه معاني العزة التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وهي تدل على كمال قهره

وسلطانه، وعلى كمال صفاته، وعلى تمام تنزهه عن النقص<sup>(٤)</sup>.

فهو العزيز الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، والذي لا يضام من لاذ بجناحه

المنيع، والحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره<sup>(٥)</sup>.

وكذلك فقد اقترن اسمه الحميد سبحانه باسمه الحكيم، قال تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل

(١) انظر: النهج الاسمي في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد الحمود النحدي، ٦١/٢-٦٢.

(٢) سورة البروج الآية: ٨.

(٣) سورة ص الآية: ٢٣.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ٣٤٥/١-٣٤٦.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٤٩٤، وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص ٩١٨.

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد<sup>(١)</sup>، فالله تبارك وتعالى من أسمائه الحسنی الحكيم، والحكمة من صفاته سبحانه، وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواه<sup>(٢)</sup>.

وهذا الاسم الكريم من أسمائه سبحانه وتعالى يدل على حكم وإحكام، فعلى الأول يكون الحكيم بمعنى الحاكم، وعلى الثاني يكون الحكيم بمعنى المحكم، فالله تعالى هو الحاكم، وحكم الله تعالى إما كوني وإما شرعي: فحكم الله تبارك وتعالى الشرعي ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من شرائع الدين.

وحكم الله الكوني: ما قضاه على عباده من الخلق والرزق والحياة والموت ونحو ذلك من معاني ربوبيته ومقتضياتها.

ودليل الحكم الشرعي: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ودليل الحكم الكوني: قوله تعالى، عن أحد أخوة يوسف: ﴿فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وكل من الحكمين موافق للحكمة، لكن من الحكمة ما نعلمه، ومن الحكمة ما لا نعلمه، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>.

ثم الحكمة نوعان:

١ - حكمة في كون الشيء على كلفيته وحاله التي هو عليها، كحال الصلاة فهي عبادة كبيرة تسبق بطهارة من الحدث والخبث، وتؤدي على هيئة معينة من قيام

(١) سورة فصلت الآية: ٤٢.

(٢) انظر: شفاء العليل، لابن القيم، ١٨٧/٢.

(٣) سورة الممتحنة الآية: ١٠.

(٤) سورة يوسف الآية: ٨٠.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٨٥.

وقعود وركوع وسجود.

٣- حكمة في الغاية من الحكم، حيث إن جميع أحكام الله تعالى لها غايات حميدة وثمرات جليلة<sup>(١)</sup>.

وحمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه وإهانته كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعته وإكرامه، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا، وما كان من لوازم كمال حمده وتماهه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة كما له عليه الحمد التام<sup>(٢)</sup>.

والمقصود هنا أن أسماء الله تبارك وتعالى كلها حسنى بالغة في الحسن أكمله، وكلها أعلام وأوصاف دالة على معانيها، وكلها أوصاف مدح وحمد وثناء، ولذلك كانت حسنى لو كانت أعلاماً محضة لم تكن حسنى، ولهذا إن كان الاسم منقسماً إلى حمد ومدح وغيره لم يدخل بمطلقه في أسماء الله كالمريد والصانع ونحوها، فهذه ليست من الأسماء الحسنى، فصفاته كلها صفات كمال ونحوها، فهو موصوف بأكمل الصفات، وله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه، والواجب في أسمائه الحسنى وصفاته العليا أن تثبت على ما جاء به الكتاب والسنة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، فلا ينفي منها اسم، ولا ينفي من معانيها صفة، ولا تشبه بصفات المخلوقين، ولهذا توعد الله تبارك وتعالى الملحدون في أسمائه<sup>(٣)</sup> بقوله عز قائلاً عليماً:

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾<sup>(٤)</sup>.

والحميد اسم من أسماء الله تعالى، وهو المحمود الذي له من الصفات، وأسباب الحمد ما اقتضى أن يكون حميداً.

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين رحمه الله تعالى، ١/١٨٨.

(٢) انظر: شفاء العليل، ٢/١٨٧.

(٣) انظر: كتاب الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للعلامة السعدي، ص ٢٦٧، ضمن المجموعة الكاملة، العقيدة الإسلامية.

(٤) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

المبحث الرابع  
حمد الله تعالى على  
صفاته العليا

### المبحث الرابع: في حمد الله تعالى على صفاته العليا

سبق أن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله، مع محبته وتعظيمه، والرضا عنه، والخضوع، فلا يكون حامداً لله جل وعلا من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له وتعظيمه، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يحصيه سواه، لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، كما قال ﷺ: «اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(١)</sup>، لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصوها سواه، ولهذا ذم الله تعالى آلهة الكفار، وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها، فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تهدي، ولا تنفع ولا تضر<sup>(٢)</sup>، ولا تملك من الأمر شيئاً.

فقال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام في حاجته لأبيه: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾<sup>(٤)</sup>.  
ففي هذه الآيات الكريمة عاب الله تبارك وتعالى على آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله تبارك وتعالى بسلب أوصاف الكمال عنها، وأنها لا تملك من الأمر شيئاً. فحقيقة الحمد تابعة لثبوت أوصاف الكمال، ونفيها نفي لحمده<sup>(٥)</sup>.

(١) تقدم تخرجه ص (٤٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين، ٣١/١.

(٣) سورة مريم الآية: ٤٢.

(٤) سورة فاطر الآية: ١٣-١٤.

(٥) انظر: مدارج السالكين، ٣٣/١.



والله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى، ودين الحق، فلا هدى إلا فيما جاء به ولا يقبل الله تعالى من أحد ديناً يدينه به إلا أن يكون موافقاً لدينه، وقد نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يصفه به العباد إلا ما وصفه به المرسلون، فقال تعالى:

﴿ سبحن الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين ﴾<sup>(١)</sup>.

قال غير واحد من السلف: هم الرسل<sup>(٢)</sup>.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(٣)</sup>.

فنزه نفسه عما يصفه به الخلق، ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من النقائص، والعيوب، ثم حمد نفسه على تفرد به بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد<sup>(٤)</sup>.

ومضى على ما كان عليه الرسول ﷺ خير القرون<sup>(٥)</sup>، وهم الصحابة والتابعون لهم، يوصي به الأول الآخر، ويقتدي فيه اللاحق بالسابق وهم في ذلك كله بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقد بلغ الرسول ﷺ البلاغ المبين، وأوضح الحجة للمستبصرين وسلك سبيله خير القرون، ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم، وافترقوا، فأقام الله لهذه الأمة

(١) سورة الصافات الآية: ١٦٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢٤/٤.

(٣) سورة الصافات الآية: ١٨٠ - ١٨٢.

(٤) انظر: الصواعق المرسله، ١٥٢/١ - ١٥٣.

(٥) وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .... " أخرجه

البخاري في صحيحه (٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود.

(٦) سورة يوسف الآية: ١٠٨.

من يحفظ عليها أصول دينها<sup>(١)</sup>، كما أخبر الصادق عليه السلام بقوله: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة »<sup>(٢)</sup>.

ومن قام بهذا الحق أئمة الهدى والعلم والدين بعد الصحابة والتابعين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم<sup>(٣)</sup>، وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعتطلين<sup>(٤)</sup>، والمخيلين<sup>(٥)</sup>، والمجهلين<sup>(٦)</sup>، والمشبهين<sup>(٧)</sup> كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، وقالوا نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا تؤول ولا نمثل ولا نجهل، ولا نقول ليس لله يدان ولا وجه، ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة، ولا استوى على عرشه، ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم، وسمع وبصر، وحياة وقدرة كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم، بل نقول: له ذات حقيقة ليست كالذوات وله صفات حقيقة لا مجازاً ليست كصفات المخلوقين، وكذلك

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي (ح/١٩٢٣).

(٣) انظر: الفتوى الحموية، لابن تيمية، ص ٢٧.

(٤) سيأتي تعريفهم، انظر صفحة (٣٤١).

(٥) أصحاب التخيل: هم الذين اعتقدوا أن الرسل لم تفصح للخلق بالحقائق، إذ ليس في قواهم إدراكها وإنما خيلت لهم وأبرزت المعقول في صورة المحسوس. انظر: الصواعق المرسله، ٢/٤١٨-٤١٩. الفتوى الحموية، ص ٦٦.

(٦) أصحاب التجهيل: الذين قالوا: نصوص ألفاظ الصفات لا نعقل معانيها ولا ندرى ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

انظر: الصواعق المرسله، ٢/٤٢٢. الفتوى الحموية، ص ٦٩.

(٧) سيأتي التعريف بهم، انظر صفحة (٢١٢).

قولنا في وجهه تبارك وتعالى، ويديه، وسمعه وبصره، وكلامه، واستوائه، ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها كما يمنع ذلك من أثبت لله شيئاً من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة، وفهم معناهما فهكذا سائر صفاته المقدسة يجب أن تجري هذا الجرى وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيةها فإن الله سبحانه لم يكلف عباده بذلك ولا أرادهم ولم يجعل لهم إليه سبيلاً إلى معرفة كنهه وكيفيته<sup>(١)</sup>.

وقد قام منهج السلف في إثبات الصفات لله تعالى على أصول:

### ١- الأصل الأول:

إثبات ما أثبتته الله تبارك وتعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: « لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث »<sup>(٣)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى: « ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه »<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في أول خطبة كتابه "الرسالة":

الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه<sup>(٥)</sup>.

فبين رحمه الله أن الله موصوف بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان

رسوله ﷺ<sup>(٦)</sup>.

فأثبت رحمه الله في هذه الكلمة أن صفاته فوق ما يصفه به الخلق، فتضمنت هذه

(١) انظر: الصواعق المرسله، ص ٤٢٥-٤٢٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٣/٣-٤، و ٥/٢٦-٢٧.

(٣) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى، ص ٦١. وانظر: مجموع الفتاوى، ٥/٢٦.

(٤) انظر: المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، ١/٢٧٦.

(٥) الرسالة، للإمام الشافعي، ص ٨، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، ٥/٢٥٧.

الكلمة، إثبات صفات الكمال الذي أثبتته لنفسه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، وأن ما وصف به نفسه فهو الذي يوصف به، لا ما وصفه به الخلق<sup>(١)</sup>.

حكى الأوزاعي<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى شهرة القول في زمان التابعين، بالإيمان بأن الله تعالى فوق عرشه، وبالإيمان بما وردت فيه السنة من صفاته.

قال رحمه الله: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته<sup>(٣)</sup>.

وهذا الاعتقاد في صفات الله جل وعلا الذي حكاها الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى عن أئمة التابعين، هو الذي اعتقده الأئمة من بعدهم.

وقال الإمام الأزهري<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى: « ولا يجوز عند أهل العلم أن يوصف الله عز وجل بصفة لم ينزلها في كتابه، ولم يبينها على لسان نبيه عليه السلام »<sup>(٥)</sup>.

قال رحمه الله تعالى: « فإني لا أحب أن أُلْفِظ بلفظ في صفة الله لم يصف به

(١) انظر: الصواعق المرسله، ١٥٣/١-١٥٤. وانظر: منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، للدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل، ٢٣٣/٢.

(٢) هو الإمام عبد الرحمن بن عمر بن محمد الدمشقي الحافظ، وُلِدَ سنة ثمان وثمانين، كان فاضلاً مجتهداً في العبادة، ثقة جليل، كان إمام عصره عموماً، وإمام أهل الشام خصوصاً، توفي سنة ١٥٧هـ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ، ١٧٨/١-١٨٣، وشذرات الذهب، ٢٤١/١.

(٣) انظر: الأسماء والصفات، للبيهقي، ص ٤٠٧ - ٤٠٨. وتذكرة الحفاظ، للذهبي، (١/١٧٩)، ١٨١-١٨٢)، وقال الذهبي: هذا صحيح، وصححه شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى، ص ٧٥.

(٤) هو أبو منصور محمد بن محمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر بن نوح بن حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن بن المزريان الهروي الإمام، إمام في اللغة وكان متقدماً في صناعته بارعاً صدوقاً حافظاً لمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه، صاحب كتاب تهذيب اللغة، وُلِدَ سنة ٢٨٢هـ، وتوفي سنة ٣٧٠هـ. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٣١٦/١٦، وطبقات الشافعية، للسبكي، ٦٣/٣، وبغية

الروعة، للسيوطي، ١٩/١، والوفاء بالوفيات، للصفدي، ٤٥/٢.

(٥) تهذيب اللغة، ١١٢/٥.

نفسه في التنزيل أو في السنة»<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن بن علي البرهاري<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى: «وأعلم رحمك الله أن الكلام في الرب تعالى محدث وهو بدعة وضلالة، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه عز وجل في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث، أهل السنة والجماعة، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى، وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا معدل عما ورد به، ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضموناً لهم الهدى فيها، مشهوداً لهم بأن نبيهم ﷺ على صراط مستقيم، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم، ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمي ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه ﷺ»<sup>(٥)</sup>.

(١) تهذيب اللغة، ١٩٨/٥.

(٢) الحسن بن علي بن خلف البرهاري، أبو محمد الحنبلي، إمام محدث فقيه مجتهد، وُلِدَ سنة ٢٣٣هـ، وكان رحمه الله تعالى شديد الإنكار على أهل البدع بيده ولسانه، مات مستراً ببغداد سنة ٣٢٩هـ، من مصنفاته: شرح كتاب السنة. انظر: ترجمته في شذرات الذهب، ٣١٩/٢، وطبقات الحنابلة، ص ٢٩٩.

(٣) شرح السنة، ص ٢٤.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو بكر الإسماعيلي الإمام الحافظ المحدث، إمام من أهل جرجان، وُلِدَ سنة ٢٩٧هـ، وجمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا، له مؤلفات منها: المستخرج على البخاري، واعتقاد أئمة الحديث، توفي سنة ٣٧١هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ٢٩٢/١٦. وتذكرة الحفاظ، ٩٤٧/٣-٩٥٠. وطبقات الشافعية، للسبكي، ٧/٣. والوافي بالوفيات، ٢١٣/٦.

(٥) اعتقاد أئمة الحديث، ٤٩-٥١، وأخرجه بإسناده الذهبي في كتابه العلو. وانظر: مختصر العلو، ص ٢٤٨-٢٤٩، وأخرجه في تذكرة الحفاظ بالسند نفسه، ٩٤٩/٣، وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: "أخرجه المصنف بإسناده، ورجاله كلهم ثقات معروفون غير مسعود بن عبد الواحد الهاشمي فلم أجد له ترجمة، وهذا الإسناد ساقه في ترجمة أبي بكر الإسماعيلي من التذكرة، ١٥٠/٣-١٥١. مختصر العلو، ص ٢٤٩.

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى: « إن الأخبار في صفات الله عز وجل جاءت متواترة عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله عز وجل، فنقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله به في تنزيهه وبينه الرسول عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكليف وأنه عز وجل أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسه ووصفه الرسول ﷺ »<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني<sup>(٣)</sup>: « أصحاب الحديث، حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون بهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيهه، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما اثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ »<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام ابن عبد البر<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى: « لا يبلغ من وصفه سبحانه إلا ما

(١) هو الإمام الحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده وُلِدَ سنة ٣١٠هـ بأصبهان، له مؤلفات منها: كتاب التوحيد وكتاب الإيمان توفي سنة ٣٩٠هـ. انظر ترجمته في: طبقات الخنابلة، ١٦٧/٢، وتذكرة الحفاظ ١٠٣١/٣.

(٢) نقله عنه قوام السنة أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة، ٩١/١-٩٢.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن، أبو عثمان الصابوني، مقدم أهل الحديث في خراسان، لقبه أهل السنة بشيخ الإسلام، وُلِدَ سنة ٣٧٣هـ بنيسابور، وكان فصيح اللهجة، واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير، له كتاب " الفصول في الأصول " وعقيدة السلف توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر ترجمته في: الأنساب، للسمعاني، ٥٠٦/٣، والبداية والنهاية، لابن كثير، ٨١/١٢، وطبقات الشافعية، للسبكي، ١١٧/٣.

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص ١٠.

(٥) هو الإمام الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري وكنيته أبو عمر، وُلِدَ سنة ٣٦٨هـ، وقد جمع فنوناً عديدة، وبرز في علوم كثيرة، وصنف مصنفات كثيرة منها: التمهيد، والاستذكار، وجامع بيان العلم وفضله، وغيرها. توفي سنة ٤٦٠هـ.

انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ١٢٧/٨، وتذكرة الحفاظ، للذهبي، ١١٢٨/٣، وسير

وصف به نبيه ورسوله أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفة عنه»<sup>(١)</sup>.  
 وقال رحمه الله تعالى: « ليس في الاعتقاد في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء  
 منصوصاً في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ أو جمعت عليه الأمة »<sup>(٢)</sup>.  
 وقال رحمه الله تعالى: « فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله  
 إلا ما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ »<sup>(٣)</sup>.  
 فهذه النقول عن أئمة السلف هو الاعتقاد الصحيح الذي قام عليه منهج السلف  
 الصالح رحمهم الله تعالى وتناقله من بعدهم.  
 قال موفق الدين ابن قدامة: « ومذهب أئمة الهدى والعلم من السلف، الإيمان  
 بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله وعلى لسان رسوله  
 من غير زيادة »<sup>(٤)</sup>.  
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « ومذهب السلف أنهم يصفون الله  
 بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير  
 تكيف ولا تمثيل »<sup>(٥)</sup>.  
 وقال رحمه الله: « فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف  
 به نفسه وبما وصف به رسوله ﷺ »<sup>(٦)</sup>.

أعلام النبلاء، ١٥٣/١٨، العبر في خير من غير، للذهبي، ٢٥٥/٣، وشذرات الذهب، لابن العماد،  
 ٣١٤/٣.

(١) التمهيد، ١٣٦/٧.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ٩٤٣/٢.

(٣) التمهيد، ١٤٥/٧.

(٤) ذم التأويل، ص ١١.

(٥) الفتوى الحموية الكبرى، ص ٦١. وانظر: مجموع الفتاوى، ٢٦/٥.

(٦) شرح العقيدة الأصفهانية، ص ٣٢.

الأصل الثاني: الصفات المثبتة لله تعالى صفات كاملة حقيقية

وهذا الأصل يتكون من فرعين:

الفرع الأول: أن صفات الله تعالى صفات كمال وجلال

والفرع الثاني: أن هذه الصفات حقيقة في الخالق جل وعلا

الفرع الأول: صفات الله تعالى صفات كمال وجلال

قد تقدم في مبحث الأدلة الدالة على إثبات الكمال لله تبارك وتعالى، أن الكمال ثابت لله تعالى، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى، يستحقه بنفسه المقدسة، وثبت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز.

إذاً فصفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك.

وقد دل السمع والعقل والفطرة على هذا.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّى وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ

العزيز الحكيم﴾<sup>(١)</sup>.

والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال الله تعالى:

(١) سورة النحل الآية: ٦٠.



﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما

يشعرون أيان يبعثون ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك

شيئاً ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعلى قومه: ﴿ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من

دون الله أفلا تعقلون ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى

فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته

وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته

والوهيته<sup>(٥)</sup>.

والصفات أربعة أنواع: صفات الكمال، وصفات النقص، وصفات لا تقتضي

كمالاً ولا نقصاً، وصفات تكون كمالاً ونقصاً باعتبارين، وإذا كانت الصفة نقصاً لا

كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى

والصمم ونحوها لقوله تعالى: ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الأحقاف الآية: ٥.

(٢) سورة النحل الآية: ٢٠.

(٣) سورة مريم الآية: ٤٢.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٦٦-٦٧.

(٥) انظر: القواعد المثلى، ص ٢٧ - ٢٨.

(٦) سورة الفرقان الآية: ٥٨.

وقوله عن موسى: ﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»<sup>(٤)</sup>.

وقال: «أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»<sup>(٥)</sup>.

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾<sup>(٦)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾<sup>(٧)</sup>.

ونزه نفسه سبحانه عما يصفونه به من النقائص فقال سبحانه: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾<sup>(٨)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم

(١) سورة طه الآية: ٥٢.

(٢) سورة فاطر الآية: ٤٤.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٨٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن: باب ذكر الدجال، ح ٧١٣١. ومسلم في صحيحه كتاب الفتن

وأشراط الساعة: باب ذكر الدجال وصفة ما معه، ح ٢٩٣٣ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي: باب غزوة خيبر، ح ٤٢٠٥. ومسلم: كتاب الذكر والدعاء:

باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ح ٢٧٠٤، من حديث أب موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) سورة المائدة الآية: ٦٤.

(٧) سورة آل عمران الآية: ١٨١.

(٨) سورة الصافات الآية: ١٨٠-١٨٢.

على بعض سبحان الله عما يصفون ﴿١﴾.

وإذا كانت الصفة كملاً في حال ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً، ولا تنفي عنه نفياً مطلقاً بل لا بد من التفصيل، فتطلق عليه في الحال التي تكون كملاً وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك كالمكر والكيد والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كملاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله تعالى: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إنه يكيدون كيداً وأكيد كيداً﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾<sup>(٣)</sup>.

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال الله تعالى: ﴿وإن يريدوا خيانتك فقد

خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾<sup>(٤)</sup>.

ولم يقل فخانهم لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان وهي صفة ذم مطلقاً<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كملاً ولا نقصاً، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسماً رابعاً

(١) سورة المؤمنون الآية: ٩١.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٣٠.

(٣) سورة الطارق الآية: ١٥-١٦.

(٤) سورة النساء الآية: ١٤٢.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٧١.

(٦) انظر: القواعد المثلى، ص ٢٧-٢٩.

وهو ما يكون كمالاً ونقصاً باعتبارين والرب تعالى منزّه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله»<sup>(١)</sup>.

فله تعالى أكمل الصفات، وهو متصف بصفات الكمال والجلال، وهذا هو الفرع الأول من هذا الأصل من الأصول التي قام عليها منهج السلف في إثبات الصفات لله تبارك وتعالى.

### والفرع الثاني: صفات الله سبحانه وتعالى صفات حقيقية

وقد نقل الإمام ابن عبد البر رحمه الله إجماع أهل السنة على إثبات الصفات على حقيقتها، قال رحمه الله تعالى: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز»<sup>(٢)</sup>.

وقد نقل هذا الاتفاق أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال: «وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة»<sup>(٣)</sup>.

وقد دلت أدلة كثيرة على أن صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه صفات حقيقية:

١ - فمن ذلك أنها من باب إضافة الصفات إلى الموصوف بها<sup>(٤)</sup>.

وذلك أن المضاف إلى الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة، إما أن يكون عيناً قائمة بنفسها، أو أمراً قائماً بتلك العين، وإما أن يكون غير قائم بنفسه ولم يذكر له

(١) بدائع الفوائد، ١/١٨٤.

(٢) التمهيد، ٧/١٤٥، ونقلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى، ٥/٨٧، وابن قدامة في إثبات صفة العلو، ص ١٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ٥/١٩٦. وانظر: العقيدة التدمرية، ص ٧٦. والصواعق المرسلّة، ٤/١٥١١.

(٤) انظر هذا الدليل في شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٦٦.

موصوف غير الله تعالى<sup>(١)</sup>.

فإضافته إذا كان عيناً قائمة بنفسها فهو مخلوق ومثاله قوله تعالى: ﴿ناقة الله وسقيا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿رسول الله﴾، و﴿عباد الله﴾، وإذا كان أمراً قائماً بتلك العين أيضاً فهو

مخلوق ومثاله: ﴿وروح منه﴾<sup>(٣)</sup>.

وأما الثالث فهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها وهو الله سبحانه وتعالى ومثاله

قوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة﴾<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة:

أمران لفظيان وأمران معنويان، فاللفظيان ثبوتي وسلبى، فالثبوتي أن يشتق للموصوف

منها اسماً، والسلبى أن يمتنع الاشتقاق لغيره، والمعنويان ثبوتي وسلبى، فالثبوتي أن يعود

حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه، والسلبى أن لا يعود حكمها إلى غيره، ولا يكون

خبراً عنه»<sup>(٦)</sup>.

ويتضح هذا بمثال وهو: أن الله عز وجل ذكر الكلام صفة له، كما في قوله

عندما نادى موسى عليه السلام: ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا﴾<sup>(٧)</sup>.

فهذا الكلام نسبة الله تعالى إليه فيخبر عنه بأنه المتكلم به، ويمتنع أن يُقال إن

الشجرة هي المتكلمة به، وإلا للزمت المحاذير الآتية، وهي:

إنه لو كان هذا الكلام مخلوقاً قائماً بالشجرة وعائداً حكمه إلى الله تعالى، للزم

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٦/١٤٤-١٤٥، وشرح العقيدة الأصفهانية، ص ٦٢.

(٢) سورة الشمس الآية: ١٣.

(٣) سورة النساء الآية: ١٧١.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

(٥) سورة الذاريات الآية: ٥٨.

(٦) بدائع الفوائد، ١/١٨٢.

(٧) سورة طه الآية: ١٤.

أن يكون كل قول كذلك، كقول فرعون: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>(١)</sup>.

فلا يكون فرعون بقوله هذا كافراً لأن حكم الكلام عائد إلى الله ! وهذا باطل باتفاق، وكذلك يُقال في شهادة الأعضاء على الإنسان: إنها شهادة الله، ويكون قول المشهود عليهم: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾، قولاً لله تعالى ويكون قول الجلود: ﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾<sup>(٢)</sup>.

بمعنى أن الله تعالى يقول: أنطقي نفسك ! وكل هذا معلوم الفساد، وبه يتبين أنه متى ما وصف شيء بوصف لزم أن تقوم الصفة بالموصوف ولزم أن يعود حكمها إليه<sup>(٣)</sup>.

٢ - الدليل الثاني: التكرار والتأكيد<sup>(٤)</sup>:

فالقُرآن تكرر فيه التصريح بإثبات الصفات لله تعالى، وكذلك السنة ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى وصف كتابه بأنه: ﴿لآياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾<sup>(٥)</sup>.

وأثبت لرسوله ﷺ أنه إنما يتكلم بوحى فقال: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾<sup>(٦)</sup>، وقد ثبت أنه ﷺ أعلم الخلق بالله تبارك وتعالى، وأبين الخلق فصاحة، وأنصح الخلق لله<sup>(٧)</sup>، وأحرصهم على هداية الناس ببيان الهدى والحق والإرشاد إليه والتحذير من الباطل، فكل ذلك يؤكد أن ما ذكر في القرآن والسنة من الصفات هو على الحقيقة، ويؤكد عدم ورود ما يدل على خلاف ذلك، بل يزيد الأمر تأكيداً ما

(١) سورة النازعات الآية: ٢٤.

(٢) سورة فصلت الآية: ٢١.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد، للبخاري، ص ٢٣. وشرح العقيدة الأصفهانية، ص ٦٣.

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ص ٦٧.

(٥) سورة فصلت الآية: ٤٢.

(٦) سورة النجم الآية: ٣ - ٤.

(٧) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١٥/٢ - ١٦.

يذكر من القرائن لإثبات الحقيقة في الصفات<sup>(١)</sup>.

٣- الدليل الثالث: إجماع السلف على إثبات الصفات على حقيقتها ولو كان عندهم معنى يخالف الحقيقة لكانوا يقولون به، ولنقل عنهم فلما لم يقولوا به، علم أنهم أخذوا بظاهر اللفظ وأجمعوا عليه<sup>(٢)</sup>.  
وقد سبق أنه غير واحد من أهل العلم نقل إجماعهم على إثبات الصفات على حقيقتها<sup>(٣)</sup>.

### الأصل الثالث: إثبات صفات الكمال لله تعالى بلا تمثيل ولا تكييف

ومعنى التمثيل عند أهل السنة والجماعة هو: وصف الله تبارك وتعالى بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته وأفعاله من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من الصفات، مثل أن يُقال: إن يد الله جل وعز مثل أيدي المخلوقين، واستواءه كاستوائهم ونحو ذلك، أو يعطى لمخلوق من خصائص الرب تعالى التي لا يماثله فيها شيء من المخلوقات<sup>(٤)</sup>.

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل الصفات بدون مماثلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته الله تعالى من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، ٤٠٧/٢.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ٣٠٦/١.

(٣) انظر: ص (٢٠٩).

(٤) انظر: المختار في أصول السنة، لابن البنا الحنبلي، ص ٨١. وتحريم النظر في كتب أهل الكلام، لابن

قدامه، ص ٥٩، ودرء تعارض العقل والنقل، ١٤٦/٤. والصواعق المرسله، ١٥٤٤/٤، وشرح العقيدة

الواسطية، لابن عثيمين، ١٠٢/١.

تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾<sup>(١)</sup>، ففي قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾ رد للإلحاد والتعطيل<sup>(٢)</sup>.

فمنهج سلف الأمة وأئمتها يقوم على إثبات ما أثبتته الله تبارك وتعالى لنفسه من الصفات بدون مماثلة المخلوقات، يقولون: إن الله عز وجل له حياة وليست مثل حياتنا، له علم وليس مثل علمنا، وهكذا جميع الصفات، يقولون: إن الله عز وجل لا يماثل خلقه فيما وصف به نفسه أبداً، ولهم على ذلك أدلة سمعية وأدلة عقلية:

١- الأدلة السمعية<sup>(٣)</sup>:

وهي تنقسم إلى قسمين: خبر، وطلب.

فمن الخبر قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(٤)</sup>، فالآية فيها نفي صريح للتمثيل وقوله تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾<sup>(٥)</sup>، فإن هذا وإن كان إنشاءً، لكنه بمعنى الخبر، لأنه استفهام بمعنى النفي.

وقوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾<sup>(٦)</sup>، فهذه كلها تدل على نفي المماثلة، وهي كلها خبرية.

وأما الطلب، فقال الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾<sup>(٧)</sup>، أي نظراء مماثلين<sup>(٨)</sup> وقال

(١) سورة الشورى الآية: ١١.

(٢) التدمرية، ص ٧-٨. وانظر: الفتوى الحموية، ص ٦٢.

(٣) انظر هذه الأدلة في شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١/١٠٣-١٠٥.

(٤) سورة الشورى الآية: ١١.

(٥) سورة مريم الآية: ٦٥.

(٦) سورة الإخلاص الآية: ٤.

(٧) سورة البقرة الآية: ٢٢.

(٨) انظر: جامع البيان، ١/١٦٣.



تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾<sup>(١)</sup>.

فمن مثل الله بخلقه، فقد كذب الخبر، وعصى الأمر، ولهذا أطلق بعض السلف القول بالتكفير لمن مثل الله بخلقه، فقال نعيم بن حماد الخزاعي<sup>(٢)</sup>، رحمه الله: «من شبه الله بخلقه فقد كفر»<sup>(٣)</sup>، لأنه جمع بين التكذيب بالخبر وعصيان الطلب<sup>(٤)</sup>.

وأما الأدلة العقلية على انتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق:

فمن وجوه<sup>(٥)</sup>:

١- لا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق بأي حال من الأحوال، لو لم يكن بينهما من التباين إلا أصل الوجود، لكان كافياً، وذلك أن وجود الخالق واجب، فهو أزلي أبدي، ووجود المخلوق ممكن مسبوق بعدم ويلحقه فناء، فما كان كذلك لا يمكن أن يُقال: إنهما متماثلان.

٢- إننا نجد التباين العظيم بين الخالق والمخلوق في صفاته وفي أفعاله، في صفاته يسمع عز وجل كل صوت مهما خفي ومهما بُعد، لو كان في قعر البحار، لسمعه عز وجل.

وأنزل الله تعالى قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله

والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النحل الآية: ٧٤.

(٢) هو نعيم بن حماد وكنيته أبو عبد الله المرزوي الخزاعي الأعور المعروف بالفارص، أحد أئمة السنة، له كتاب في الرد على الجهمية، وكان ثقة صدوقاً في نفسه وتكلموا في ضبطه، توفي سنة ٢٢٨هـ. انظر: الجرح

والتعديل، لابن أبي جاثم، ٨/٤٦٣-٤٦٤. وتاريخ بغداد، ١٣/٣٠٦. وسير أعلام النبلاء، ١٠/٥٩٥.

(٣) أخرجه اللكائي في شرح السنة (٩٣٦)، وذكره عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ١٠/٦١٠، وصححه الألباني في مختصر العلو، ص ١٨٤.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١/١٠٣.

(٥) انظر: المصدر السابق، ١/١٠٤-١٠٥.

(٦) سورة المجادلة الآية: ١.

تقول عائشة رضي الله عنها: « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، إني لفي الحجرة، وإنه ليخفي عليّ بعض حديثها »<sup>(١)</sup>.

والله تعالى سمعها من على عرشه، وبينه وبينها ما لا يعلم مداه إلا الله عز وجل، ولا يمكن أن يقول قائل: إن سمع الله مثل سمعنا.

٣- نحن نعلم أن الله تعالى مبين للخلق بذاته ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾<sup>(٢)</sup>،  
﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا يمكن لأحد من الخلق أن يكون هكذا، فإذا كان مبيناً للخلق في ذاته، فالصفات تابعة للذات، فيكون أيضاً مبيناً للخلق في صفاته عز وجل، ولا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق.

٤- إننا نشاهد في المخلوقات أشياء تتفق في الأسماء وتختلف في المسميات، يختلف الناس في صفتهم: هذا قوي البصر وهذا ضعيفه، وهكذا التباين في المخلوقات التي من جنس واحد، فكيف بالمخلوقات المختلفة الأجناس؟ فالتباين بينها أظهر، فكيف بالتفاوت بين رب الخلق وبين الخلق.

فهذه أربعة أدلة عقلية يُضاف إليها دليل فطري، وهو أن الإنسان بفطرته بدون أن يُلقن يعرف الفرق بين الخالق والمخلوق، ولو لا هذه الفطرة، ما ذهب يدعوا الخالق.

فتبين بهذا أن التمثيل منتفٍ سمعاً وعقلاً وفطرة.

وأما التكيف فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب التوحيد باب وكان الله سمياً بصيراً، ٣٨٤/١٣ مع فتح

الباري. ووصله النسائي في سننه، ١٦٨/٦، وكذا وصله أحمد في المسند، ٤٦/٦، ورواه ابن ماجه في

سننه، رقم ٢٠٦٣.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الزمر الآية: ٦٧.

أن يُقيدها بمماثل<sup>(١)</sup>.

قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري<sup>(٢)</sup>، ومالك بن أنس<sup>(٣)</sup>، والليث بن سعد<sup>(٤)</sup> عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات فقالوا:

«أمروها كما جاءت بلا كيف»<sup>(٥)</sup>.

قال يحيى بن عمار<sup>(٦)</sup>: «وهؤلاء أئمة الأمصار: فمالك إمام أهل الحجاز، والثوري إمام أهل العراق، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر والمغرب»<sup>(٧)</sup>.

قال الخطابي رحمه الله: «مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حدوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات

(١) انظر: القواعد المثلى، ص ٣٦.

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، وُلِدَ سنة ٩٧هـ، وكان سيد أهل زمانه في العلم والتقوى، توفي سنة ١٦١هـ. انظر ترجمته في: طبقات بن سعد ١٥٧/٦، وتاريخ بغداد ١٥١/٩ ن وتهذيب التهذيب ١١١/٤.

(٣) الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر بن عمر بن الحارث الأحمي، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة المشهورين، وُلِدَ سنة ٩٣هـ، أشهر كتبه الموطأ، توفي سنة ١٧٩هـ. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ١٠٢/١، وسير أعلام النبلاء، ٤٨/٨، والأنساب، للسمعاني، ٢٨٧/١.

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، وُلِدَ سنة ٩٤هـ، وتوفي سنة ١٧٥هـ. انظر: وفيات الأعيان، ٤٣٨/١، وسير أعلام النبلاء، ١٣٦/٨، وتهذيب التهذيب، ٤٥٩/٨.

(٥) أخرجه الخلال في كتاب السنة، ٢٦٥/١، رقم ٣١٣، والآجري، في الشريعة، ص ٣١٤، وابن عبد البر في التمهيد، ١٤٩/٧-١٥٨.

(٦) يحيى بن عمار أبو زكريا السجستاني، الإمام الحافظ المحدث، كان شديداً على أهل البدع، توفي سنة ٤٢٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٨١/١٧.

(٧) انظر: ذم التأويل، لابن قتيبه، ص ٢٠.

رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء كيف استوى؟

قال: « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في نقله لاعتقاد أهل السنة والجماعة:

« وأنه عز وجل استوى على العرش بلا كيف، فإن الله تعالى انتهى من ذلك إلى

أنه ( استوى على العرش )، ولم يذكر كيف كان استواؤه»<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى قد نقلوا معتقد السلف في هذا الباب وأنه يقوم

على عدم طلب معرفة الكيفية.

وقد دلّ السمع والعقل على هذا المعتقد.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها فيكون تكيفنا قفوا لما ليس لنا به علم وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو

العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية

(١) نقله عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ، ٣/١١٤٢ - ١١٤٣.

(٢) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٣/٣٩٨، رقم ٦٦٤، والبيهقي في الأسماء والصفات، ص ٤٠٨، وصححه الألباني في مختصر العلو، ص ١٤١.

(٣) اعتقاد أئمة الحديث، للإسماعيلي، ص ٥٠، ونقله عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ١٦/٢٩٥.

(٤) سورة طه الآية: ١١٠.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها، وأيضاً فأى كيفية يقدرها الإنسان لصفات الله تعالى؟! .!

إن أى كيفية تقدر فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأى كيفية تقدر لصفات الله تعالى فإن من يقدرها سيكون كاذباً فيها لأنه لا علم له بها، وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان أو تقريراً باللسان أو تحريراً بالبنان<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: القواعد المثلى، ص ٣٦.

ويتفرع على الأصول التي ذكرتها ما يلي :

تقدم في الأصل الأول أن منهج السلف يقوم على إثبات ما أثبتته الله تبارك وتعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الصفات وهذه هي الصفات الثبوتية، وكلها صفات لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والوجه واليدين ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

وتنقسم الصفات الثبوتية إما من حيث التعلق بالمشيئة والإرادة أو من حيث طريق ثبوتها، فمن حيث التعلق فهي إما ذاتية وإما فعلية ومن حيث طريق ثبوتها إما سمعية وإما عقلية.

**التقسيم الأول: الصفات الذاتية والصفات الفعلية:**

فالذاتية: هي التي لم يزل الله تبارك وتعالى ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخيرية كالوجه واليدين والعينين<sup>(٢)</sup>.

وأما الصفات الفعلية فهي كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « هي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه... ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة<sup>(٣)</sup> ».

يقول الشيخ عبد الله بابطين<sup>(٤)</sup>: « فإن المعروف بين أهل السنة أن صفات الله تعالى قسمان:

صفات ذاتية: كالحياة والعلم والقدرة والوجه واليدين ونحوها، فهذه قديمة بلا ريب، إذ أنها صفات لازمة لله تعالى.

(١) انظر: القواعد المثلى، ص ٣١.

(٢) انظر: القواعد المثلى، ص ٣٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢١٧/٦.

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبابطين، العلامة الفقيه، ولد سنة ١١٩٤هـ وتوفي سنة ١٢٨٢هـ.

انظر ترجمته في: مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٣٥-٢٣٧.

وصفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته وحكمته، فإن اقتضت حكمته فعلها فعلها، وإن اقتضت حكمته أن لا يفعلها لم تكن، وهذا مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة والكلام، والنزول والاستواء وغير ذلك من صفات فعله»<sup>(١)</sup>.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكل صفة تعلق بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة<sup>(٣)</sup>.

### التقسيم الثاني للصفات الثبوتية: الصفات الخبرية والصفات العقلية الخبرية

فالصفات الخبرية وتسمى النقلية والسمعية وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، والخبر عن الله تعالى، أو عن رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام، أي لا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباتها لو لا الأخبار المنقولة عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ وهي خبرية محضة بيد أن العقل السليم لا يعارض فيها الخبر الصحيح كما هو معروف، وأمثلتها، كالوجه، واليد، والعين، واليمين، والقبضة، والأصابع، والحق، والساق.

وأما الصفات الشرعية العقلية فهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي، والفطرة السليمة وهي أكثر صفات الرب تعالى، بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي والعمدة فيها على الخبر<sup>(٤)</sup>.

(١) لوامع الأنوار البهية، ١/١١٢، هامش: ١ تعليقا على قول الناظم: صفاته كذاته قديمة... أسماءه ثابتة عظيمة.

(٢) سورة يس الآية: ٨٢.

(٣) انظر: القواعد المثلي، ص ٣٤.

(٤) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، للشيخ محمد بن أمان الجامي، ص ٢٠٧، وموقف ابن تيمية

من الأشاعرة، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، ٣/١٢٢٤، والماتريدي وموقفهم من توحيد

الأسماء والصفات، للشمس السلفي الأفغاني، ٢/٤٢٢-٤٢٣.

الأصل الرابع : نفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ أهل السنة والجماعة ينزهون الله تبارك وتعالى عن كل صفة نقص، وعيب، وينزهونه في صفاته أن تشبه صفات المخلوقين، ويتبعون في ذلك الكتاب والسنة. والتنزيه عند أهل السنة والجماعة يقوم على أربعة أصول<sup>(١)</sup>:  
الأصل الأول: أن يكون التنزيه بلا تعطيل للصفات الإلهية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبتته - الله تعالى - من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع ما أثبتته من الصفات - من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته ...، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل»<sup>(٢)</sup>.

فتضمن كلامه رحمه الله تعالى أن التنزيه يكون في شيئين:-

الأول: في صفاته الثابتة له سبحانه، والتنزيه فيها يكون بنفي مماثلتها لصفات المخلوقات.  
الثاني: صفات النقص، وتنزيه الله تعالى عنها يكون بنفيها مطلقاً، مع إثبات كمال ضدها كما سيأتي بيانه.

الأصل الثاني: الإجمال في صفات النفي:-

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى جميع ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ بالتفصيل من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، لأن الله تعالى أعلم بنفسه ثم رسوله ﷺ أعلم الناس بالله، وافصح الخلق في بيان العلم والتعريف والدلالة والإرشاد، ويحملون في النفي فينفون عن الله تعالى كل نقص وعيب كما نفاه الله تعالى في عدة مواضع من كتابه<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات، للشمس السلفي الأفغاني، ١/٤٩٩.

(٢) التدمرية، ص ٧-٨.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٥/٢٦، ٣٠، والماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات، ١/٥٠٠.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل كما قال تعالى: ﴿ فاعبدوه واصطبروا لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾<sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup>.

والصفات السلبية لم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ ولم يكن كفواً أحد ﴾<sup>(٥)</sup>.

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله تعالى: ﴿ أن دعوا للرحمن ولداً

وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴾<sup>(٦)</sup>.

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين كما في قوله:

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾<sup>(٨)</sup>.

فتبين بهذا أن النفي لا يرد في صفات الله عز وجل إلا على سبيل العموم أو على سبيل

الخصوص لسبب، لأن صفات السلب لا تتضمن الكمال إلا إذا كانت متضمنة لإثبات<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة مريم الآية: ٦٥.

(٢) سورة الإخلاص الآية: ٣، ٤.

(٣) التدمرية، ص ٨.

(٤) سورة الشورى الآية: ١١.

(٥) سورة الإخلاص الآية: ٤.

(٦) سورة مريم الآية: ٩١ - ٩٢.

(٧) سورة الدخان الآية: ٣٨.

(٨) انظر: القواعد المثلى، ص ٣٣.

(٩) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١/١٤٦.

الأصل الثالث: إثبات كمال ضد ما ينفي وينزه الله تعالى عنه<sup>(١)</sup>:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال.

فهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح كقوله:

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ إلى قوله: ﴿ولا يؤده حفظهما﴾<sup>(٢)</sup>.

فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبین لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: ﴿ولا يؤده حفظهما﴾ أي لا يكرثه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها، بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته ...

وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو ما لم يصف الله به نفسه، فالذين لا يصفونه إلا بالسلب لم يثبتوا في الحقيقة إلهاً محموداً، بل ولا موجوداً<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « وكل ما ينزه الرب عنه، إن لم يكن متضمناً لإثبات كماله ومستلزماً لأمر ثبوتي يوصف به لم يكن في تنزيهه عنه مدح ولا حمد، ولا تمجيد، ولا تسبيح، إذ العدم المحض كاسمه، لا حمد فيه ولا مدح، وإنما بمدح سبحانه بنفي أمور تستلزم أموراً هي حق ثابت موجود يستحق الحمد عليها، وذلك

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ١١/٤٨٣-٤٨٤. وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ١٠٨-

١١٠.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

(٣) التدمرية، ص ٥٧ - ٥٨.

الحق الموجود ينافي ذلك الباطل المنفي، فيستدل برفع أحدهما على ثبوت الآخر، فتارة يستدل بثبوت تلك المحامد والكمالات على نفي النقائص التي تنافيها، وتارة يستدل بنفي تلك النقائص على ثبوت الكمالات التي تنافيها»<sup>(١)</sup>.

فتبين بهذا أنه لا يوجد في الصفات المنفية عن الله تعالى نفي مجرد، لأن النفي المجرد عدم، والعدم ليس بشيء، فلا يتضمن مدحاً ولا ثناءً، ولأنه قد يكون للعجز عن تلك الصفة، فيكون ذمّاً، وقد يكون لعدم القابلية، فلا يكون مدحاً ولا ذمّاً. مثال الأول الذي للعجز قول الشاعر<sup>(٢)</sup>:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة

ومثال الثاني الذي لعدم القابلية: أن تقول: إن جدارنا لا يظلم أحداً<sup>(٣)</sup>.

الأصل الرابع: إتباع الكتاب والسنة في النفي:

أهل السنة والجماعة مجمعون على إثبات ما جاء إثباته في الكتاب والسنة من صفات الكمال، ونفي ما جاء نفيه في الكتاب والسنة من صفات النقص والعيب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفيّاً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه»<sup>(٤)</sup>.

فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات؛ فما أثبتته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفينا، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات

(١) الصواعق المرسلّة، ١٤٤٣/٤ - ١٤٤٤.

(٢) النجاشي الحارثي وهو قيس بن عمر بن مالك من بني الحارث بن كعب، وهذا البيت هو من قصيدة يهجو بها بني العجلان.

انظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٨٨/١ - ٢٩١، وسمط اللالي، ٨٩٠/٢.

(٣) انظر: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى الكناني،

تحقيق د. ناصر الفقيهي، ص ٤٦. وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١٤٦/١ - ١٤٧.

(٤) مجموع الفتاوى، ٣/٣ - ٤، ٢٦/٥ - ٢٧.

والنفي، فنثبت ما أثبتته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلاّ عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد<sup>(١)</sup>.

فثبت بهذا أن الله تبارك وتعالى متصف بصفات الكمال منزّه عن صفات النقص والمعائب، مستحق للحمد الكامل لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلاّ على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال، وهي أمور وجودية، فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها، ولا خير ولا كمال.

ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صفات الكمال، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد، فثبت أنه المستحق للمحامد الكاملة، وهو أحق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢١٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٨٤/٦.

المبحث الخامس  
حمد الله تعالى على  
الوحيته

### المبحث الخامس: حمد لله تعالى على ألوهيته

قد أكثر الله تبارك وتعالى في محكم كتابه من الجمع بين توحيد الله وحمده<sup>(١)</sup>، وكذلك ثبت عن النبي ﷺ الإكثار من الجمع بين توحيد الله تبارك وتعالى وبين حمده سبحانه<sup>(٢)</sup>. أما ما جاء في محكم الكتاب من الجمع بين توحيد الله تبارك وتعالى وبين حمده، فمنه قوله تعالى: ﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « من قال: لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله: ﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ »<sup>(٤)</sup>. وكما جمع بينهما في أم القرآن، فأولها تحميد، وأوسطها توحيد، وآخرها دعاء<sup>(٥)</sup>، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾<sup>(٦)</sup>.

وأما ما جاء عن النبي ﷺ من جمعه بين توحيد الله تبارك وتعالى وبين حمده فكثير جداً. فمن ذلك أن النبي ﷺ قال: « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية، ٤٠٥/٥-٤٠٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٤١٥/١٤.

(٣) سورة غافر الآية: ٦٥.

(٤) رواه بسنده ابن جرير في تفسيره ١٨/١٢، وإسناده صحيح، وفيه عننة الأعمش وهو مدلس، وهو ممن يمشي تدليس. انظر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، للحافظ ابن حجر، ص ٦٧، والأثر له شاهد عن سعيد بن جبير أخرجه ابن جرير بسنده في تفسيره، ٨١/١٢.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، ٤١٧/١٤-٤١٨.

(٦) سورة القصص الآية: ٧٠.

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج - باب جامع الحج رقم (٢٤٦). والترمذي في كتاب الدعوات - باب في دعاء يوم عرفة رقم (٣٥٨٥)، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقال الألباني في هامش المشكاة، ٧٩٧/٢: " وحسنه - أي الترمذي - في بعض الروايات عنه، وهو كما قال باعتبار شاهده الذي بعده، وهو مرسل صحيح الإسناد ". وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٠٣).

فقوله: ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴾، توحيد، وقوله: ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ تحميد<sup>(١)</sup>.

وفي حديث جابر رضي الله عنه في صفة حج النبي ﷺ قال: « أهل النبي ﷺ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك<sup>(٢)</sup>، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك<sup>(٣)</sup> ».

فإذا تأملت هذه الكلمات، وما تشتمل عليه من المعاني الجليلة وجدتها تشتمل على جميع أنواع التوحيد، وأن الأمر كما قال جابر رضي الله عنه: " أهل بالتوحيد " والصحابة رضوان الله عليهم أعلم الناس بالتوحيد فقوله: " الملك " من توحيد الربوبية، بل الألوهية من توحيد الربوبية، فإثبات الألوهية متضمن لإثبات الربوبية، وإثبات الربوبية مستلزم لإثبات الألوهية، ولهذا لا تجد أحداً يوحد الله تعالى في ألوهيته إلا وقد وحده في ربوبيته، لكن من الناس من يوحد الله في ربوبيته، ولا يوحد في ألوهيته وحينئذ نلزمه، ونقول: إذا وحدت الله في الربوبية لزمك أن توحد في ألوهيته. ونأخذ توحيد الأسماء والصفات من قوله: « إن الحمد والنعمة »، فالحمد: وصف المحمود بالكمال.

والنعمة من صفات الأفعال، فقد تضمنت توحيد الأسماء والصفات<sup>(٤)</sup>، وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلاماً أقوله، قال: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ».

قال : هؤلاء لربي فما لي؟

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٤١٨/١٤.

(٢) هذا فيه تعريض لما كان يفعله أهل الجاهلية من انضمام قولهم: "إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك".

انظر: توضيح الأحكام، للبسام، ٣/٣٢٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٤) انظر: الشرح المتع، لابن عثيمين، ٧/١٢٤.

قال: « قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني »<sup>(١)</sup>.

وقد جاء الجمع بين التوحيد والتحميد في كفارة المجلس<sup>(٢)</sup>.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال - قبل أن يقوم من مجلسه -: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك »<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحاه عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك »<sup>(٤)</sup>.

وكما قد جاء الجمع بين توحيد الله وتحميده في كتاب الله العزيز، وصح عن النبي ﷺ، كذلك فإن الله تبارك وتعالى قد أكثر في محكم كتابه من حمده لنفسه على أنه المستحق لأن يفرد بالعبادة دون ما سواه، وأنه كما أنه المستحق لجميع المحامد لكمال صفاته، ولما امتن به على خلقه دون حاجة منه إليهم، كذلك هو المستحق لأن يفرد بالعبادة دونما سواه.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ح/ ٢٦٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٤١٨/١٤.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٢٩)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٣٩٧) والحديث صحيح، وقد أطال الحافظ ابن حجر رحمه الله النفس في الكلام على طرقة. انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح، ٧٤٥-٧١٦/٢. فتح الباري ٥٥٤-٥٥٦/١٣، وصححه الألباني في رياض الصالحين رقم (٨٣٦).

وانظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، لسليم الهلالي، ١١٧/٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس (٣٢٩٣). ومسلم في كتاب الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩١). والترمذي في كتاب الدعوات رقم (٣٤٦٨).



الذين كفروا بربهم يعدلون»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة ابن جرير رحمه الله تعالى: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿الحمد لله﴾ الحمد الكامل لله وحده لا شريك له، دون جميع الأنداد والآلهة، دون ما سواه، مما تعبد به كفرة خلقه من الأوثان، والأصنام، وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر، ينحى به نحو الأمر، يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم أيها الناس، وخلق السموات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك أحد شيئاً، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديهم عندكم، ونعمه عليكم، لا من تعبدونه من دونه، وتجعلونه له شريكاً من خلقه»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال رحمه الله في قوله ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾: «يقول تعالى ذكره معجباً خلقه المؤمنين من كفر عباده، ومحتجاً على الكافرين: إن الإله الذي يجب عليكم أيها الناس حمده هو الذي خلق السموات والأرض، الذي جعل منها معاشكم وأقواتكم، وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم، فمن السموات ينزل عليكم الغيث، وفيها تجري الشمس والقمر بإعتقاب، واختلاف لمصالحكم، ومن الأرض يُنبِت الحب الذي به غذائكم، والثمار التي فيها ملاذكم، مع غير ذلك من الأمور التي فيها مصالحكم ومنافعكم بها، والذين يجحدون نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس بربهم الذي فعل ذلك وأحدثه ﴿يعدلون﴾: يجعلون له شريكاً في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركه في خلق شيء من ذلك، ولا في إنعامه عليهم، بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره»<sup>(٣)</sup>.

ومما جاء فيه حمد الله تبارك وتعالى لنفسه على ألوهيته، قوله تعالى: ﴿وهو الله لا

(١) سورة الأنعام الآية: ١.

(٢) جامع البيان، ١٤٣/٥.

(٣) المصدر السابق، ١٤٤/٥.

إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون<sup>(١)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « هذه الآية فيها ... أنه وحده المعبود المحمود في الدنيا والآخرة، على ما له من صفات الجلال والجمال، وعلى ما أسداه إلى خلقه من الإحسان والإفضال.

وأنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا، بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق وذراً<sup>(٢)</sup>، والحكم الديني الذي أثره جميع الشرائع، والأوامر والنواهي وفي الآخرة يحكم بحكمه القدري والجزائي<sup>(٣)</sup>.

وكما قد جاء في كتاب الله تعالى حمد الله تبارك وتعالى لنفسه على ألوهيته ن كذلك فقد أمر نبيه ﷺ في محكم كتابه أن يحمده على ألوهيته واستحقاقه للعبادة دون ما يعبد من غيره.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌ من الذل وكبره تكبيراً﴾<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة ابن جرير رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وقل يا محمد الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ فيكون مربوباً لا رباً، لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فيكون عاجزاً ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفاً، ولا يكون إلهاً من يكون محتاجاً إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفرداً بالملك والسلطان ﴿ولم يكن له وليٌ من الذل﴾ يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان

(١) سورة القصص الآية: ٧٠.

(٢) ذراً الله الخلق: خلقهم. انظر: لسان العرب، ٤٢/٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٢٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

دليلاً مهيناً يحتاج إلى ناصر إلهاً يُطاع ﴿ وكبره تكبيراً ﴾، يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك «<sup>(١)</sup>».

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى: « أمر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة الناس على لسان نبيه ﷺ، لأن أمر القدوة أمر لاتباعه أن يقولوا:

﴿ الحمد لله ﴾ أي كل ثناء جميل لائق بكماله وجلاله، ثابت له، مبيناً أنه منزّه

عن الأولاد والشركاء والعزة بالأولياء، سبحانه عن ذلك كله علواً كبيراً «<sup>(٢)</sup>».

وقال تعالى: ﴿ قل الحمد لله وسلم على عباده الذين اصطفى الله خير أما

يشركون ﴾<sup>(٣)</sup> «<sup>(٤)</sup>».

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « أي: قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء، لكمال أوصافه، وجميل معروفه، وهباته وعدله، وحكمته في عقوبته المكذبين، وتعذيب الظالمين، وسلم أيضاً على عباده، الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين، من الأنبياء والمرسلين، وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكركم، وتنويعاً بقدرهم، وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربه من النقائص والعيوب ﴾ الله خير أما يشركون ﴾ استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع

(١) جامع البيان، ١٨٨/٩-١٨٩.

(٢) أضواء البيان، ٥٧٧/٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٤) وهو سبحانه يبين أن المعبودين دونه ليسوا مثله في مواضع كقوله: ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ... ﴾ إلى قوله: ﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ الآيات ٣١-٣٥ من سورة يونس، وغيرها كثير، فهو سبحانه يبين أنه هو المستحق للعبادة دون ما يعبد من دونه، وأنه لا مثل له، ويبين ما اختص به من صفات الكمال وانتفائها عما يعبد من دونه، ويبين أنه يتعالى عما يشركون وعما يقولون من إثبات الأولاد والشركاء له. انظر: مجموع الفتاوى، ١٢٠/١٦-١٢٢.

الله آله أخرى<sup>(١)</sup>.

أي: آ الله الرب العظيم، كامل الأوصاف، عظيم الألفاف، خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر، ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال ذرة من الخير فالله خير مما يشركون<sup>(٢)</sup>.

إذا تقرر هذا فإن الله تبارك وتعالى محمود على ألوهيته<sup>(٣)</sup>، والألوهية صفة لله تعالى وهي مأخوذة من الإله، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»<sup>(٤)</sup>.

واسم الجلالة الله أصله إله فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فخص بالباري تعالى<sup>(٥)</sup>.

وإله مصدر أله يأله فهو إله، فإنه فعال بمعنى مفعول كأنه مألوه، أي معبود مستحق للعبادة يعبد الخلق ويؤلهونه<sup>(٦)</sup>.

وأله يأله عبد، وقيل تأله فالإله على هذا هو المعبود<sup>(٧)</sup>.

وأله يأله ألهة وتألهأ، كعبد يعبد عبادة وتعبدأ<sup>(٨)</sup>.

والتأله: التنسك والتعبد<sup>(٩)</sup>.

قال رؤية بن العجاج<sup>(١٠)</sup>:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/٣٥٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٠٧. وانظر الآيات ٦٠-٦٤ من سورة النحل.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ١/٤١. وبدائع الفوائد، ١/٢٥.

(٤) رواه بسنده ابن جرير في تفسيره، ١/٥٤.

(٥) انظر: المفردات، للراغب، ص ٢١. وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ١٨.

(٦) انظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، ص ٢٤.

(٧) انظر: القاموس المحيط، ١/١٧٣. والمفردات، للراغب، ص ٢١.

(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروز أبادي، ٢/١٤.

(٩) انظر: تهذيب اللغة، ٦/٤٢٣ مادة أله.

(١٠) رؤية بن عبد الله العجاج بن رؤية بن لبيد بن مضر التيمي السعدي، أبو الجحلف، ويُقال أبو

لله در الغايات المده سبحن واسترجعن من تألهي<sup>(١)</sup>

أي: من تعبدي وطلبي الله بعملتي<sup>(٢)</sup>.

ومما سبق يتبين أن لفظة إله مأخوذة من التأله وهو التعبد ومعناه المعبود المطاع سواء كان بحق أو بغير حق، فكل ما عبد بأي نوع من أنواع العبادات ولو كان المعبود جماداً فهو إله عند عابده<sup>(٣)</sup>.

كما قال الله تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخراً﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿ومن يدع مع الله

إلهاً آخر لا برهن له به﴾<sup>(٥)</sup>، قال تعالى: ﴿فما أغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء﴾<sup>(٦)</sup>.

ولكن ألوهية ما سوى الله تبارك وتعالى الوهية باطلة، مجرد تسمية، قال تعالى:

﴿إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وءاباكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾<sup>(٧)</sup>.

فألوهيتها باطلة، وهي وإن عبت وتأله إليها من ضل، فإنها ليست أهلاً لأن

تعبد، فهي آلهة معبودة، لكنها آلهة باطلة<sup>(٨)</sup>.

الشعراء، كان رأساً في اللغة والشعر والرجز، مات سنة ١٤٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان، (٢/٣٠٣-٣٠٥). وسير أعلام النبلاء (٦/١٦٢) وخزانة الأدب (١/٨٩-٩٣). وطبقات الشعراء، لابن قتيبة، (٢/٥٩٤).

(١) ديوان رؤبة، ص ١٦٥. وانظر: الصحاح، ٦/٢٢٤.

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى، ص ٢٤. وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ١٩.

(٣) انظر: منهج الحافظ ابن رجب وأثره في توضيح عقيدة السلف، للدكتور عبد الله الغفيلي، ١/٣٠٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٦) سورة هود، الآية: ١٠١.

(٧) سورة النجم، الآية: ٢٣.

(٨) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١/٢٧.

قال تعالى: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴾<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن لفظ الجلالة لا يؤخذ منه صفة فعلية كالخلق والرزق، ونحو ذلك وإنما يدل على صفة ذاتية هي استحقاقه تعالى للعبادة، وهذا يدل على خطأ فهم أهل الكلام<sup>(٢)</sup> لمعنى الإله، ولما يدل عليه اسمه تعالى الله، حيث فهموا منه أنه يدل على صفة فعلية هي الخلق والقدرة على الاختراع<sup>(٣)</sup>، فإن من فسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، لم يعرف حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال الله تعالى: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السموات والأرض، فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره<sup>(٥)</sup>.

إذا تقرر هذا وأن الله تبارك وتعالى قد أكثر من الجمع بين هذا النوع من التوحيد - أعني توحيد الألوهية - وبين حمده، وأن الله تبارك وتعالى قد أكثر من حمده لنفسه على ألوهيته، وأمر نبيه ﷺ بحمده على ذلك، وأن كلمة "الحمد لله" دالة على توحيد الألوهية<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٠.

(٢) أهل الكلام هم الطوائف الذين ارتضوا علم الكلام وقواعده الفلسفية منهجاً في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل لجابر إدريس ٤٩/١.

(٣) انظر: تفسيرهم للإله بمعنى القادر على الاختراع في حاشية الخيالي على شرح العقائد، ص ٥١، والعين، للفراهيدي، ٩١/٤. وحقيقة التوحيديين أهل السنة والمتكلمين، لعبد الرحيم بن صمايل السلمي، ص ٣٥٣. وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص ٢٤٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٢٢٦/١. ومجموع الفتاوى، ٩٨/٣. والتدمرية، ص ١٨٠-١٨٥. وبيان تلبيس الجهمية، ٤٧٨/١-٤٧٩. واقتضاء الصراط المستقيم، ٨٥٥/٢-٨٥٦.

(٦) انظر: القول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد للدكتور عبد الرزاق البدر ص: (١٩).

إذا تبين هذا فإن معنى توحيد الألوهية: هو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، قولاً وفعلاً وقصدًا بجميع أفعال عباده التي تعبدهم بها من صلاة وزكاة وصيام وصدقة وحج ونذر ومحبة وخوف ورجاء ودعاء وتوكل ورغبة ورهبة، وغير ذلك من أنواع العبادة المشروعة طاعة له سبحانه وتقرباً إليه<sup>(١)</sup>.

ويسمى توحيد العبادة، وهو باعتبار إضافته إلى الله تعالى هو توحيد ألوهيته، وباعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة<sup>(٢)</sup>.

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾<sup>(٣)</sup>، فهذا أول أمر في القرآن<sup>(٤)</sup>.

وأعظم ما دعا الله تبارك وتعالى الخلق إليه في كتابه ودعت الرسل هو التوحيد، وأعظم ما نهي عنه الشرك، وهو أصل دعوة الرسل وأساسها ورأسها، وأكمل ما فيها<sup>(٥)</sup>، وبه بعث الله جميع رسله، وأنزل جميع كتبه بأن لا يُعبد إلا الله وحده لا

(١) انظر: رسالة في تعريف توحيد العبادة، للشيخ عبد الرحمن أبي بطين (ضمن مجموعة التوحيد)، ١٧٠/١. وتيسير العزيز الحميد، ص ٣٦. والقول المفيد على كتاب التوحيد، ١٦٠٠/١. وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ٢٤/١. تقريب التدمرية، لابن عثيمين، وص ١٢٨. والإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة، للحسن العلوي، ص ٢٢٧.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ٢٤/١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٣٦-٣٧.

(٥) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة، ٢٩٠/١-٢٩١.

شريك له، لا يُعبد معه لا ملك ولا نبي ولا صالح ولا تماثيل<sup>(١)</sup>، ولا قبور، ولا شمس، ولا قمر، ولا كوكب، ولا ما صنع من التماثيل لأجلهم، ولا شيء من الأشياء، وبين أن كل ما يُعبد من دونه فإنه لا يضر ولا ينفع وإن كان ملكاً أو نبياً، وأن عبادته كفر، فقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً...﴾ إلى قوله: ﴿محدوراً﴾<sup>(٢)</sup>، بين سبحانه أن كل ما يدعي من دونه من الملائكة والأنبياء يتقربون إلى الله ويرجونه ويخافونه<sup>(٣)</sup>.

وقد تواتر عن النبي ﷺ، أنه أول ما دعا المشركين إلى كلمة التوحيد، والإقرار بها يصير الرجل مسلماً، وبالامتناع عنها يصير كافراً، وأنه قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»<sup>(٤)</sup>. فلا يصير الرجل مسلماً حتى يشهد هذه الشهادة<sup>(٥)</sup>.

وأهل هذه الكلمة هم السعداء، فمن مات عليها دخل الجنة، كما ثبت من حديث عثمان بن عفان ؓ، عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٦)</sup>.

وعن معاذ ؓ عن النبي ﷺ، أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة»<sup>(٧)</sup>.

(١) التماثيل: التمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله، وجمعه التماثيل، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذ قدرته على قدره. انظر: لسان العرب، ٢٤/١٣، مادة مثل.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٦-٥٧.

(٣) انظر: الرد على الاخواني، لابن تيمية، ص ٩٨-٩٩.

(٤) تقدم تحريجه في صفحة (٩٩).

(٥) انظر: الاستغاثة لابن تيمية، ٢٩١/١.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، ح (٤٣)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٧) أخرجه أبوداود في سننه رقم (٣١١٦). الإمام أحمد في المسند، ٥/٢٣٣. وابن منده في التوحيد، ق ٢/٤٨. وحسنه الألباني في إرواء الغليل رقم (٦٨٧).



وعن النبي ﷺ، أنه قال: « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا كانت نوراً لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحاً عند الموت »<sup>(١)</sup>.  
وهي الكلمة التي عرضها على عمه أبي طالب، قال: « يا عم ! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله »<sup>(٢)</sup>.

وهذا باب واسع، فلا يعرف في دين الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من الأولين والآخرين، ولا كتب رب العالمين أمراً أعظم من التوحيد، وهو أول الكلمات العشر التي في التوراة، ونظيرها الوصايا العشر التي في آخر سورة الأنعام<sup>(٣)</sup>.

وأهل التوحيد هم المستحقون للشفاعة يوم القيامة، كما ثبت في الصحيح، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: « يا رسول الله ! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، فقال ﷺ: يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه »<sup>(٤)</sup>.

ولما كان هذا النوع من أنواع التوحيد بهذه المنزلة الرفيعة، كانت الأدلة عليه كثيرة، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من أنواع التوحيد، كل الإفصاح وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث إن كل سورة في القرآن بل كل آية في القرآن، فهي داعية إلى هذا التوحيد، شاهدة به، متضمنة له، لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الصفات، فذلك مستلزم لهذا، متضمن له.

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم (١٣٨٦). وابن ماجه في السنن في كتاب الأدب (٢٣٩٥). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٠٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (١٣٦٠). ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ح (٣٩).

(٣) انظر: كتاب الاستغاثة، ٢٩١/١-٢٩٦. وانظر الآيات ٥١-٥٣ من سورة الأنعام.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ح (٩٩).

وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه أو أمر بأنواع من العبادات، ونهي عن المخالفات، فهذا هو توحيد الإلهية والعبادة، وهو مستلزم للنوعين الأولين، متضمن لهما أيضاً، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيد وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيد.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من الوبال، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد<sup>(١)</sup>.

وقد أقام الله تبارك وتعالى الحجج والبراهين في كتابه الحكيم مبيناً للمشركين ما هم عليه من الضلال المبين بصرفهم العبادة لغير الله رب العالمين، واتخاذهم آلهة لا تنفع ولا تضر ولا تُغني من الحق شيئاً، وقد تكررت هذه الحجج والأدلة في كتاب الله تعالى وتنوعت دلالتها، فمن تلك الأدلة:

#### ١ - الاستدلال بتوحيد الربوبية<sup>(٢)</sup>

وتوحيد الربوبية: هو: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه، وأنه المحي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطراب، الذي له الأمر كله ويده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار العلامة السعدي إلى أن للمنهج القرآني مسلكين في تقرير دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية:

(١) انظر: مدارج السالكين، ٤١٣/٣. وتيسير العزيز الحميد، ص ٣٨-٣٩.

(٢) انظر: القواعد الحسان، للسعدي، ص ١٥٩، ضمن المجموعة الكاملة. ودعوة التوحيد، لمحمد خليل هراس، ص ٣٥.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٣٣، وتجريد التوحيد المفيد، للمقرزي، ص ٤٣، وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ٢١/١. والقول المفيد على كتاب التوحيد، ١١/١-١٢.

أحدهما: دعوة العباد إلى ما تقرر في خاطرهم وعقولهم من أن الله تعالى المنفرد بالخلق والتدبير.

الثاني: دلالة أن الله تعالى هو المنفرد بعبادة النعم الظاهرة والباطنة<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال عكرمة<sup>(٣)</sup>: « فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم، وملكي إياكم، ونعمتي التي أنعمتها عليكم، فكذلك فأفردوا لي الطاعة، واخلصوا لي العبادة، ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي، فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني »<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ إِنْ إِلَهُكُمُ لِوَاحِدٍ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَشَارِقِ ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « وأقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته وإلهيته، وقرر توحيد ربوبيته، فقال: ﴿ إِنْ إِلَهُكُمُ لِوَاحِدٍ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ

(١) القواعد الحسان، ص ٢٣، ١٥٩. انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٥، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص ١٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١-٢٢.

(٣) هو أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس، عكرمة البربري، أصله من البربر، من علماء التابعين ومن المتبحرين بالتفسير، ووثقه سائر أئمة الحديث، قال ابن حجر: " ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذبه عن ابن عمر، ولا ثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة ١٠٧هـ -".

انظر: الجرح والتعديل، ٧/٧. وسير أعلام النبلاء، ١٢/٥. وهدي الساري مقدمة فتح الباري، ص ٤٤٦-٤٥١. وتقريب التهذيب، ص ٣٣٦.

(٤) أخرجه بسنده ابن جرير في تفسيره، ١/١٦٣.

(٥) سورة الصافات الآية: ٥.

المشارك ﴿ وهذا من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركاً له في ربوبيته، كما شاركه في إلهيته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذه قاعدة القرآن يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه معبوداً وحده بكونه خالقاً رازقاً وحده ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ بديع السموات والأرض أتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: « أيها الجاهلون إنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شيء وبارئهم وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة، فاعبدوه ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأمثال هذا الدليل كثيرة في كتاب الله تعالى، يذكر الله تبارك وتعالى أنه المتفرد بالخلق والتدبير، والمتفرد بالإنعام على خلقه، ولازم هذا أن يكون متفرداً بالألوهية، والمستحق لأن يفرد بالعبادة وحده دون ما يعبدون من غيره.

## ٢ - الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات:

سمى الله تبارك وتعالى نفسه بالأسماء الحسنى، ووصف نفسه بالصفات العليا التي لا يكون لها إلا من اتصف بها، وذلك لأن الإله يجب أن يكون كاملاً متصفاً بجميع صفات الكمال فإن النقص منافٍ للإلهية، فإذا ثبت اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء والصفات دل ذلك على تفرد الإلهية<sup>(٤)</sup>.

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠١-١٠٢.

(٣) جامع البيان، ٢٩٩/٥.

(٤) انظر: دعوة التوحيد، للدكتور محمد خليل هرأس، ص ٣٩.

قال العلامة السعدي رحمه الله: « ويدعوهم أيضاً إلى هذا الأصل - أي توحيد الألوهية - بما يمتدح به، ويثني على نفسه الكريمة، من تفرده بصفات العظمة والمجد، والجلال، والكمال وأن من له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك، أحق من أخلصت له القلوب والأعمال الظاهرة والباطنة »<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم سميّاً ﴾<sup>(٢)</sup>.  
قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « أي هل تعلم لله مسامياً ومشابهاً ومماثلاً من المخلوقين، وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل، أي: لا تعلم له مسامياً ولا مشابهاً، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنی »<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنی ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « فلما قرر كماله المطلق، بعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمته، وعلوه على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، نتج من ذلك، أنه المستحق للعبادة، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها

(١) القواعد الحسان، ص ٢٣، ضمن المجموعة الكاملة.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٩٨ وانظر: التدمرية، ص ٨، ومجموع الفتاوى، ٣/٤. وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١/٣٥٠. وشرح العقيدة الواسطية، للهراس، ص ١٣٠-١٣١.

(٤) سورة طه، الآيات: ٥-٨.

الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره باطلة»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو علم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحن الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يُسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأمثال هذا كثير في كتاب الله جل وعلا، يبين الله سبحانه أنه هو المستحق للعبادة دون ما يعبد من دونه، وأنه لا مثل له، ويبيّن ما اختص به من الأسماء الحسنى والصفات العليا الكاملة المنتفية عما يعبد من دونه.

٣- الاستدلال ببيان حال الآلهة التي تعبد من دون الله في الدنيا والآخرة وبيان فقدانها لصفات الكمال واتصافها بصفات النقص:

وهذا النوع من الأدلة يبيّن الله تبارك وتعالى فيه حال الآلهة التي تُعبد من دون الله، وأنها لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فضلاً عن أن تملك لغيرها، بل هي مربوبة مخلوقة لا تنفع ولا تضر ولا تستحق العبادة، وهذا النوع من الأدلة يُمكن حصره في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معرفة ما يُعبد من دون الله من المخلوقات وبيان نقصها من جميع الوجوه.

المسألة الثانية: تعجيز المسؤولين من دون الله.

المسألة الثالثة: الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث.

المسألة الأولى: معرفة ما يُعبد من دون الله من المخلوقات وبيان نقصها من

جميع الوجوه وفقدانها لصفات الكمال<sup>(٣)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٠٢.

(٢) سورة الحشر، الآيات: ٢٢-٢٤.

(٣) انظر: القواعد الحسان، ص ١٦٠، ضمن المجموعة الكاملة.

قال تعالى: ﴿أشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: « يقول تعالى ذكره: أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئاً من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءاً، أو أحلّ بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءاً نصر نفسه، ولا دفع ضرر عنها، وإنما العابد يعبد ما يعبد، لاجتلاب نفع منه، أو لدفع ضرر منه عن نفسه، وآلتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله، لا تنفعهم ولا تضرهم، بل لا تجلب إلى نفسها نفعاً، ولا تدفع عنها ضرراً، فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الشر عنها أبعده، يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطئ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم غيره»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: « يقول تعالى ذكره مقررًا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة ومعجبات أولي النهي منهم، ومنبئهم على موضع خطأ فعلهم، وذهابهم عن منهج الحق، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي، مسلوب العقل، واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له ملك السموات والأرض وحده، من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدره آلهة: يعني أصناماً بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئاً وهي تُخلق، ولا تملك لأنفسها نفعاً تجرّه إليها، ولا ضرراً تدفعه عنها ممن أرادها بضر، ولا تملك إماتة حي، ولا إحياء ميت، ولا نشره

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٩١-١٩٢.

(٢) جامع البيان، ٦/١٥٠.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣.

بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كل شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضر والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور»<sup>(١)</sup>.

المسألة الثانية: تعجيز المسئولين من دون الله<sup>(٢)</sup>:

قال تعالى: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فقد تهدد سبحانه من دعا شيئاً من دون الله وبين أنهم لا ملك لهم مع الله ولا شركاء في ملكه، وأنه ليس له عون ولا ظهير من المخلوقين، فقطع تعلق القلوب بالمخلوقات رغبة ورهبة وعبادة واستعانة، ولم يبق إلا الشفاعة وهي حق، لكن قال الله تعالى: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: « فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وابلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينفع بها عابده أو شريكاً لملكها أو ظهيراً أو معاوناً له أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده فإذا انتفت أسباب الشرك وانقطعت موارده فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة للمالك الحق فنفى شركتها له، فيقول المشرك قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً، فقال: " وما له من ظهير "، فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع فإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين فإن المشفوع عنده يحتاج إلى

(١) جامع البيان، ١٠/١٨١.

(٢) انظر: رسالة الشرك ومظاهره، لمبارك بن محمد المليبي، ص ١٩٣.

(٣) سورة سبأ، الآيات: ٢٢-٢٣.

(٤) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، ص ٢٢١.



الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها.  
وأما من كل ما سواه فقير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ما سواه فكيف  
يشفع عنده أحد بدون إذنه»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: « فله ما أحلى هذا اللفظ وأوجزه وأدله على بطلان  
الشرك، فإنهم إن زعموا أن آلهتهم خلقت شيئاً مع الله طولبوا بأن يروه إياه، وإن  
اعترفوا بأنها أعجز وأضعف وأقل من ذلك كانت آلهيتها باطلاً ومحالاً»<sup>(٣)</sup>.

وهذا كثير في كتاب الله تبارك وتعالى يبين الله سبحانه عجز الآلهة التي تعبد من  
دون الله، ويبين عجزها عن نفع نفسها فضلاً عن أنها تنفع غيرها.

المسألة الثالثة: الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث<sup>(٤)</sup>:

قد بين الله تبارك وتعالى أن الآلهة التي اتخذت من دونه تتبرأ من عابديها يوم  
القيامة، وتنقطع أسباب المودة بينهم ويلعن بعضهم بعضاً، ويكفر بعضهم ببعض.

قال تعالى: ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلاسكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم

ضداً ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر

بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الصواعق المرسله، ٢/٤٦١-٤٦٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١١.

(٣) الصواعق المرسله، ٢/٤٦٥.

(٤) انظر: منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، ١/١٢٠.

(٥) سورة مريم، الآيات: ٨١ - ٨٢.

(٦) سورة العنكبوت، الآيات: ٢٥.

قال تعالى: ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن سعدي رحمه الله: « يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض »<sup>(٢)</sup>.  
 ٤ - الاستدلال بضرب الأمثال<sup>(٣)</sup>:

وهذه الأمثال التي ضربها الله تبارك وتعالى في محكم كتابه على ألوهيته، واستحقاقه للعبادة دون ما يعبد من غيره، يجمعها أربعة أنواع، وهي<sup>(٤)</sup>:

١ - أمثال متعلقة بالمقارنة بين ألوهية الله تبارك وتعالى وبين الآلهة التي تُعبد من دونه

ومثال هذا النوع، قوله تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقته منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على موله أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي رحمه الله: « ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك، أي: رقيق لا يملك نفسه، ولا يملك من المال والدنيا شيئاً، والثاني حر غني قد رزقه الله منه رزقاً حسناً، من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان، فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستوي هذا وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما، فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٥-٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٧٩.

(٣) انظر: أعلام الموقعين، ١/٢٣٠.

(٤) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين لعبد الرحيم صمايل، ص ٣٧٨.

(٥) سورة النحل، الآيات: ٧٥-٧٦.

ولا قدرة، ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه، بالرب الخالق المالك لجميع الممالك، القادر على كل شيء !!؟»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: الحمد لله: أي الحمد الكامل لله خالصاً دون ما تدعون أيها القوم من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا دونها، وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾.

يقول: ما الأمر كما تفعلون، ولا القول كما تقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه، إنما الحمد لله، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك، فهم يجهلهم بما يأتون ويذرون يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - أمثال متعلقة بالمقارنة بين التوحيد والشرك:

قال تعالى: ﴿لم تركب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «قوله: " كلمة طيبة " شهادة أن لا إله إلا الله " كشجرة طيبة " وهو المؤمن " أصلها ثابت " يقول: لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن " وفرعها في السماء "، يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء»<sup>(٤)</sup>.

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها، فقال: " ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة " المأكل والمطعم، وهي: شجرة الحنظل<sup>(٥)</sup> ونحوها، " اجتثت " هذه الشجرة " من فوق الأرض ما لها من قرار "، أي: من ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٤٥.

(٢) انظر: جامع البيان، ١٤٩/٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ - ٢٦.

(٤) أخرجه بسنده ابن جرير في تفسيره، ٢٠٣/٨.

(٥) الحنظل هو: الشجر المر، لسان العرب، ٣٦٢/٣، مادة حنظل.

خبيث وعمل خبيث، يستضره صاحبه ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح، ولا ينفع نفسه ولا ينفع به غيره<sup>(١)</sup>.

### ٣- أمثال متعلقة بالمقارنة بين الموحّد والمشرِك:

قال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا مثل ضربه الله للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد.

يقول تعالى ذكره: ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء ﴾ يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيء الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ﴿ ورجلاً سلماً لرجل ﴾، يقول: رجلاً خلوفاً لرجل يعني المؤمن الموحّد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.

ثم قال: ﴿ الحمد لله ﴾: يعني الحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه، ثم قال: ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾، يعني: بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم يجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله تبارك وتعالى<sup>(٣)</sup>.

### ٤- أمثال متعلقة ببطلان عبادة آلهة المشركين:

قال تعالى: ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٢٥.

(٢) سورة الزمر الآية: ٢٩.

(٣) انظر: جامع البيان، ١٢/٢١٣-٢١٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

والمعنى أن مثل هؤلاء في دعائهم آهتهم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه فلا تنتفع من نعيقه بشيء لأنها لا تفقه غير أنه في دعاء ونداء، وكذلك حال المشرك ليس له من دعاء معبوده إلاّ التعب والعناء، وليس المراد تشبيه الأصنام بالغنم التي لا تسمع إلاّ الصوت دون فهم من كل وجه<sup>(١)</sup>.

فهذه الطرق التي لا تحصى أنواعها وأفرادها قد أبداها الله تبارك وتعالى في كتابه وأعادها، ونبه بها العباد على هذا المطلوب الذي هو أعظم المطالب وأجل الغايات، فمن سلك طريقاً من هذه الطرق أفضت به إلى العلم واليقين بأنه لا إله إلاّ هو، وكلما ازداد يقينه ورسخ إيمانه، كان الإيمان في قلبه أرسخ من الجبال، وأحلى من كل لذيد وأنفس من كل نفيس.

والطريق الأعظم الجامع لذلك كله تدبر القرآن العظيم والتأمل في آياته، فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجملة ما لا يحصل من غيره<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فإن الله تبارك وتعالى محمود على ألوهيته، وقد أكثر الله تبارك وتعالى في محكم كتاب من حمد نفسه على توحيد، وكل خير عاجل وآجل فإنه من ثمرات توحيد الله تبارك وتعالى وتحقيقه والتحقق به ويعرف حده وتفسيره، ويعرف حكمه ومرتبته، ويعرف آثاره ومقتضياته وشواهد أدلته، وما يقويه وينميه، وما ينقضه، وبشروطه ومكملاته، ويعرف نواقضه ومفسداته لأنه الأصل الأصيل الذي لا تصح الأصول إلاّ به فكيف بالفروع<sup>(٣)</sup>.

والله أعلم.

(١) انظر: أعلام الموقعين، ١/٢٣٧-٢٣٨. وبدائع التفسير، ١/٣٧٨. وتيسير الكريم الرحمن، ص ٨١.

(٢) انظر: تيسير اللطيف المتان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي، ص ١٩ ضمن المجموعة الكاملة.

(٣) انظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للسعدي، ص ٢٦٨

ضمن المجموعة الكاملة "العقيدة الإسلامية".

## الفصل الثاني

المواطن التي يتأكد فيها حمد الله تعالى  
مع بيان مناسبتها العقديّة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **حمد الله تعالى في الصلاة**

المبحث الثاني: **حمد الله تعالى في أوقات مخصوصة**

لقد سبق أن ذكرت أن حمد الله تعالى له فضائل عظيمة، وثمرات جليلة تعود على العبد بالنفع في دنياه وأخراه، وقد ذكرت الأدلة الدالة على فضائل الحمد من الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فحمد الله تعالى من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى.

فالعبد المسلم مطلوب منه حمد ربه تبارك وتعالى على كل حال وفي كل آن، في سرائه وفي ضرائه، إذ أن العبد يتقلب في نعم الله تبارك وتعالى، ونعم الله تعالى عليه تترى، وهو سبحانه خالق الخلق ورازقهم، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ودفع عنهم النعمة والمكاره، فليس بالعباد من نعمة إلا وهو مولياها، ولا يدفع الشر عنهم سواه، فهو سبحانه يستحق منهم الحمد والثناء في كل وقت وحين، كما أنه سبحانه يستحق الحمد لكامل صفاته، ولما له من الأسماء الحسنى والنعوت العظيمة التي لا تنبغي لأحد سواه، فكل اسم من أسمائه، وكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا (١).

والرسول عليه الصلاة والسلام قد حثّ أمته على حمد ربه تبارك وتعالى على كل حال وفي كل آن، وهناك أوقات معينة قد جاء فيها حثه ﷺ أمته على حمد ربه تبارك وتعالى، ولعل أعظم تلك الأوقات، وأجل المواطن هي أوجب ما يجب على العبد تجاه ربه تبارك وتعالى ألا وهي الصلاة، فالعبد يحمد ربه تبارك وتعالى عند استفتاح الصلاة، وعند دخوله في القراءة، وعند قيامه من الركوع، وعند السجود، وهناك أوقات أخرى خارج الصلاة يتأكد فيه حمد الله تبارك وتعالى، ولعلي في هذا الفصل أبين ما وقفت عليه من تلك المواطن التي يتأكد فيه حمد الله تبارك وتعالى، مع بيان مناسبتها العقدية، واستفتح تلك المواطن بذكر المواطن التي يحمد الله تعالى فيها وسط الصلاة فأقول وبالله التوفيق:

(١) انظر: دراسات في الباقيات الصالحات، للدكتور عبد الرزاق العباد، ص ٧٠، ضمن مجلة الجامعة

المبحث الأول  
حمد الله تعالى في الصلاة

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: حمد الله تبارك وتعالى في دعاء الاستفتاح للصلاة

المطلب الثاني: حمد الله تعالى في ركن القراءة

المطلب الثالث: حمد الله تعالى عند الرفع من الركوع

المطلب الرابع: حمد الله تعالى في الركوع والسجود



## توطئة:

« اشتملت الصلاة على حكم باهرة، ومصالح باطنة وظاهرة، ومنافع متصلة بالقلب والروح والبدن، والقوى التي لو اجتمع حكماء العالم قاطبة واستفرغوا قواهم وأذهانهم لما أحاطوا بتفاصيل حكمها، وأسرارها، وغاياتها المحمودة، بل انقطعوا كلهم دون أسرار الفاتحة، وما فيها من المعارف الإلهية، والحكم الربانية، والعلوم النافعة، والتوحيد التام، والثناء على الله بأصول أسمائه وصفاته، وذكر أقسام الخليفة باعتبارها غاياتهم ووسائلهم وما في مقدماتها وشروطها من الحكم العجيبة من تطهير الأعضاء والثياب والمكان، وأخذ الزينة، واستقبال بيته الذي جعله إماماً للناس، وتفرغ القلب لله، وإخلاص النية، وافتتاحها بكلمة جامعة لمعاني العبودية دالة على أصول الثناء وفروعه مخرجة من القلب الالتفات إلى ما سواه، والإقبال على غيره، فيقدم بقلبه الوقوف بين يدي عظيم جليل أكبر من كل شيء، وأجل من كل شيء بلا سبب، في كبرياته السماوات وما أظلت، والأرض وما أقلت، والعوالم كلها، عنته الوجوه، وخضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، قاهر فوق عباده، ناظر إليهم، عالم بما تكن صدورهم، يسمع كلامهم، جل ذكره وتبارك اسمه، وتعالى جده، وتفرد به بالإلهية.

ثم يأخذ العبد في الثناء عليه بأفضل ما يُثنى عليه به من حمده وذكر ربوبيته للعالم وإحسانه إليهم، ورحمته بهم، وتمجيده بالملك الأعظم في اليوم الذي لا يكون فيه ملك سواه حتى يجمع الأولين والآخرين في سعيد واحد ويُدينهم بأعمالهم.

ثم إفراده بنوعي التوحيد، توحيد ربوبيته استعانة به، وتوحيد إلهيته عبودية له. ثم سؤاله أفضل مسؤول، وأجلّ مطلوب على الإطلاق وهو هداية الصراط المستقيم الذي نصبه لأنبيائه ورسوله واتباعهم، وجعله صراطاً موصلاً لمن سلكه إليه وإلى جنته، وأنه صراط من اختصهم، بنعمته بأن عرفهم الحق وجعلهم متبعين له، دون صراط أمة الغضب<sup>(١)</sup> الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه، وأهل الضلال<sup>(٢)</sup> الذين ضلوا معرفته واتباعه.

(١) يُقصد بهم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم في سورة الفاتحة: ﴿غير المغضوب عليهم﴾.

(٢) يقصد بهم النصارى الذين قال الله تعالى فيهم في سورة الفاتحة: ﴿والضالين﴾.

فتضمنت تعريف الرب، والطريق الموصل إليه، والغاية بعد الوصول، وتضمنت الثناء والدعاء، وأشرف الغايات وهي العبودية، وأقرب الوسائل إليها وهي الاستعانة، مقدماً فيها الغاية على الوسيلة، والمعبود المستعان على الفعل، إيداناً لاختصاصه، وأن ذلك لا يصلح إلا له سبحانه.

وتضمنت ذكر الإلهية والربوبية والرحمة، فيثنى عليه ويعبد بإلهيته، ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويدبر الملك ويضل من يستحق الإضلال، ويغضب على من يستحق الغضب بربوبيته وحكمته، ويُنعم ويرحم ويجود ويعفو ويغفر ويهدي ويتوب برحمته.

فله كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد، وحقائق الإيمان. ثم يأخذ المصلي بعد ذلك في تلاوة ربيع القلوب، وشفاء الصدور، ونور البصائر، وحياة الأرواح، وهو كلام رب العالمين، فيحلُّ به في ما شاء من روضات مونقات<sup>(١)</sup>، وحدائق معجبات، زاهية أزهارها، مونقة ثمارها، قد ذلت قطوفها تذليلاً، وسهلت لمتناولها تسهلاً، فهو يجتني من تلك الثمار خيراً، يؤمر به، وشرأ ينهي عنه، وحكمة وموعظة، وتبصرة وتذكرة، وعبرةً وتقريراً لحق، ودحضاً لباطل، وإزالةً لشبهة، وجواباً عن مسألة، وإيضاحاً لمشكلة، وترغيباً في أسباب فلاح وسعادة، وتحذيراً من أسباب خسران وشقاوة، ودعوةً إلى هدى، ورداً عن رديء فتنزل على القلوب نزول الغيث على الأرض التي لا حياة لها بدونها، ويحل منها محلّ الأرواح من أبدانها. فأبي نعيم وقرّة عين، ولذة قلب، وابتهاج وسرور، لا يحل له في هذه المناجاة، والرب تعالى يسمع لكلامه، جارياً على لسان عبده، يقول حمدي

(١) الأنتق: حسن المنظر وإعجابه إياك، والأنتق الفرح والسرور، وأنقت الشيء أنقاً إذا أحببته، وتقول روضة أنيق ونبات أنيق، لسان العرب، ٢٤٠/١، مادة أنق.

عبدني، أثنى عليّ عبدني، ومجديني عبدني<sup>(١)</sup>.

ثم يعود إلى تكبير ربه عز وجل فيجد ربه عهد التذكرة كونه أكبر من كل شيء بحق عبوديته وما ينبغي أن يُعامل به.

ثم يرجع جاثياً له ظهره خضوعاً لعظمته وتذلاً لعزته واستكانة لجبروته، مسبّحاً بذكر اسمه العظيم، فنزهه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأ رأسه وطوى ظهره وربّه فوقه يرى خضوعه وذله، ويسمع كلامه، فهو ركن تعظيم وإجلال كما قال ﷺ: «أما الركوع فعظّموا فيه الرب»<sup>(٢)</sup>.

ثم عاد إلى حاله من القيام حامداً لربه مثنياً عليه بأكمله ومحامده وأجمعها وأعمها، مثنياً عليه بأنه أهل الثناء والمجد، ومعتزفاً بعبوديته، شاهداً بتوحيده، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وأنه لا ينفع أصحاب الجدود<sup>(٣)</sup> والأموال والحظوظ وجدودهم عنه ولو عظمت.

ثم يعود إلى تكبيره ويخر له ساجداً على أشرف ما فيه وهو الوجه فيعفره في التراب ذلاً بين يديه، ومسكناً وانكساراً وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى أطراف الأنامل ورؤوس الأصابع، وندب له أن يسجد معه ثيابه وشعره فلا يكفه، وأن يكون بعضه محمولاً على بعض، وأن يتأثر التراب بجهته، وينال قبل وجهة المصلي، ويكون رأسه أسفل ما فيه تكميلاً للخضوع والتذليل لمن له العز كله

(١) قطعة من حديث سبق تخريجه، ص (٢٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٧٩) في الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وأبو داود برقم (٨٧٦) في الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود، والنسائي، ١٨٩/٢، في الافتتاح، باب تعظيم الرب في الركوع.

(٣) أي أصحاب العظمة، وسيأتي معناها.

والعظمة كلها، وهذا أيسر من حقه على عبده، فلو دام كذلك من حين خلق إلى أن يموت لما أدّى حق ربه عليه.

ثم أمر أن يسبح ربه الأعلى<sup>(١)</sup> فيذكر علوه سبحانه في حالة سفوله هو، وينزّهه عن مثل هذه الحال، وإن من هو فوق كل شيء، عالٍ على كل شيء ينزّهه عن السفول بكل معنى، بل هو الأعلى بكل معنى من معاني العلو<sup>(٢)</sup>.

ولما كان هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره كان أقرب ما يكون الرب منه في هذا الحال، فأمر أن يجتهد في الدعاء لقربه من القريب المحيب<sup>(٣)</sup>، وقد قال تعالى: ﴿ واسجد واقرب ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) لما ثبت عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت: ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال صلى الله عليه وسلم: اجعلوها في سجودكم. أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٨٦٩) في الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده. وابن ماجه برقم (٩٨٧) في الصلاة، باب التسييح في الركوع والسجود.

(٢) علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، فعلو الذات هو أنه مسترٍ على عرشه، فوق جميع خلقه، مبين لهم، وهو مع هذا مطلع على أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأموالهم الظاهرة والباطنة، متكلم بأحكامه القدرية وتدابيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر فهو أن صفاته كلها صفات كمال، وله من كل وصف ونعت أكمله وغايته. وأما علو القهر فهو قهره تعالى لجميع المخلوقات، فالعالم العلوي والسفلي كلهم خاضعون لعظمته مفتقرون إليه في كل شؤونهم.

انظر: توضيح الكافية الشافية، لابن سعدي، ص ٣٧٧، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، كتاب العقيدة الإسلامية.

(٣) وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا الدعاء ». أخرجه مسلم في صحيحه (ح/٤٨٢). في الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود. وأبو داود في سننه برقم (٨٧٥) في الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود. والنسائي ٢/٢٢٦ في الصلاة، باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل.

(٤) سورة العلق الآية: ١٩.

وكان الركوع كالمقدمة بين يدي السجود والتوطئة له، فينتقل من خضوع إلى خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأنًا، وفصل بينهما بركن مقصود في نفسه يجتهد فيه بالحمد والثناء والتمجيد، وجعل بين خضوع قبله، وخضوع بعده، وجعل خضوع السجود بعد الحمد والثناء والمجد، كما جعل خضوع الركوع بعد ذلك.

فتأمل هذا الترتيب العجيب، وهذا التنقل في مراتب العبودية، كيف ينتقل من مقام الثناء على الرب بأحسن أوصافه وأسمائه وأكمل محامده إلى من له خضوعه وتذلل له هذا الثناء<sup>(١)</sup>.

فقد اشتملت الصلاة على اعظم الثناء على الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وعلى أكمل الحمد لله وتبارك وتعالى، وإني بصدد هذا المبحث سأتناول المواطن التي يتأكد فيها حمد الله تبارك وتعالى في الصلاة، وقد قمت بتقسيم هذا المبحث إلى مطالب أستفتحها بـ:

(١) انظر: شفاء العليل، ٢/١٦٦-١٦٩.

## المطلب الأول: حمد الله تبارك وتعالى في دعاء الاستفتاح للصلاة

أنواع الاستفتاح للصلاة ثلاثة، وهي أنواع الأذكار مطلقاً بعد القرآن، أعلاها ما كان ثناء على الله تبارك وتعالى ويليه ما كان خيراً من العبد عن عبادة الله تبارك وتعالى، والثالث ما كان دعاء للعبد.

فإن الكلام إما إخبار، وإما إنشاء، وأفضل الأخبار ما كان خيراً عن الله تعالى، والإخبار عن الله تعالى أفضل من الخبر عن غيره ومن الإنشاءات، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن<sup>(١)</sup>، لأنها تتضمن الخبر عن الله تعالى، وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن<sup>(٢)</sup>، لأنها خير عن الله تعالى.

وكذلك فإن سورة الفاتحة نصفين: نصفاً ثناء، ونصفاً دعاء، ونصف الثناء هو المقدم، وهو الذي لله عز وجل، وكذلك في حديث الشفاعة الصحيح قال ﷺ: « فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً، فأحمد ربي بمحامد يفتحها عليّ، لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع »<sup>(٣)</sup>. فبدأ بالحمد، حتى أذن له في السؤال فسأل.

وعن فضالة بن عبيد ﷺ قال: « سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي، فقال رسول ﷺ: عجل هذا، ثم دعاه، فقال له -أو لغيره-: إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد ربه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد ذلك بما شاء »<sup>(٤)</sup>.

وأيضاً فنوع الثناء أضافه الرب تبارك وتعالى إلى نفسه، ونوع السؤال أضافه إلى

(١) لما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم، وقالوا: أئنا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن ».

أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٥٠١٥. ومسلم برقم ٨١١ عن أبي الدرداء ﷺ.

(٢) لما أخرجه مسلم في صحيحه (٨١٠)، عن أبي بن كعب ﷺ.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٤٧).

(٤) تقدم تخريجه ص: (٩٠).

عبد، فقال: « إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال تبارك وتعالى: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثني عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال إياك نعبد ونستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل »<sup>(١)(٢)</sup>.  
إذا تبين هذا الأصل: فأفضل أنواع الاستفتاح ما كان ثناء محضاً مثل:  
« سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك »<sup>(٣)</sup>.

وقد تضمن هذا الاستفتاح ذكر الباقيات الصالحات<sup>(٤)</sup> التي هي أفضل بعد القرآن<sup>(٥)</sup>، وتضمن قوله: تبارك اسمك، وتعالى جدك وهما من القرآن أيضاً.  
ولهذا كان أكثر السلف يستفتحون به، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجهر به يعلمه الناس<sup>(٦)</sup>.

وبعد الخبر عن عبادة العبد، كقوله: « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض »<sup>(٧)</sup>. وهو يتضمن الدعاء.

(١) سبق تخريجه ص: (٢٣).

(٢) انظر مجموع الفتاوى، ٢٢/٣٧٦-٣٩٤.

(٣) انظر مجموع الفتاوى، ٢٢/٣٧٦-٣٩٤.

(٤) ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: « خذوا جنتكم »، قلنا: يا رسول الله من عدو قد حضر! قال: لا، بل جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنيهن يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات، وهن الباقيات الصالحات ».  
أخرجه الحاكم في المستدرک، ١/٥٤١. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني رحمه الله، صحيح الجامع رقم ٣٢١٤.  
(٥) تقدم تخريجه ص (٨٣).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة (٣٩٩)، قال النووي: « وهو مرسل يعني أن عبده وهو ابن أبي لبابة لم يسمع من عمر ». شرح النووي، ٤/٨٥.

ووصله عبد الرازق (٢٥٥٥ - ٢٥٥٧)، وابن أبي شيبة، ١/٢٣٠، وابن خزيمة (٤٧١)، وابن حزم في المحلى، ٢/١٣١، والحاكم في المستدرک، ١/٢٣٥، متصلاً وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، إرواء الغليل رقم (٣٤٠).

(٧) أخرجه، مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل، (٧٧١).

وبعد النوع الثالث كقوله: « اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ... » (١)(٢).

إذا تبين هذا فإن الاستفتاح للصلاة بالحمد قد جاء مطلقاً في جميع الصلوات، وقد جاء دعاء مخصوص بقيام الليل.

أما الأول: فقد ثبت من حديث عائشة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: « كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال: سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » (٣).

وقد اشتمل هذا النوع من أنواع الاستفتاح التي يستفتح بها للصلاة على معاني عظيمة مثبتة لله تبارك وتعالى، فهو مشتمل على إثبات صفات الكمال لله جل وعلا، وتنزيهه عن صفات النقص، وكذلك فهو مشتمل على أفضل الكلام بعد القرآن، « فإن أفضل الكلام بعد القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر » (٤). وقد تضمنها هذا الاستفتاح مع تكبيرة الإحرام (٥).

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب ما يقول بعد التكبير (٧٤٤)، ومسلم في المساجد، باب ما يقول بعد تكبيرة الإحرام (٥٩٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٢/٤٩٤-٣٩٥.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣/٥٠، والترمذي برقم (٢٤٢) في الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، وأبو داود (٧٧٥) في الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، والنسائي، ٢/١٣٢ في الصلاة، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة، وابن ماجه (٨٠٤) في الإقامة، باب افتتاح الصلاة. كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وسنده حسن، وأخرجه الترمذي من حديث عائشة (٢٤٣) في الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، وأبو داود (٧٧٦) في الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، وابن ماجه (٨٠٦) في الإقامة: باب افتتاح الصلاة، والدارقطني، ١/١١٢، والحاكم في مستدرکه، ١/٢٣٥، ورجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى في إرواء الغليل برقم (٣٤١)، ٢/٥٠.

(٤) تقدم تخريجه في ص (٨٣).

(٥) انظر: زاد المعاد في هدى خير العباد، ١/٢٠٥.



وقد اشتمل هذا الاستفتاح أيضاً على أحب الكلام إلى الله تعالى، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمده وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك »<sup>(١)</sup>.

أما معنى الحديث ففي قوله: « سبحانك اللهم وبحمدك ».

هذه جملة تتضمن التنزيه في قوله: « سبحانك اللهم »، والإثبات في قوله « وبحمدك »، فسبحان الله كلمة يحاشي الله تعالى بها عن كل ما يخالف كماله من سوء ونقص وعيب، فهو المنزه التنزيه التام، من كل وجه وبكل اعتبار، عن كل نقص متوهم<sup>(٢)</sup>. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال لله، فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه، وتحميده، وتكبيره، وتوحيده »<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: « ... ومعناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل »<sup>(٤)</sup>. ومعنى قوله: « سبحانك » أي تنزيه لك يا رب عن كل نقص، والنقص إما أن يكون في الصفات، أو في مماثلة المخلوقات، فصفاته التي يتصف بها منزه فيها عن كل نقص، يتصف بالعلم الكامل، وبالحياة الكاملة، وبالسمع الكامل، وبالبصر الكامل ... وهكذا جميع الصفات التي يتصف بها هو فيها منزه عن النقص، كذلك منزه عن أن يوصف بصفة نقص محضة مثل أن يوصف بالعجز، أو الظلم، أو ما أشبه ذلك، منزه عن مماثلة المخلوقات.

(١) أخرجه بإسناده ابن منده في كتاب التوحيد برقم (٧٠١) من حديث عبد الله بن مسعود به، وصححه

الألباني في إرواء الغليل ٥٣/٢.

(٢) انظر: شفاء العليل، ٨١/٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٢٥/١٦.

(٤) فتح الباري، ٢١٠/١١.

والتسبيح نوعان: تسبيح بلسان المقال، وتسبيح بلسان الحال.

أما التسبيح بلسان الحال، فهو عام: « وإن من شيء إلا يسبح بحمده »، وأما التسبيح بلسان المقال، فهو عام كذلك، لكن يخرج منه الكافر، فإن الكافر لم يسبح الله بلسانه، ولهذا يقول تعالى: ﴿ سبحن الله عما يشركون ﴾<sup>(١)</sup>.

فهم لم يسبحوا الله تعالى، لأنهم أشركوا به ووصفوه بما لا يليق به، فالتسبيح بلسان الحال يعني: أن حال كل شيء في السماوات والأرض تدل على تنزيه الله سبحانه وتعالى عن العبث وعن النقص، حتى الكافر إذا تأملت حاله، وجدتها تدل على تنزهه الله تعالى عن النقص والعيب.

وأما التسبيح بلسان المقال، فيعني: أن يقول: سبحان الله<sup>(٢)</sup>.

وأما قولهم: " اللهم "، فلا خلاف أن هذه اللفظة معناها " يا الله "، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يُقال: اللهم غفور رحيم، بل يُقال: اللهم اغفر لي وارحمني<sup>(٣)</sup>.

وقوله: « سبحانك اللهم وبحمدك » تفيد معنى المعية، يعني: نزهتك تنزيهاً مقروناً بالحمد<sup>(٤)</sup>.

وقوله: « وتبارك اسمك »، لفظ: « تبارك » لم يرد في كتاب الله تعالى إلا مسنداً إلى الله، وهي صيغة مفيدة أعظم أنواع معنى البركة، وأكثرها نفعاً، وأعمها متعلقاً وأثراً.

(١) سورة الحشر الآية: ٢٣.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١/٣٦٠-٣٦١.

(٣) انظر: جلاء الأفهام، ص ٢٣٦. وشرح التصريح على التوضيح، للأزهري، ١٧٢/٢، وشرح ابن عقيل

على ألفية ابن مالك، ٢/٢٤١. وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، ٣٠/٤. وشرح

الأشموني على الألفية، ٣/١٤٦.

(٤) انظر: الشرح الممتع، ٣/٥٧.

ومن تدبر كتاب الله تعالى وجد أنه يدل على أن البركة من الله، وتطلب من الله سبحانه وتعالى وحده، وهو يضعها فيمن شاء من خلقه، وفي ما شاء من بريته<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ

الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال ابن قتيبة: «تبارك اسمك: تفاعل من البركة، كما يُقال: (تعالى اسمك) من العلو يراد به أن البركة في اسمك، وفيما سُمّي عليه»<sup>(٧)</sup>.

فقوله يراد به أن البركة في اسمك، وفيما سمي عليه، يدل على أن ذلك صفة لمن تبارك، فإن بركة الاسم تابعة لبركة المسمى، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٨)</sup>، دليلاً على أن الأمر بتسبيح الرب بطريق الأولى، فإن تنزيه الاسم من توابع تنزيه المسمى<sup>(٩)</sup>.

والبركة نوعان: أحدهما: بركة هي فعلة تبارك وتعالى، والفعل منها برك، والمفعول منها مبارك، وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى.

(١) انظر: كتاب هذه مفاهيمنا، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ص ٢٠١-٢٠٢. والتبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص ٣٣-٣٨.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٥٤.

(٣) سورة الفرقان الآية: ١.

(٤) سورة الفرقان الآية: ٦١.

(٥) سورة المؤمنون الآية: ١٤.

(٦) سورة الرحمن الآية: ٧٨.

(٧) غريب الحديث، ١/١٦٩. وانظر له: تفسير غريب القرآن، ٣١٠، وتأويل مشكل القرآن، ص ٢٥٥.

(٨) سورة الحاقة الآية: ٥٢.

(٩) انظر: مجموع الفتاوى، ٦/١٩٨-١٩٩. وجلاء الأفهام، ص ٤٣٦. والشرح المتع، ٣/٥٧-٥٨.

ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، للتميمي، ص ٣٧٨.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزّة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يُقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلاّ له عز وجل، فهو سبحانه المبارك وعبد المبارك كما قال المسيح: ﴿وجعلني مباركا أينما ما كنت﴾<sup>(١)</sup>، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «وتعالى جدك» أي ارتفعت عظمتها، وجلّت فوق كل عظمة، وعلا شأنه على كل شأن، وقهر سلطانه على كل سلطان، فتعالى جده أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته، أو في إلهيته، أو في أفعاله، أو في صفاته، كما قال مؤمن الجن: ﴿وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾<sup>(٣)</sup>، فكم في هذه الكلمات من تجلٍ لحقائق الأسماء والصفات على قلب العالم بها، غير المعطل لحقائقها<sup>(٤)</sup>.

وقوله: «لا إله غيرك»، هذه هي كلمة التوحيد التي أرسل بها جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحى إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون﴾<sup>(٥)</sup>.

وكلمة لا إله إلاّ الله، نفي وإثبات، نفي للعبادة بحق عن غير الله كائناً من كان، وإثبات العبادة لله وحده بالحق، كما قال جل وعلا عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه: ﴿إني براء مما تعبدون إلاّ الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾<sup>(٦)</sup>، وقال سبحانه: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءوا منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة مريم الآية: ٣١.

(٢) انظر: بدائع الفوائد ١/٤٢٤-٤٢٥.

(٣) سورة الجن الآية: ٣.

(٤) انظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم، ص ١٧١-١٧٢. وانظر: جامع البيان عن تأويل أي

القرآن، ١٤/١٠٤-١٠٥. ومجموع الفتاوى، ١٦/١٢٠. والشرح الممتع، لابن عثيمين، ٣/٥٨-٥٩.

(٥) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٦) سورة الزخرف الآية: ٢٦-٢٨.

(٧) سورة الممتحنة الآية: ٤.

وهذا قول الرسل جميعاً لأن قوله سبحانه: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾، يعني به الرسل جميعاً، وهم الذين معه من أولهم إلى آخرهم، ودعوتهم دعوته، وكلمتهم هي البراءة من عبادة غير الله سبحانه وتعالى، من المعبودين من دون الله الذين رضوا بالعبادة لهم ودعوا إليها<sup>(١)</sup>.

فتأمل كيف اشتمل هذا الاستفتاح الذي كان يستفتح به النبي ﷺ صلواته على نوعي الثناء، أعني ثناء التسييح والتنزيه، وثناء الحمد والتمجيد بأبلغ لفظ وأوجزه وأتمه. فإذا قال العبد: « سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك »، شاهد بقلبه رباً منزهاً عن كل عيب، سالماً من كل نقص، محموداً بكل حمد، فحمده يتضمن وصفه بكل كمال، وذلك يستلزم براءته من كل نقص، تبارك اسمه، فلا يذكر على قليل إلاّ كثره، ولا على خير إلاّ أمناه وبارك فيه، ولا على آفة إلاّ أذهبها، ولا على شيطان إلاّ رده خاسئاً داحراً.

وكمال الاسم من كمال مسماه، فإذا كان شأن اسمه الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء، فشأن المسمى أعلى وأجل<sup>(٢)</sup>.

فقد اشتمل هذا الاستفتاح على أصول التوحيد، وإثبات الكمال لله تبارك وتعالى، واستحقاقه للعبودية وحده لا شريك له وتنزيهه عن النقص ومماثلة المخلوقات.

أما الثاني: أي النوع الثاني من أنواع الاستفتاحات التي كان النبي ﷺ يستفتح فيها بحمد ربه تبارك وتعالى، فقد كان ﷺ يخصه بأشرف نافلة وأجل قرينة ألا وهي قيام الليل، فقد كان يستفتح تمجده لربه تبارك وتعالى بإثبات المحامد لله تبارك وتعالى على ما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العليا.

(١) انظر: حول معنى لا إله إلاّ الله، لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز ابن عبد الله بن باز رحمه الله، ص

(٢) انظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها، ص ١٧١.

فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان النبي ﷺ يدعو من الليل<sup>(١)</sup>: اللهم لك الحمد، أنت رب السماوات والأرض، لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض، قولك الحق، وعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله لي غيرك »<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث حديث عظيم دال على إثبات أنواع التوحيد الثلاثة وإثبات المعاد وتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: « وفي هذا الحديث ما كان عليه رسول الله ﷺ من المداومة على قيام الليل، والإحبات عند قيامه والدعاء والتضرع والإخلاص، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله والإقرار بوعدده ووعيده والتسليم والابتهاج، وفيه ﷺ الأسوة الحسنة فطوبى لمن وفق وأعين على ذلك »<sup>(٣)</sup>.

وقوله: « اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض »، أي أنت مالكما ومن فيهما، والمتصرف بهما بمشيئتك، وأنت موجدتهما من العدم، فالملك لك، وليس لأحد معك اشتراك أو تدبير، تباركت وتعاليت<sup>(٤)</sup>.

والرب له ثلاث معان هذا أحدهما وهو بمعنى المالك، وله معنيين آخرين.

(١) وهذا الدعاء يقوله في دعاء الاستفتاح بعد أن يُكبر كما بينه ابن خزيمة رحمه الله قال: " باب ذكر الدليل على أن النبي ﷺ كان يحمد بهذا التحميد بعد أن يكبر "، ثم ساق بالسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام للتهجد قال بعد ما يكبر: اللهم ربنا لك الحمد... ". انظر: صحيح ابن خزيمة، ١٨٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٣٨٥، ٧٤٤٢، ٧٤٩٩). ومسلم (٧٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) التمهيد، ١٢ / ١٨٩-١٩٠.

(٤) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان، ١٧٠/١.

قال ابن الأنباري<sup>(١)</sup>: « الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، قال الله تعالى: ﴿ فيسقى ربه خمراً ﴾<sup>(٢)</sup>، أي سيده، ويكون الرب المصلح ربّ الشيء إذا أصلحه<sup>(٣)</sup>.

فهذه ثلاثة أصول ترجع إليها كلمة الرب، وقد يتصرف أيضاً معنى الرب، في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة.

فربنا جل ثناؤه، السيد الذي لا شبه له، ولا مثل له في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما اسبغ عليهم من نعمة، والمالك الذي له الخلق والأمر<sup>(٤)</sup>.

والرب سبحانه له الحمد التام الكامل على ربوبيته، وله الحمد التام على كمال

ملكه قال تعالى: ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: « لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن »، القيم والقيوم والقيام<sup>(٦)</sup> كلها مبالغات في القائم وزيادة<sup>(٧)</sup>.

(١) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري الإمام المقرئ والنحوي، وُلِدَ سنة ٢٧٢هـ، وصفه الخطيب بأنه كان ديناً ومن أهل السنة، توفي سنة ٣٠٤هـ. انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ١/٢٢٥. وسير أعلام النبلاء، ١٥/٢٧٤.

(٢) سورة يوسف الآية: ٤١.

(٣) انظر: لسان العرب، ٥/٩٥ مادة رب، وتاج العروس، ١/٢٦١، مادة رب.

(٤) انظر: جامع البيان، ١/٦٢.

(٥) سورة سبأ الآية: ١.

(٦) وقد صحت القراءة بالقيوم والقيام في كلام الله عز وجل، والقراءة بالقيوم قراءة متواترة، وأما القيام فهي رواية شاذة قرأ بها عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، والأعمش، وابن أبي بلبه، وعلقمة ابن قيس في إحدى الروايات، وبلفظ القيم قرأ علقمة بن قيس في الرواية الأخرى عنه وأبو رزين ونسبها الكرمانى لابن مسعود. انظر: المحرر الوجيز، ٢/٢٧٤. وزاد المسير، ١/٣٠٢. الجامع لأحكام القرآن، ٣/٢٧٢. والمختصب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جنى، ١/١٥١. وإيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشر، للقباقبي، ص ٢٣٧.

(٧) انظر: تفسير آيات أشكلت، لابن تيمية، ١/٤٢١.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: « فقيام وقيوم وقيم بمعنى واحد وهو الدائم الذي لا يزول وقيام فيعال، وقيوم فيعول، وقيم فيعل »<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله: « القيوم القائم برزق ما خلق وحفظه »<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فاسمه سبحانه القيوم يقتضي الدوام والثبات والقوة، ويقتضي الاعتدال والاستقامة، وقد وصف نفسه بأنه قائم بالقسط<sup>(٣)</sup>، وأنه على صراط مستقيم<sup>(٤)</sup> »<sup>(٥)</sup>.

فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته<sup>(٦)</sup>.

فهو سبحانه مستحق لأكمل الحمد لكمال غناه عن جميع خلقه فلا يفتقر إلى شيء أصلاً في وجوده، ولا في بقائه، ولا فيما اتصف به من كمال، وهو المستحق لأكمل الحمد لقيامه بتدبير خلقه، فكل شيء في هذا الوجود مفتقر إليه فقراً ذاتياً أصيلاً لا يمكن أن يستغني عنه في لحظة من اللحظات.

وقوله: « لك الحمد أنت نور السموات والأرض ».

النور يُضاف إلى الله تعالى على أحد وجهين:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « والنور يُضاف إليه سبحانه على أحد وجهين:

إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله.

(١) التمهيد، ١٢/١٩١.

(٢) جامع البيان، ٣/٥.

(٣) قال تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ سورة آل عمران الآية: ١٨.

(٤) قال تعالى: ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾، سورة هود آية: ٥٦.

(٥) تفسير آيات أشكلت، ١/٤٢٢.

(٦) انظر: أسماء الله الحسنى، لابن القيم، ص ٢٢٦، جمع يوسف بدوي وأمين عبد الرزاق، شرح القصيدة

النونية، للهراس، ١١١/٢-١١٢.



فالأول: كقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ... ﴾<sup>(١)</sup> ، فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف في تفسير الضمير في نوره، فقيل: هو النبي ﷺ أي مثل نور محمد ﷺ، وقيل: هو المؤمن أي مثل نور المؤمن، والصحيح أنه يعود على الله عز وجل، أي مثل نور الله سبحانه وتعالى في قلب عبده، وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ، فهذا النور يُضاف إلى العبد إذا هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل<sup>(٣)</sup>.

فالحاصل أن النور اسم من أسمائه جل جلاله ومن أوصافه النور الذي هو وصفه العظيم، فإنه ذو الجلال والإكرام، وذو البهاء والهيبة والسبحات الذي لو كشف الحجاب عن وجهه الكريم لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه<sup>(٤)</sup>، وهو الذي استنارت به العوالم كلها فبنور وجهه أشرفت الظلمات، واستنار به العرش والكرسي والسبع الطباق وجميع الأكوان<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله:

والنور من أسمائه أيضاً ومن أوصافه سبحان ذي البرهان  
قال ابن مسعود كلاماً حكا الدارمي عنه بلا نكران

(١) سورة الزمر الآية: ٦٩.

(٢) سورة النور الآية: ٣٥.

(٣) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٤٤-٥٠، وانظر: مجموع الفتاوى، ٦/٣٧٩-٣٩٦.

(٤) إشارة إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع

كلمات، فقال: « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره

من خلقه » أخرجه مسلم في صحيحه، (١٩٣)، وأحمد في مسنده، ٤/٤٠٥، وابن ماجه رقم ١٩٥.

(٥) انظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، للسعدي، ص ٢٦٠، ضمن المجموعة الكاملة.

ما عنده ليل يكون ولا نهار  
 نور السماوات العلى من نوره  
 من نور وجه الرب جل جلاله  
 فيه استنار العرش والكرسي مع  
 وكتابه نور كذلك شرعه  
 وكذلك الإيمان في قلب الفتى  
 وحجابه نور فلو كشف  
 وإذا أتى للفصل يشرق نوره  
 وكذلك دار الرب جنات العلى  
 قلت تحت الفلك يوجد دان  
 والأرض كيف النجم والقمران  
 وكذا حكاة الحافظ الطبراني  
 سبع الطباق وسائر الأكوان  
 نور كذا المبعوث بالقرآن  
 نور على نور مع القرآن  
 لأحرق السبحات للأكوان  
 في الأرض يوم قيامة الأبدان  
 نور تلاً لليس ذا بطلان<sup>(١)</sup>

فهذا الحديث العظيم الذي كان النبي ﷺ يستفتح به قيام الليل تضمن ثلاثة أمور شاملة عامة للسماوات والأرض.

وهي ربوبيتها، وقيومتها، ونورها.

فكونه سبحانه رباً لهما، وقيوماً لهما، ونوراً لهما أوصاف له تعالى، وآثار هذه

الأمور قائمة بهما.

فأثر الربوبية: الخلق والإيجاد، وأثر القيومية: صلاحهما وانتظامهما، وأثر نوره

تعالى استنارة السماوات، وإشراق الأرض بنوره يوم القيامة.

وأما صفة الربوبية، والقيومية، والنور فهي قائمة به تعالى<sup>(٢)</sup>.

فالله تبارك وتعالى مستحق للحمد على كمال اتصافه بهذه الأوصاف.

قوله: « وقولك الحق »، أي أنت قلته حقاً، فهو صفتك، وما قاله الله تعالى فهو

(١) القصيدة النونية، ص ٢٤٩.

(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان، ١/١٧٦.

صدق وحق، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، ولا في خبره، ولا في حكمه وتشريعه، ولا في وعده ووعيده<sup>(١)</sup>.

« فوصف قوله سبحانه بأنه الحق فلا يجوز أن يكون مخلوقاً ومعلوم أن الإيمان الذي جاءت به الرسل عن الله تعالى وجاء به خاتم النبيين مُصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، وهو أن القرآن والتوراة والإنجيل كلام الله، وإن كلام الله لا يكون مخلوقاً منفصلاً عنه، كما لا يكون كلام المتكلم منفصلاً عنه، فإن هذا جحود لكلامه الذي هو رسالته، ودفع لحقيقة ما أنبات به الرسل وعلمته أمهم، وإلحاد في أسماء الله وآياته، وتمثيل له بالمعدوم والموات، فإن الحياة والعلم والقدرة والكلام ونحو ذلك صفات كمال. والرب تعالى أحق بكل كمال، فيمتنع أن يثبت للمخلوق كمال إلا والخالق أحق به، كما يمتنع أن يتنزه المخلوق عن نقص إلا والخالق أحق بتنزهه منه، كيف وهو خالق الكمال للكاملين»<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارِفُ قَالَوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفلا يرونَ ألا يَرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجعل نفي صفة الكلام موجباً لبطلان الإلهية، وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية، أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً، ولا مدبراً، ولا رباً، بل هو مذموم، معيب ناقص، ليس له الحمد، لا في الأولى، ولا في الآخرة، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال، التي لأجلها استحق الحمد<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان، ١/١٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٢/٣٥٥-٣٥٦.

(٣) سورة طه الآية: ٨٨.

(٤) انظر: مدارج السالكين، ١/٣٢.

وقوله: « وعدك الحق »، أي لا محالة من وقوعه، على ما وعدت، فلا خلف فيه ولا تبديل<sup>(١)</sup>.

وقوله: « ولقاؤك حق » أي لا بد للعباد من ملاقاتك، فتجازيهم على أعمالهم، واللقاء قد فسره طائفة من السلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة، وقالوا إن لقاء الله تعالى يتضمن رؤيته سبحانه، واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ الغنيمان: « فلقاؤه غير وعده، وغير جزاءه، الذي هو الجنة والنار ». فدل على أن تفسير لقائه بثوابه أو نحو ذلك تفسير باطل، لم يدل عليه لا كتاب ولا سنة، بل الأدلة من الكتاب والسنة تبين بطلانه. وبذلك يتبين أن لقاءه تعالى يتضمن رؤيته، ومعاينته، وهذا ما قاله السلف، وهو واضح<sup>(٣)</sup>.

وقوله: « والجنة حق والنار حق »، أي ثابتان موجودتان مخلوقتان، لا تفتيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له<sup>(٤)</sup>.

وقوله: « والساعة حق »، قال الحافظ ابن حجر: « أي يوم القيامة، وأصل الساعة القطعة من الزمان، وإطلاق اسم الحق على ما ذكر من الأمور معناه أنه لا بد من كونها، وأنها مما يجب أن يصدق بها، وتكرار لفظ حق للمبالغة في التأكيد<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد، للغنيمان، ١٧٧/١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٤٦٢/٦.

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ١٥٠/٢.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٠.

(٥) فتح الباري، ٤/٣.

وقوله: « اللهم لك أسلمت »، أي انقدت لأمرك ونهيك<sup>(١)</sup>.

وقوله: « وبك آمنت » أي صدقت بك وبما أنزلت<sup>(٢)</sup>.

وقوله: « وعليك توكلت »، أي الاعتماد على الله والثقة به، والإيمان بأنه مقدر

الأشياء ومدبر الأمور كلها، مع النظر في الأسباب العادية من العبد وقيامه بها<sup>(٣)</sup>.

وقوله: « وإليك أنبت » أي رجعت إليك في تدبير أمري<sup>(٤)</sup>.

وقوله: « وبك خاصمت » أي بما أعطيتني من البرهان، وبما لقتني من الحججة<sup>(٥)</sup>.

فالرسل إنما خاصموا قومهم بالوحي وإليه حاكموهم، وبه كانت لهم عليهم

الحجة البالغة<sup>(٦)</sup>.

وقد حكم الله سبحانه وتعالى بين خصمائه وبين من خاصمهم فيه أحسن

الحكومة وأعدلها، وهي حكومة حمده عليها الفريقان كما يحمده عليها أهل

السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم

ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما

أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾<sup>(٧)</sup>.

ثم حكم لخصومهم الذين خاصموا به، وله فقال: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعموا

الصالحات جنت تجري من تحتها الأنهر يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وهدوا

(١) انظر: إرشاد الساري، بشرح صحيح البخاري، ١٦٨/٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: تعليق الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى على فتح الباري ٤/٣.

(٤) فتح الباري، ٤/٣.

(٥) المصدر السابق ٤/٣.

(٦) انظر: الصواعق المرسله، ١٣٨٨/٤.

(٧) سورة الحج، الآيات: ١٩-٢٢.

إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴿١﴾ «(٢)».

وقوله: « وإليك حاکمت » أي كل من أبي قبول الحق، أو جحدته حاکمته إليك وجعلتك حكم بيني وبينه.

وقدم صلوات هذه الأفعال كلها لإيراد التخصيص والحصر أي أخصك يا رب وحدك فيما ذكر، ولا أعدوا ذلك بحال من الأحوال<sup>(٣)</sup>.

فإنه تبارك وتعالى كما أنه معبود لصفات كماله وأفعاله ولما يوجد ويعطي ويمنح فكذلك هو محمود سبحانه لأنه يعيد عباده وينصرهم ويغيثهم.

وهو سبحانه كما أنه يجب أن يلوذ به أولياؤه، يجب أن يعودا به<sup>(٤)</sup>.

وقوله: « فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت إلهي لا إله لي غيرك ».

فقدم الدعاء وختمه بالتوحيد<sup>(٥)</sup> وحققة الأمر أن العبد فقير إلى الله تبارك وتعالى بكل وجه وبكل اعتبار فهو فقير إليه من جهة ربوبيته له، وإحسانه إليه، وقيامه بمصالحه وتدبيره له.

وفقير إليه من جهة إلهيته وكونه معبوده وإلهه ومحجبه الأعظم الذي لا صلاح له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون أحب شيء إليه، فيكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله ووالده وولده ومن الخلق كلهم.

وفقير إليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء، فإنه إن لم يعافه منها هلك ببعضها، وفقير إليه من جهة عفوه عنه، ومغفرته له، فإنه إن لم يعف عن العبد ويغفر له فلا سبيل له إلى النجاة، فما نجي أحد إلا بعفو الله، ولا دخل الجنة إلا برحمة الله.

(١) سورة الحج الآيات: ٢٣-٢٤.

(٢) انظر: الصواعق المرسله، ٤/١٣٨٦-١٣٨٧.

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان، ١/١٨١.

(٤) انظر: شفاء العليل، ٢/١٩١.

(٥) انظر: كتاب تفسير الآية الكريمة لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين، لابن تيمية ص ٤٥.

فحاجتهم إلى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم إلى حفظه وكلاءته ورزقه، فإن لم يحفظهم هلكوا، وإن لم يرزقهم هلكوا وإن لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث العظيم ذكر التوسل إلى الله تبارك وتعالى بحمده والثناء عليه وبعبوديته، ثم سأله مغفرته<sup>(٢)</sup>.

فقد اشتمل هذا النوع من أنواع الاستفتاحات الذي كان يخصه ﷺ بقيام الليل على إثبات المحامد لله تبارك وتعالى على أسمائه الحسنى وصفاته العلى وربوبيته لخلقه، وألوهيته لهم فله الحمد الكامل المطلق على ذلك كله.

(١) انظر: شفاء العليل، ١/٣٠٤-٣٠٥.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ١/٣١١.

## المطلب الثاني: في حمد الله تعالى في ركن القراءة

سبق في المطلب السابق تبين ما يتعلق بدعاء الاستفتاح، وأن الرسول ﷺ ابتدأه بحمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده، وفي هذا المطلب أتعرض إلى موطن آخر من المواطن التي يتأكد فيها حمد الله تعالى في الصلاة، وهذا الموطن هو ركن من أركان الصلاة.

فقد كان النبي ﷺ يفتح قراءته بفاتحة الكتاب، وهي أعظم سورة في القرآن<sup>(١)</sup>، وسميت فاتحة لأنه افتتح بها المصحف في الكتابة، ولأنها تفتح بها الصلاة في القراءة، والفاتحة هي أم القرآن، وذلك لأن جميع مقاصد القرآن موجودة فيها، فهي مشتملة على التوحيد بأنواعه الثلاثة، وعلى إثبات الرسالة، وعلى إثبات اليوم الآخر، وعلى طرق الرسل ومخالفهم، وجميع ما يتعلق بأصول الشرائع موجود في هذه السورة، ولهذا تسمى أم القرآن، وتسمى السبع المثاني، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، وقد خصها الله تعالى بالذكر في قوله: ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وعطف القرآن عليها من باب عطف العام على الخاص.

والفاتحة ركن من أركان الصلاة، فلا تصح الصلاة بدونها لقول النبي ﷺ: « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »<sup>(٤)</sup>.

(١) لحديث أبي سعيد الملقى قال: « كنت أصلي، فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، قلت: يا رسول الله كنت أصلي، قال ألم يقل الله: ﴿ استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾؟ ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت لأعلمك أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » أخرجه البخاري في صحيحه في فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب (٥٠٠٦).

(٢) للحديث السابق.

(٣) سورة الحجر الآية: ٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم (ح/٧٥٦)،



وقوله ﷺ: « كل صلاة لا يقرأ فيها بفتحة الكتاب فهي خداج »<sup>(١)</sup>، أي: فاسدة<sup>(٢)</sup>.

وقد قسم اله تبارك وتعالى الصلاة بينه وبين عبده نصفين كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أنتى علي عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلى عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبي، ولعبي ما سأل »<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: « فهذا الحديث يدل على أن الله تعالى يستمع لقراءة المصلي حيث كان مناجياً له، ويرد عليه جواب ما يناجيه به كلمة كلمة، فأول الفاتحة حمد، ثم ثناء، وهو تثنية الحمد وتكريره، ثم تمجيد وهو الثناء على الله بأوصاف المجد والكبرياء والعظمة، ثم ينتقل العبد من الحمد والثناء والتمجيد إلى خطاب الحضور فخطب خطاب الحاضرين فقال: إياك نعبد وإياك نستعين »<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « فإذا قال: الحمد لله رب العالمين وقف هنيهة

ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (ح/٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة: (ح/٣٩٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين، ٨٢/٣.

(٣) سبق تخريجه، انظر صفحة (٢٣).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب، ١٠٢/٧-١٠٣.

يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله: حمدي عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، انتظر الجواب بقوله: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، انتظر جوابه: يمجدني عبدي، فيا لذة قلبه، وقرّة عينه، وسرور نفسه بقول ربه: عبدي، ثلاث مرات! فو الله لو لا ما على القلوب من دخان الشهوات، وغيم النفوس، لاستطارت فرحاً وسروراً بقول ربها وفاطرها ومعبودها: حمدي عبدي، وأثنى عليّ عبدي. ثم يكون لقلبه مجال من شهود هذه الأسماء الثلاثة التي هي أصول الأسماء الحسنى، وهي الله، الرب، والرحمن، فشاهد قلبه من ذكر اسم الله تبارك وتعالى إلهاً، معبوداً، موجوداً، مخوفاً، لا يستحق العبادة غيره، ولا تنبغي الألوهية إلا له، قد عنت له الوجوه، وخضعت له الموجودات، وخشعت له الأصوات: ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ وله من في السموات والأرض كل له قانتون ﴾<sup>(٢)</sup>، وكذلك خلق السموات والأرض وما بينهما، وخلق الجن والإنس، والطير والوحوش، والجنة والنار، وكذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وألزم العباد الأمر والنهي.

وشاهد من ذكر اسمه ﴿ رب العالمين ﴾ قيوماً قام بنفسه، وقام به كل شيء، فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها، قد استوى على عرشه، وتفرد بتدبير ملكه، فالتدبير كله بيديه، ومصير الأمور كلها إليه، فمراسيم<sup>(٣)</sup> التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب، وإغاثة الملهوفين، وإجابة المضطرين: ﴿ يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾<sup>(٤)</sup>. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما

(١) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٢) سورة الروم الآية: ٢٦.

(٣) أي أثر التدبيرات، لسان العرب، ٢١٥/٥.

(٤) سورة الرحمن الآية: ٢٩.

منع، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مبدل لكلماته تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال أول النهار وآخره عليه، فيقدّر المقادير، ويوقّت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائماً بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه.

ثم يشهد عند ذكر اسم ﴿ الرحمن ﴾ جل جلاله ربّاً محسناً إلى خلقه بأنواع الإحسان، متحبباً إليهم بصنوف النعم، وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأوسع كل مخلوق نعمة وفضلاً، فوسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته كل حي، فبلغت رحمته حيث بلغ علمه، فاستوى على عرشه برحمته، وخلق خلقه برحمته، وأنزل كتبه برحمته، وأرسل رسله برحمته، وشرع شرائعه برحمته، وخلق الجنة والنار برحمته... فالرحمة هي السبب المتصل منه بعباده، كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به، فمنهم إليه العبودية، ومنه إليهم الرحمة، ومن أخص مشاهد هذا الاسم، شهود المصلي نصيبه من الرحمة، الذي أقامه بها بين يدي ربه، وأهله لعبوديته ومناجاته، وأعطاه ومنع غيره، وأقبل بقلبه وأعرض بقلب غيره، وذلك من رحمته به.

فإذا قال: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ فهذا شهد المجد الذي لا يليق بسوى الملك الحق المبين، فيشهد ملكاً قاهراً، قد دانت له الخليقة، وعنت له الوجوه، وذلت لعظمته الجبابرة، وخضع لعزته كل عزيز، فيشهد بقلبه ملكاً على عرش السماء مهيمناً، لعزته تغفر الوجوه وتسجد»<sup>(١)</sup>.

فبدأ في السورة باسمي الله والرب، والله هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يُقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله، والرب هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة فعامّة المسألة والاستعانة المشروعة باسم الرب، فالاسم الأول يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه

(١) الصلاة وحكم تاركها، ص ١٧٢-١٧٤.

وما خلق له وما فيه صلاحه وكماله وهو عبادة الله.

والاسم الثاني يتضمن خلق العبد ومبتداه وأنه يربيه، ويتولاه، مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الألوهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضاً.  
والاسم الثالث الرحمن، كمال التعليقين ووصف الحالين، فيه تتم سعادته في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

وفي ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ورحمان محمود، وملك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران إحداهما بالآخر<sup>(٢)</sup>.

والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى، وهي اسم الله والرب، والرحمن.

فاسم الله متضمن لصفات الألوهية.

واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني الأسماء تدور على هذا<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. هذه الكلمة تجمع سر الكتب المنزلة من السماء كلها، لأن الخلق إنما خلقوا ليؤمنوا بالعبادة كما قال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾<sup>(٤)</sup>، وإنما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب لذلك، فالعبادة حق على عباده، ولا قدرة للعباد

(١) انظر: قاعدة جامعة في توحيد الله، لابن تيمية، ص ٦٦-٦٧.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ٤١/١.

(٣) انظر: كتاب الفوائد، لابن القيم، ص ٤١.

(٤) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

عليها بدون إعانة الله لهم، فلذلك كانت هذه الكلمة بين الله وبين عبده، لأن العبادة حق الله على عبده، والإعانة من الله فضل من الله على عبده<sup>(١)</sup>.

والإنسان في هذين الواجبين لا يخلوا من أحوال أربعة هي القسمة الممكنة: إما أن يأتي بهما أي العبادة والاستعانة، وإما أن يأتي بالعبادة فقط، وإما أن يأتي بالاستعانة فقط، وإما أن يتركهما جميعاً، ولهذا كان الناس في هذه الأقسام الأربعة، بل أهل الديانات هم أهل هذه الأقسام<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾، أي دلنا وأرشدنا ووفقنا للعلم بالحق والعمل به، الذي هو الصراط المستقيم، المعتدل الموصل إلى الله وإلى جنته وكرامته، وهذا يشمل الهداية إلى الصراط، وهي التوفيق للزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان الباطلة، ويشمل الهداية في الصراط وقت سلوكه علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا أوجبه الله ويسره، وهذا الصراط هو طريق ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بالنعمة التامة المتصلة بالسعادة الأبدية، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ﴿غير المغضوب عليهم﴾ وهم الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم، ﴿ولا الضالين﴾ الذين ضلوا عن الحق كالنصارى ونحوهم<sup>(٣)</sup>.

فتضمنت هذه الجملة ﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾ شدة حاجة العبد وضرورته إلى هذه المسألة، التي ليس هو إلى شيء أشد فاقة وحاجة منه إليها البتة، فإنه محتاج إليه في كل نفس وطرفة عين، وهذا المطلوب من هذا الدعاء، لا يتم إلا بالهداية إلى الطريق الموصل إليه سبحانه، والهداية فيه، وهي هداية التفصيل، وخلق القدرة على الفعل، وإرادته، وتكوينه، وتوقيعه لإيقاعه له على الوجه المرضي المحبوب للرب سبحانه

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن رجب، ١٠٣/٧.

(٢) انظر: قاعدة جامعة في توحيد الله، لابن تيمية، ص ٦٢. ومدارج السالكين، ١/٧٩-٨٢.

(٣) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ص ١٨١، ضمن المجموعة الكاملة.

وتعالى، وحفظه عليه من مفسداته حال فعله وبعد فعله.

ولما كان العبد مفتقراً في كل حال إلى هذه الهداية، في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية، فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هدي إلى أصلها دون تفصيلها، أو هدي إليها من وجه دون وجه، فهو يحتاج إلى إتمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو يحتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها بالمستقبل، مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو نحال عن اعتقاد فيها، فهو يحتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها، فهو يحتاج إلى فعلها على وجه الهداية، وأمور قد هدي إلى الاعتقاد الحق والعمل الصواب فيها، فهو محتاج إلى الثبات عليها، إلى غير ذلك من أنواع الهدايات، فرض الله سبحانه عليه أن يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله مرات متعددة في اليوم واللييلة.

ثم بين أن أهل هذه الهداية هم المختصون بنعمته دون المغضوب عليهم، وهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه، ودون الضالين وهم الذين عبدوا الله بغير علم، فالطائفتان اشتركتا في القول في خلقه وأمره وصفاته بغير علم، فسيبيل المنعم عليه مغايرة لسبيل أهل الباطل كلها علماً وعملاً.

فهذه السورة على إيجازها قد جمعت علوماً جمّة، فاشتملت على التعريف بالمعبود - تبارك وتعالى - بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي: الله، والرب، والرحمن، وبنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة، فأياك نعبد، مبني على الإلهية، وإياك نستعين على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء، والمجد كما لان لجدته<sup>(١)</sup>.

وتضمنت توحيد الأسماء والصفات، وقد دل على ذلك إثبات الحمد لله، فإن الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأحكامها كلها محامد ومدائح لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مدارج السالكين، ١/١٥٠.

(٢) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ص ١٨١، ضمن المجموعة الكاملة.

وتضمنت السورة أيضاً إثبات الرسالة من جهات متعددة:

أحدها: كونه رب العالمين، فلا يليق به أن يترك عباده سدىً هملًا لا يُعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما، فهذا هضم للربوبية، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به، وما قدره حق قدره من نسبه إليه.

الثاني: أخذها من اسم ﴿الله﴾ وهو المألوه المعبود، ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله.

الموضع الثالث: من اسمه ﴿الرحمن﴾ فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم، فمن أعطى اسم ﴿الرحمن﴾ حقه عرفه أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلاء، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضاءها لما تحصل به حياة الأبدان.

الموضع الرابع: من ذكر ﴿يوم الدين﴾ فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم، فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات، وما كان الله يُعذب أحداً قبل إقامة الحجّة عليه، والحجّة إنما قامت برسله وكتبه، وبهم استحق الثواب والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين، وسيق الأبرار إلى النعيم، والفجار إلى الجحيم.

الموضع الخامس: من قوله ﴿إياك نعبد﴾ فإن ما يعبد به الرب تعالى لا يكون إلا على ما يحبه ويرضاه، وعبادته - وهي شكره ووجه وخشيته - فطري ومعقول للعقول السليمة، لكن طريق التعبد وما يعبد لا سبيل إلى معرفته إلا برسله وبيانهم.

الموضع السادس: من قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فالهداية هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا

من جهة الرسل<sup>(١)</sup>.

وتضمنت هذه السورة أيضاً إثبات مذهب أهل السنة والجماعة في القدر، وأن جميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وأن العبد فاعل حقيقة ليس مجبوراً على أفعاله، وهذا يفهم من قوله إياك نعبد وإياك نستعين، فلو لا أن مشيئة العبد مضطر فيها إلى إعانة ربه وتوفيقه لم يسأل الاستعانة، وتضمنت أصل الخير ومادته، وهو الإخلاص الكامل لله في قول العبد: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

ولما كانت هذه السورة بهذه العظمة والجلالة أوجبها الشارع على المكلفين كل ركعة في صلاتهم فرضاً ونفلًا، وفيها تعليم الله لعباده كيف يمدونه ويشنون عليه ويمجدونه بمحامده ثم يسألون ربهم جميع مطالبهم، ففيها دليل على افتقارهم إلى ربهم في الأمرين: مفتقرين إليه في أن يملأ قلوبهم من محبته ومعرفته، ومفتقرين إليه في أن يقوم بمصالحهم ويوفقهم لخدمته. والحمد لله رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مدارج السالكين، ١/١٥-١٦.

(٢) انظر: تيسير اللطيف المتان في خلاصة تفسير القرآن، ص ١٨٢، ضمن المجموعة الكاملة.



### المطلب الثالث: في حمد الله تعالى بعد الرفع من الركوع

في هذا المطلب أتعرض إلى موضع آخر من المواضع التي كان النبي ﷺ يحمد فيها ربه تبارك وتعالى وسط الصلاة، وفي ركن من أركانها، وقد جعل شعار هذا الركن حمد الله تعالى والثناء عليه وتحميده، فقد ثبت من حديث ابن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع ظهره من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد» زاد في رواية «أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، وزاد في رواية «اللهم طهرني بالثلج والبرد، والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»<sup>(١)</sup>.

ومعنى «سمع الله لمن حمده» أي أجاب، ومعناه أن من حمد الله تعالى متعرضاً لثوابه استجاب له فأعطاه ما تعرض له<sup>(٢)</sup>.  
وفعل السمع يراد به أربعة معان:

أحدها: سمع إدراك، وتعلقه الأصوات، ومنه قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا أصرح ما يكون في إثبات صفة السمع، ذكر الماضي والمضارع واسم الفاعل «سمع» و «يسمع» وهو «سميع»، وله السمع، كما قالت عائشة رضي الله عنها:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥).

وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع (٧٤٧).

وأخرجه النسائي في كتاب التطبيق، باب ما يقول في قيامه ذلك (١٠٦٧).

(٢) انظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن (٥٥٩/٢).

(٣) سورة المجادلة الآية: ١.

الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت، وإنه ليخفى عليّ بعض كلامها، فإن الله ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾<sup>(١)(٢)</sup>.

والثاني: سمع فهم وعقل، ومتعلقه المعاني، ومنه قوله تعالى ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ﴾<sup>(٣)</sup> أي لأفهمهم.

والثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل، ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي أجاب الله حمد من حمده.

الرابع: سمع قبول وانقياد، ومنه قوله تعالى ﴿ سماعون للكذب ﴾<sup>(٤)</sup> أي قابلون له، ومنقادون<sup>(٥)</sup>.

وفي قوله « ربنا لك الحمد » صح ثبوت الواو، ولك الحمد، وصح حذفها.

قال ابن الملقن<sup>(٦)</sup>: « وإثباتها أحسن، لأنها تدل على زيادة معنى، وهو النداء

(١) سورة المجادلة الآية: ١.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به في كتاب التوحيد، باب ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ ووصله أحمد (٤٦/٦)، والنسائي (١٦٨/٦) من طريق عائشة في كتاب الطلاق، باب الظهار، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح ١٨٨)، وأخرجه الحاكم بنحوه (٤٨١/٢)، في كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٣.

(٤) سورة المائدة الآية: ٤٢.

(٥) انظر: هذا التقسيم في بدائع الفوائد (٣١٤/١-٣١٥)، ومفتاح دار السعادة (٢٩٥/١-٢٩٦)، وانظر مجموع الفتاوى (١٩٤/٢٨).

(٦) هو عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، سراج الدين أبو حفص الأنصاري الوادي الأندلسي التكروري الشافعي، ولد سنة ٧٢٣هـ، وتوفي سنة ٨٠٤هـ.

انظر: الضوء اللامع (١٠٠/٦)، وشذرات الذهب (٤٤/٧-٤٥)، والبدر الطالع (٥٠٨/١).

بالاستجابة، فكأنه يقول: يا ربنا استجب، أو تقبل ونحوهما، وعطف ذلك بقوله « **ولك الحمد** » فكأنه خير بأن لك الحمد، فكأنه حمد الله تعالى بلفظ الخير الدال على ثبوت الحمد له ملكاً واستحقاقاً، فاشتمل الكلام على معنى الدعاء ومعنى الخير، وحذف الواو دال على أحد المعنيين فقط»<sup>(١)</sup>.

وقوله « **ملء السموات، وملء الأرض** ».

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: « قال بعض أهل العلم معناه: أنه لو كان الحمد أجساماً ملأ السماء والأرض، فيكون ملكها بالحجم، ولكن الصحيح خلاف ذلك، وأن معنى قوله ملء السموات، هو أن الله — سبحانه وتعالى — محمود على كل مخلوق خلقه، وعلى كل فعل يفعله، فإن الله تعالى يستحق عليه الحمد، ومعلوم أن السموات والأرض بما فيها كلها من خلق الله، فيكون الحمد حينئذ مالئاً للسموات والأرض؛ لأن المخلوقات تملأ السموات والأرض، وهذا أولى؛ لأن الإنسان يستحضر به أن الله محمود على كل فعل فعله، وعلى كل خلق خلقه، أما أن يقدر أنه أجسام متراكمة فهذه أيضاً تختلف؛ لأن الأجسام قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة...»<sup>(٢)</sup>.

وقوله « **وملء ما شئت من شيء بعد** ».

فله سبحانه الحمد حمداً يملأ المخلوقات والفضاء الذي بين السموات والأرض، ويملاً ما يقدر بعد ذلك مما يشاء الله أن يملأ بحمده.

وذاك يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يملأ ما يخلق الله بعد السموات والأرض، والمعنى أن الحمد ملء ما خلقته، وملء ما تخلقه بعد ذلك.

الثاني: أن يكون المعنى ملء ما شئت من شيء بعد يملأه حمدك، أي يقدر مملوءاً بحمدك وإن لم يكن موجوداً، ولكن يقال: المعنى الأول أقوى؛ لأن قوله « **ما شئت من**

(١) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٢/٥٥٩).

(٢) الشرح المتع (٣/١٤١-١٤٢).

شيء بعد « يقتضي أنه شيء يشاؤه، وما شاء كان، والمشية متعلقة بعينه، لا بمجرد ملء الحمد له، فتأمل، لكنه إذا شاء كونه فله الحمد ملكه، فالمشية راجعة إلى المملوء بالحمد، فلا بد أن يكون شيئاً موجوداً يملأه حمده، وأيضاً فإن قوله « من شيء بعد » يقتضي أنه شيء يشاؤه سبحانه بعد هذه المخلوقات، كما يخلقه بعد ذلك من مخلوقاته من القيامة وما بعدها، ولو أريد تقدير خلقه لقليل: وملء ما شئت من شيء مع ذلك؛ لأن المقدر يكون مع المحقق، وأيضاً فإنه لم يقل: ملء ما شئت أن يملأ الحمد، بل قال: ما شئت، والعبد قد حمد حمداً أخبر به، وإن ثناءه ووصفه بأنه يملأ ما خلقه الرب سبحانه وما يشاء بعد ذلك، وأيضاً فقوله « وملء ما شئت من شيء بعد » يقتضي إثبات مشيئة تتعلق بشيء بعد ذلك، وعلى الوجه الثاني قد تتعلق المشيئة بملء المقدر، وقد لا تتعلق.

وأيضاً فإذا قيل: « ما شئت من شيء بعد ذلك » كان الحمد مالئاً لما هو موجود يشاؤه الرب دائماً، ولا ريب أن له الحمد دائماً في الأولى والآخرة، وأما إذا قدر ما يملأه الحمد وهو غير موجود فالمقدرات لا حد لها، وما من شيء منها إلا يمكن تقدير شيء بعده، وتقدير ما لا نهاية له كتقدير الأعداد، ولو أريد هذا المعنى لم يحتج إلى تعليقه بالمشيئة، بل قيل: « ملء ما لا يتناهى » فأما ما يشاؤه الرب فلا يكون إلا موجوداً مقدرًا، وإن كان لا آخر لنوع الحوادث أو بقاء ما يبقى منها، فهذا كله مما يشاؤه بعد.

وأيضاً فالحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود على وجه الحب له، ومحاسن المحمود تعالى إما قائمة بذاته، وإما ظاهرة في مخلوقاته، فأما المعدوم المحض الذي لم يخلق ولا خلق قط فذاك ليس فيه محاسن ولا غيرها، فلا محامد فيه البتة.

فالحمد لله الذي يملأ المخلوقات ما وجد منها ويوجد هو حمد يتضمن الثناء عليه بكماله القائم بذاته، والمحاسن الظاهرة في مخلوقاته، وأما ما لا يوجد له فلا محامد ولا مدام، فجعل الحمد مالئاً له لما لا حقيقة له<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: طريق المهجرتين (ص: ٢١١-٢١٢).

وقوله « أحق ما قال العبد ».

هذا تقرير لحمده وتمجيده والثناء عليه، وأن ذلك ما نطق به العبد<sup>(١)</sup>.

وقوله « أحق » هذا أفعل تفضيل، وقد غلط فيه طائفة فقالوا: « حق ما قال العبد » وهذا ليس بسديد، فإن العبد يقول الحق والباطل، بل حق ما يقوله الرب تبارك وتعالى، ولكن أحق خير مبتدأ محذوف أي الحمد أحق ما قال العبد، ففيه أن الحمد أحق ما قاله العبد، ولهذا وجب في كل صلاة<sup>(٢)</sup>.

قال العيني رحمه الله: « فإن قلت: ما وجه كون هذا أحق ما يقوله العبد؟ قلت: لأن فيه التفويض إلى الله تبارك وتعالى والإذعان له، والاعتراف بوحدانيته »<sup>(٣)</sup>.

وقوله « وكلنا لك عبد ».

فيها إقرار بالعبودية لله تبارك وتعالى، وأن العباد كلهم لا ينفكون عن عبادة الله تبارك وتعالى، إما عبودية القهر والملك، وهي عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، قال الله تعالى ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً ﴾<sup>(٤)</sup>.

وإما عبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر، قال تعالى ﴿ يا عباد لا خوف عليكم ولا

أنتم تحزنون ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الصلاة وحكم تاركها لابن القيم (ص: ١٧٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢١٢/٨).

(٣) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب (ص: ٢٨٩).

(٤) سورة مريم الآية: ٩٣.

(٥) سورة الزخرف الآية: ٦٨.

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/١٠٣-١٠٤).

فمن عبودية أهل طاعته أن يعلموا أن حمدهم لربهم تبارك وتعالى نعمة منه عليهم، يستحق عليها الحمد؛ فإذا حمدوه على هذه النعمة استوجب عليهم حمداً آخر على نعمة حمده وهلمّ جرا.

فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلها في حمده على نعمة من نعمه كان ما يجب له من الحمد ويستحقه فوق ذلك وأضعافه، ولا يحصي أحد البتة عليه بمحامده.

ومن عبودية الحمد شهود العبد لعجزه عن الحمد، وأن ما قام به منه فالرب سبحانه هو المحمود عليه، إذ هو مجريه على لسانه وقلبه، ولولا الله ما اهتدى أحد.

ومن عبوديته تسليط الحمد على تفاصيل أحوال العبد كلها ظاهرة وباطنة على ما يجب العبد وما يكرهه، بل على تفاصيل أحوال الخلق كلهم، برهم وفاجرهم، علويهم وسفليهم، فهو سبحانه المحمود على ذلك كله في الحقيقة، وإن غاب عن شهود العبد<sup>(١)</sup>.

وقوله: « اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ».

وهذا تحقيق لوحداية الله تبارك وتعالى لتوحيد الربوبية خلقاً، وقدراً، وبداية، وهداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولتوحيد الإلهية شرعاً وأمرأً، ونهياً وهو أن العباد، وإن كانوا يعطون ملكاً وعظمة، وبجناً<sup>(٢)</sup> ورياسة في الظاهر أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا ينفع ذا الجد منك الجد، أي لا ينجيه ولا يخلصه من سؤالك وحسابك حظه وعظمته وغناه<sup>(٣)</sup>.

وقد تضمنت هذه الجملة أموراً:

١ - أنه المنفرد بالعطاء والمنع.

(١) انظر: كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء (ص: ١٢٤).

(٢) البخت: الجد والحظ، انظر: اللسان (١/٣٢٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/٣٧٦).

٢- أنه تبارك وتعالى إذا أعطى، لم يطق أحد منع من أعطاه، وإذا منع لم يطق أحد إعطاء من منع.

٣- أنه لا ينفع عنده، ولا يخلص من عذابه، ولا يديني من كرامته، جدود بني آدم وحظوظهم من الملك والرئاسة والغنى وطيب العيش، وغير ذلك، إنما ينفعهم عنده التقرب إليه بطاعته، وإيثار مرضاته<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث الذي كان النبي ﷺ يذكر به ربه تبارك وتعالى عند رفعه من ركوعه، يتضمن حمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه والتسليم له، ويتضمن أن حمد الله تبارك وتعالى قد ملاً الخلق الموجود، وهو يملأ ما يخلقه الرب تبارك وتعالى بعد ذلك وما يشاؤه، فحمده قد ملاً كل موجود، وملاً ما سيوجد.

وقد تضمن الحديث أيضاً أن حمد الله تبارك وتعالى أحق ما قاله العبد، ولذا فقد كان ﷺ يستديم حمد الله تبارك وتعالى في جميع المواطن، ومن تلك المواطن هذا المواطن وهو عند الرفع من الركوع، فقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يقول في اعتداله بعد الركوع في صلاة الليل: «لربي الحمد، لربي الحمد»<sup>(٢)</sup> وكان قياماً طويلاً.

وشرع لأئمة ﷺ في هذا الموضع وفي غيره أكمل الحمد وأحبه إلى الله تبارك وتعالى.

وقد ثبت عن رفاعه بن رافع الزرقي قال: «كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «سمع الله لمن حمده» قال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: «من تكلم؟» قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها (ص: ١٧٧-١٧٨).

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١٩٩/٢)، والترمذي في الشمائل (٢٧٠)،

وأحمد (٣٩٨/٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨١٨)، ومختصر الشمائل (٢٣٢).

(٣) تقدم في ص (٩٣).

فأقره النبي ﷺ على هذا الحمد والثناء لله تبارك وتعالى، وبين أن فيه فضيلة عظيمة، وهي أن بضعة وثلاثين ملكاً يتسابقون أيهم يكتبها. وهذا موطن آخر من المواطن التي يتأكد فيه حمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه، وهو الرفع من الركوع الذي جعل شعاره حمد الله تعالى والثناء عليه وتحميده، والحمد لله رب العالمين.



### المطلب الرابع: في حمد الله تعالى في الركوع والسجود في الصلاة

الركوع والسجود فيهما كمال الخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى، ففي الركوع يخضع العبد للمعبود سبحانه خضوعاً لعظمته، واستكانة لهيبته، وتذلاً لعزته، فثنى العبد له صلبه ووضع له قامته، ونكس له رأسه، وحنى له ظهره، معظماً له، ناطقاً بتسبيحه المقترن بتعظيمه، فاجتمع له خضوع القلب وخضوع الجوارح، وخضوع القول، على أتم الأحوال، وجمع له في هذا الذكر بين الخضوع والتعظيم لربه، والتزيه له عن خضوع العبيد، وأن الخضوع وصف العبد، والعظمة وصف الرب.

وتمام عبودية الركوع أن يتصاغر العبد ويتضاءل بحيث يمحو تصاغره كل تعظيم منه لنفسه وللمخلوقات، ويثبت مكانه تعظيمه لربه، وكلما استولى على قلبه تعظيم الرب ازداد تصاغره هو عند نفسه، فالركوع للقلب بالذات والقصد وللجوارح بالتبع والتكملة<sup>(١)</sup>.

والسجود سر الصلاة، وركنها الأعظم، وخاتمة الركوع، وما قبله من الأركان كالمقدمات له، ولهذا قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»<sup>(٢)</sup>.

وأفضل الأحوال له حال يكون فيها أقرب إلى الله تبارك وتعالى، ولهذا كان الدعاء في هذا المحل أقرب إلى الإجابة.

ولما خلق الله سبحانه العبد من الأرض كان جديراً بأن لا يخرج عن أصله، بل يرجع إليه إذا تقاضاه الطبع والنفس بالخروج عنه، فإن العبد لو ترك لطبعه، ودواعي نفسه، لتكبر وأشر، وخرج عن أصله الذي خلق منه، ولو ثبت على حق ربه من الكبرياء والعظمة، فنازعه إياهما، وأمر بالسجود خضوعاً لعظمة ربه وفاطره، وخشوعاً له، وتذلاً بين يديه، وانكساراً له، فيكون هذا الخشوع والخضوع والتذلل رداً له إلى حكم العبودية، ويتدارك ما حصل له من الهفوة والغفلة والإعراض الذي خرج به عن أصله، فتمثل له حقيقة التراب الذي خلق منه.

(١) انظر: كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء ص (١٢٨).

(٢) تقدم تخريجه (٢٥٥).

وهو يضع أشرف شيء منه وأعلاه وهو الوجه، وقد صار أعلاه أسفله خضوعاً بين يدي ربه الأعلى، وخشوعاً له، وتذلاً لعظمته، واستكانة لعزته، وهذا غاية خشوع الظاهر، فإن الله سبحانه خلقه من الأرض التي هي مذلة للوطء بالأقدام، واستعمله فيها، وردة إليها، ووعدته بالإخراج منها، فهي أمه وأبوه وأصله وفصله، فضمته حياً على ظهرها، وميتاً في بطنها، وجعلت له طهراً ومسجداً، فأمر بالسجود إذ هو غاية خشوع الظاهر، وأجمع العبودية لسائر الأعضاء، فيعفر<sup>(١)</sup> وجهه في التراب، استكانة وتواضعاً وخضوعاً وإلقاء باليدين.

وكان النبي ﷺ لا يتقي الأرض بوجهه قصداً، بل إذا اتفق له ذلك فعلة، ولذلك سجد في الماء والطين<sup>(٢)</sup>.

ولهذا كان من كمال السجود الواجب أنه يسجد على الأعضاء السبعة: الوجه واليدين والركبتين وأطراف القدمين<sup>(٣)</sup>.

فهذا فرض أمر الله تعالى به رسوله ﷺ، وبلغه الرسول ﷺ لأمته.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يخرون سجداً عند سماع كلامه، وذم من لا يقع ساجداً عنده، ولما علمت السحرة صدق موسى عليه السلام، وكذب فرعون، خروا سجداً لربهم، فكانت تلك السجدة أول سعادتهم، وغفران ما أفنوا فيه أعمارهم من السحر، ولذلك أخبر سبحانه عن سجود جميع المخلوقات له، فقال تعالى ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم﴾<sup>(٤)</sup>

(١) تعفير الوجه: إلصاقه بالتراب، ويقال: للتراب العفر.

انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١٠٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب: السجود على الأنف والسجود على الطين (ح/٨١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب: فضل ليلة القدر (ح/١١٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب: السجود على الأنف (ح/٨١٢).

(٤) سورة النحل الآية: ٤٩-٥٠.

فأخبر عن إيمانهم بعلوه وفوقيته، وخضوعهم له بالسجود تعظيماً وإجلالاً.

وقال تعالى ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾<sup>(١)</sup>.

فالذي حق عليه العذاب، هو الذي لا يسجد له سبحانه، وهو الذي أهانه بترك السجود له، وأخبر أنه لا مكرم له، وقد هان على ربه، حيث لم يسجد له.

وقال تعالى ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت العبودية غاية كمال الإنسان، وقربه من الله بحسب نصيبه من عبوديته، وكانت الصلاة جامعة لمتفرق العبودية، متضمنة لأقسامها، كانت أفضل أعمال العبد، ومترلتها من الإسلام بمترلة عمود الفسطاط منه<sup>(٣)</sup>، وكان السجود أفضل أركانها الفعلية، وسرها الذي شرعت لأجله، وكان تكرره في الصلاة أكثر من تكرر سائر الأركان، وجعله خاتمة الركعة وغايتها، وشرع فعله بعد الركوع، فإن الركوع توطئة له ومقدمة بين يديه، وشرع فيه الثناء على الله تبارك وتعالى بما يناسبه<sup>(٤)</sup>.

وقد كان يقول ﷺ في ركوعه « سبحان ربي العظيم »<sup>(٥)</sup>، وسر الركوع تعظيم الرب جل وعلا له بالقلب والقالب والقول، ولهذا قال النبي ﷺ « أما الركوع فعظموها

(١) سورة الحج الآية: ١٨.

(٢) سورة الرعد الآية: ١٥.

(٣) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة » أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة من عدة طرق (١٩٥) وما بعده، وأخرجه الإمام أحمد مطولاً (٢٣١/٥)، والترمذي (٢٦١٩) وقال: حسن صحيح.

(٤) انظر: كتاب الصلاة لابن القيم (ص: ١٧٨-١٨١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (ح/٧٧٢).

فيه الرب»<sup>(١)</sup>.

وشرع الثناء على الله تبارك وتعالى بما هو أهله في السجود بما يناسب هذا الموضع، وهو قول العبد « سبحان ربي الأعلى »<sup>(٢)</sup>، وكان ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن<sup>(٣)</sup>.

وقول عائشة رضي الله عنها: يتأول القرآن أي يفعل ما أمر الله عز وجل به في قوله ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « في هذه السورة الكريمة بشارة، وأمر لرسوله، عند حصولها وإشارة وتنبه على ما يترتب على ذلك. فالبشارة هي: البشارة بنصر الله تعالى لرسوله ﷺ وفتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجا.... »

وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح فأمر رسوله أن يشكره على ذلك ويسبح بحمده ويستغفره.

وأما الإشارة: فإن في ذلك إشارتين:

• إشارة أن النصر يستمر للدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله ﷺ.

• وأما الإشارة الثانية: فهي إلى أن أجل رسول الله ﷺ قد قرب ودنا...<sup>(٤)</sup>.

وقد فهم طائفة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ أمر بالتسبيح والتحميد

(١) تقدم تخرجه ص: (٢٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين باب استحباب القراءة في صلاة الليل (ح/٧٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة، باب الدعاء في الركوع (ح/٧٩٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود (ح/٤٨٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٣٦).

والاستغفار عند مجيء نصر الله والفتح، شكراً لله تعالى على هذه النعمة.

وأما عمر وابن عباس رضي الله عنهما <sup>(١)</sup> فقالا: بل كان مجيء النصر والفتح علامة على اقتراب أجله وانقضاء عمره، فأمر أن يحتتم عمله بذلك، ويتهيأ للقاء الله تبارك وتعالى، والقدم عليه، على أكمل أحواله وأتمها.

فإنه لما جاء نصر الله والفتح بحيث صارت مكة دار إسلام، وكذلك جزيرة العرب كلها، ولم يبق بها كافر، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالات ربه، وعلم أمته مناسكهم وعبادتهم، وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها، ولم يبق له في الدنيا حاجة، فحينئذ هياً للنقلة الآخرة، فإنها خير له من الأولى.

وقد خير صلى الله عليه وسلم بين الدنيا وبين لقاء ربه، فكان آخر ما سمع منه: « اللهم الرفيق الأعلى » <sup>(٢)</sup>.

ونظير هذا الفهم الذي فهمه عمر وابن عباس رضي الله عنهم من السورة ما فهمه أبو بكر رضي الله عنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته: « إن عبداً خير بين لقاء ربه وبين

(١) ففي صحيح البخاري (٤٩٧٠) عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فقال بعضهم أمرنا أن نحمده ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أأذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟، قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٣٧) في كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول: « إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يحيا - أو يخير - فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة، غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: « اللهم في الرفيق الأعلى » فقلت: إذا لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

الدنيا فاختر لقاء ربه»<sup>(١)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار بعد نزول سورة النصر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول « سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه » وقال: « إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمّتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره، إنه كان تواباً، فقد رأيتها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ السورة كاملة »<sup>(٢)</sup>.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: « سبحان الله وبحمده » فقلت: يا رسول الله إنك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: « سبحان الله وبحمده » قال: « إنني أمرت بها » فقال: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ إلى آخر السورة»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « واعلم أن التسبيح والتحميد فيه إثبات صفات الكمال ونفي النقائص والعيوب، والاستغفار يتضمن وقاية شر الذنوب، فذاك حق الله تعالى وهذا حق عبده »<sup>(٤)</sup>.

والاستغفار هو خاتمة الأعمال الصالحة، فلهذا أمر النبي ﷺ أن يجعله خاتمة عمره. كما يشرع للمصلي المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثاً<sup>(٥)</sup>، وكما يشرع للمتهدد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر (ح/٣٦٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح/٢٢٠).

(٣) أخرجه بسنده ابن جرير، جامع البيان (١٥/٢٣٥).

(٤) تفسير سورة النصر (ص: ٨٩).

(٥) أخرجه مسلم (ح/٥٩١) في المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة، والترمذي (٣٠٠) في الصلاة باب ما يقول إذا سلم من الصلاة، وأبو داود (١٥١٣) في الصلاة باب ما يقول الرجل إذا سلم، والنسائي (٦٨/٣) في السهو باب الاستغفار بعد التسليم، وابن ماجه (٩٢٨) في الإقامة باب ما يقال بعد التسليم، وأحمد في المسند (٥/٢٧٩) من حديث ثوبان ؓ.

من الليل أن يستغفر بالأسحار، قال تعالى ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى ﴿ والمستغفرون بالأسحار ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكما يشرع عقيب الحج، قال تعالى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله

إن الله غفور رحيم ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكما يشرع ختم المجلس بالتسبيح والتحميد والاستغفار وهو كفارة المجلس<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: « وسبب هذا أن العباد مقصرون عن القيام

بحقوق الله تعالى كما ينبغي، وأدائها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وإنما يؤديها على

قدر ما يطيقونه، فالعارف يعرف أن قدر الحق أعلى وأجل من ذلك، فهو يستحي من

عمله ويستغفر من تقصيره فيه كما يستغفر غيره من ذنوبه وغفلانه<sup>(٥)</sup>.

وكلما كان العبد بره أعلم كان له أخوف وبرؤية تقصيره أبصر.

ولهذا كان خاتم المرسلين، وأعلمهم برب العالمين عليه الصلاة والسلام، يجتهد في

الثناء على ربه تبارك وتعالى بما هو أهله في موضع هو أقرب ما يكون فيه من ربه، ثم يقول

في آخر ثنائه: « لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(٦)</sup>، اعترافاً منه صلوات

الله وسلامه عليه لربه تبارك وتعالى بأن شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل

من أن يحصيها أحدٌ من الخلق، أو يبلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه<sup>(٧)</sup>.

وهذه الحال هي حال عباد الله المقربين، أنهم يتقربون إلى الله تبارك وتعالى

(١) سورة الذاريات الآية: ١٨.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٩.

(٤) تقدم تخرجه ص (٢٢٧).

(٥) تفسير سورة النصر (ص: ٩٢).

(٦) تقدم تخرجه ص (٤٨).

(٧) انظر: شفاء العليل (٢/٢٦٩).

بالطاعات، ويخافون ألا يتقبل منهم، وقد وصفهم الله تبارك وتعالى في كتابه، بقوله عز قائلاً عليمًا ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أخرج الإمام أحمد، بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: « لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم رمضان وهو يخاف الله عز وجل »<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله « سبحانك اللهم وبحمدك » الباء في وبحمدك فيها قولان:

أحدهما: أنها للمصاحبة، فالحمد مضاف إلى المفعول، أي فسيحه حامداً له، والمعنى أجمع بين تسبيحه وهو تزيهه عما لا يليق به من النقائص، وبين تكميده وهو إثبات ما يليق به من المحامد.

والثاني: أنها للاستعانة، والحمد مضاف إلى الفاعل، أي سبحه بما حمد به نفسه، إذ ليس كل تسبيح بمحمود، كما أن تسبيح الجهمية يقتضي تعطيل الصفات<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة هذا المبحث أن حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة التي هي عماد الإسلام ورأس الطاعات، ولذا فقد شرع الحمد في أول الصلاة ووسطها وآخرها وجميع أركانها. ففي دعاء الاستفتاح يحمد الله تعالى ويشني عليه ويمجده، وفي ركن القراءة يحمد

(١) سورة المؤمنون الآية: ٦٠-٦١.

(٢) المسند (١٥٩/٦)، وسنن الترمذي برقم (٣١٧٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٢).

(٣) انظر: تفسير سورة النصر لابن رجب ص (٧٢-٧٣).



الله تعالى ويثني عليه ويمجده، وفي الركوع يثني على الله تعالى بالتسبيح والتعظيم والتحميد، وبعد رفع الرأس منه يحمد الله تعالى، ويثني عليه ويمجده، وفي السجود يثني عليه بالتسبيح المتضمن لكماله المقدس، والعلو المتضمن لمباينته لخلقه، وفي التشهد يثني عليه بأطيب الثناء من التحيات ويختم ذلك بذكر حمده ومجده<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٧٤-١٤٧٥).

## المبحث الثاني

# حمد الله تعالى في أوقات مخصوصة

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: **حمد الله تبارك وتعالى في خطبة الحاجة**

المطلب الثاني: **حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام**

المطلب الثالث: **حمد الله تعالى عند الضراء**

المطلب الرابع: **حمد الله تعالى عند المطاس**

تقرر فيما سبق من مباحث أن الله تبارك وتعالى ثابت له الحمد في كل زمان ومكان، وله الحمد في الأولى والآخرة، وهو مستحق للحمد لذاته لما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال الحميدة، وقد بينت أن هناك أوقات قد تؤكد فيها حمد الله تعالى، وقد خصها النبي ﷺ بحمد ربه تبارك وتعالى، وعلم الله تعالى عباده أن يحمده فيها، وأجل تلك الأوقات، وأعظمها شأنًا الصلاة، فحمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة التي هي عماد الدين ورأس الطاعات، وقد سبق في المبحث السابق ما يتعلق بذلك كله، وقد بينت المواضع التي تؤكد فيها الحمد في الصلاة، وما دلت عليه من معاني عقدية عظيمة، وفوائد جليلة، ومقاصد محمودة، وهناك أوقات آخر يتأكد فيها الحمد لله تعالى، وهذه الأوقات إما أن تكون متعلقة بحال العبد وما يحصل له من نعم متجددة، وحصول مطلوب، أو دفع نقمة، وزوال مرهوب، أو فيما يتعلق باستعانة العبد بربه تعالى أنه غير منفك عن توفيقه وامتنانه والأخذ بيده وقضاء حوائجه.

وهذه المحامد المتأكدة في هذه الأزمنة بخصوصها كثيرة جداً، يصعب حصرها؛ لأن العبد يتقلب في نعم الله تبارك وتعالى في كل لحظة من لحظاته، بل في كل نفس يتنفس به من أنفاسه، وإني بصدد هذا المبحث اخترت بعض المطالب التي تعتبر كالأصول الجامعة لغيرها من الأوقات التي يتأكد فيها حمد الرب تبارك وتعالى، كي يدخل غيرها فيها من حيث ما دلت عليه من المعاني العقدية، وما أشارت إليه من حكم، وما جمعت فيه من مقاصد، كلها مستحقة لله تبارك وتعالى، فله الحمد أولاً وآخراً، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وهذه هي المطالب مبتدأة بما سمي واشتهر بخطبة الحاجة فأقول وبالله التوفيق:

### المطلب الأول: في حمد الله تعالى في خطبة الحاجة

هذه الخطبة علمها النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم أن يستفتحوا بها النكاح وغيره من الحاجات، ونص هذه الخطبة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة في النكاح وغيره: « إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً

كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله

ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾<sup>(٣)</sup>.

أما بعد ثم يذكر حاجته<sup>(٤)</sup>.

وقد افتتح هذه الخطبة بالحمد، والاستعانة، والاستغفار، وهذه الجوامع الثلاث، لا يكاد ينفك عنها العبد المؤمن في هذه الحياة؛ لأن العبد يدور بين أمرين، أمر يفعله الله به، فهي نعم الله تعالى التي تنزل عليه، فتحتاج إلى الشكر، وأمر يفعله هو إما

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧٠-٧١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (ح/٨٦٧) وهذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح أو خطبة جمعة أو غيرها، وفي بعض طرق حديث ابن مسعود التصريح بذلك، وقد أيد ذلك عمل السلف الصالح، فكانوا يفتحون كتبهم بهذه الخطبة.

انظر: خطبة الحاجة للشيخ الألباني رحمه الله (ص: ٣١).

خير وإما شر، فالخير يفتقر إلى معونة الله له، فيحتاج إلى الاستعانة، والشر يفتقر إلى الاستغفار ليمحو أثره<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى هو معنى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وإلى هذين الأصلين كان النبي ﷺ يقصد في عباداته وأذكاره ومناجاته، وذلك مثل قوله في الأضحية «اللهم هذا منك ولك»<sup>(٢)</sup> فإن قوله «منك» هو معنى التوكل والاستعانة، وقوله «لك» تعبداً وشرعاً وإخلاصاً، وهو من الله، وهو الذي من به.

إذا تقرر هذا الأصل فالإنسان في هذين الواجبين لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة الممكنة، كما تقدم ذكر ذلك<sup>(٣)</sup>، وقد بينت أن أهل القسم المحمود هو حال الذين حققوا ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فاستعانوا به على طاعته، وشهدوا أنه إلههم الذي لا يجوز أن يعبدوا إلا إياه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأنه ربهم الذي ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وان يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله﴾<sup>(٥)</sup>.

فأهل القسم المحمود هو ما دل عليه هذا الحديث الذي يسمى بخطبة الحاجة، وهذا القسم هو حال عباد الله المؤمنين الذين عبدوا الله واستعانوا به فأعانهم على عبادته وطاعته، وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقد بين الله سبحانه وتعالى ما خص به المؤمنين في قوله ﴿حب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٥/١٨).

(٢) قطعة من حديث أخرجه أبو داود (٢٧٩٥)، والترمذي (١٥٢٠)، وابن ماجه (٣١٢١).

(٣) انظر: ص: (٢٧٩).

(٤) سورة فاطر الآية: ٢.

(٥) سورة يونس الآية: ١٠٧.

والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴿١﴾.

وقوله « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا » الشر لا يكون إلا بذنوب العبد، وذنبه من نفسه، وإذا تدبر العبد هذا علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله تعالى، فشكر ربه على ذلك فزاده من فضله عملاً صالحاً ونعماً يفضيها عليه، وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه وبذنوبه استغفر ربه وتاب فزال عنه سبب الشر، فيكون دائماً شاكراً مستغفراً، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشر يندفع عنه، وهذا المعنى هو ما دلت عليه خطبة الحاجة، « الحمد لله » فيشكر الله ثم يقول « نستعينه ونستغفره » نستعينه على طاعته، ونستغفره من معصيته، ونحمده على فضله وإحسانه<sup>(٢)</sup>، ثم يقول « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا » لما استعاذ به من الذنوب الماضية استعاذ به من الذنوب التي لم تقع بعد، ثم قال « ومن سيئات أعمالنا » فهذه استعاذة من عقوبتها وهذا فيه أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشر كامن فيها، لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساءوا إليه، فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب، ويستعيد بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكن الذنوب هي لوازيم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه

(١) سورة الحجرات الآية: ٧.

(٢) انظر: شفاء العليل (٤٠/٢).

إلى الطعام والشراب<sup>(١)</sup>.

ولذا قال في هذا الحديث عقب هذا « من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا

هادي له ».

فهذه شهادة للرب تبارك وتعالى بأنه المتصرف في خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فإذا هدى عبداً لم يضل أحد وإذا أضله لم يهده أحد، وفي ذلك إثبات ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وقضائه وقدره الذي هو عقد نظام التوحيد وأساسه<sup>(٢)</sup>.

والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطر إلى سؤال الله تعالى أن يهديه، فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، فمن فاتته فهو إما من المغضوب عليهم، وإما من الضالين، وهذا الهدي لا يحصل إلا بهدى الله تعالى.

والله سبحانه قد أنعم على المؤمنين بالإعانة والهداية، فإنه بين لهم هداهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وأعانهم على اتباع ذلك علماً وعملاً، كما من عليهم وعلى سائر الخلق بأن خلقهم ورزقهم وعافاهم، ومن على أكثر الخلق بأن عرفهم ربوبيته لهم وحاجتهم إليه، وأعطاهم سؤالهم، وأجاب دعاءهم<sup>(٣)</sup>.

وكل ما سبق مقدمة بين يدي قوله « وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً

عبده ورسوله ».

فإن الشهادتين إنما تتحققان بحمد الله واستعانته واستغفاره واللجوء إليه، والإيمان بأقداره<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: « والأحاديث كلها متفقة على أن نستعينه ونستغفره

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٣٦٦-٣٦٧).

(٢) انظر: شفاء العليل (٤٠/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦/١٤).

(٤) انظر: شفاء العليل (٤١/٢).

ونعوذ به بالنون، والشهادتين بالإفراد « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « لما كانت الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد، ولا تقبل النيابة بحال، أفرد الشهادة بها، ولما كانت الاستعانة والاستعاذة والاستغفار تقبل ذلك، فيستغفر الرجل لغيره، ويستعين الله له، ويستعذ بالله به، أتى بلفظ الجمع، ولهذا يقال: اللهم أعنا وأعذنا واغفر لنا... »

وفيه معنى آخر، وهو أن الاستعانة والاستعاذة والاستغفار طلب وإنشاء، فيستحب للطالب أن يطلبه لنفسه ولإخوانه المؤمنين، وأما الشهادة فهي إخبار عن شهادته لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، وهي خبر يطابق عقد القلب وتصديقه، وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله، بخلاف إخباره عن غيره، فإنه يخبر عن قوله ونطقه، لا عن عقد قلبه، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

والشهادة الإخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان، وواطأ القلب عليها اللسان؛ فإن الله قد كذب المنافقين في قولهم ﴿ نشهد أنك لرسول الله ﴾ مع أنهم قالوا بألسنتهم.

« ولا إله إلا الله » هي كلمة التوحيد، التي اتفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هي خلاصة دعوتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، كما قال نبينا ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل »<sup>(٢)</sup>.

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتغالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرد؛ كقولنا: الله واحد مثلاً، فهي تدل بصدرها على

(١) تهذيب سنن أبي داود (٥٤/٣)، ومطالع السعد بكشف مواقع الحمد (ص: ٩٧-٩٨).

(٢) سبق تخرجه ص: (٩٩)



نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، وتدلل بعجزها على إثبات الإلهية له وحده<sup>(١)</sup>.  
ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبود حق إلا الله، وعلى هذا يكون خبر لا محذوفاً،  
ولفظ الجلالة بدلاً منه<sup>(٢)</sup>.

وقوله « وحده لا شريك له » وحده هي من حيث المعنى توكيد للإثبات، لا  
شريك له: توكيد للنفي<sup>(٣)</sup>.

وقوله « وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ».

جعل الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد؛  
للإشارة إلى أنه لا بد من كل منهما، فلا تغني إحداها عن الأخرى، ولهذا قرن بينهما  
في الأذان، وفي التشهد.

وإنما جمع له بين وصفي الرسالة والعبودية؛ لأنهما أعلى ما يوصف به العبد.

والعبادة: هي الحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها، كما قال تعالى ﴿ وما خلقت

الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾<sup>(٤)</sup>.

فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية، ازداد  
كماله، وعلت درجته.

ولهذا ذكر الله نبيه بلقب العبد في أسمى أحواله وأشرف مقاماته، كالإسراء به،  
وقيامه بالدعوة إلى الله، والإيحاء إليه، والتحدي بالذي أنزل عليه.

وبنه بوصف العبودية أيضاً إلى الرد على أهل الغلو الذين قد يتجاوزون بالرسول ﷺ  
قدره، ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية.

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٥٥-٥٦).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٤٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

والمقصود أن هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته ﷺ لربه، وكمال رسالته، وأنه فاق جميع البشر في كل ما أخبر به، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهي عنه<sup>(١)</sup>.

وفي قوله في الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة السعدي: « هذه الآيات فيها حث الله تعالى عباده المؤمنين أن يقوموا بشكر نعمه العظيمة بأن يتقوه حق تقاته، وأن يقدموا بطاعته، وترك معصيته مخلصين له بذلك، وأن يقيموا دينهم، ويستمسكوا بحبله الذي أوصله إليهم، وجعله السبب بينهم وبينه، وهو دينه وكتابه والاجتماع على ذلك وعدم التفرق، وأن يستديموا ذلك إلى الممات<sup>(٣)</sup> ».

وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة القاسمي رحمه الله تعالى: « أي اخشوه أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه، ثم نبههم على اتصافه بكمال القدرة الباهرة، لتأييد الأمر بالتقوى، وتأكيدهم إيجاب الامتثال به على طريق الترغيب والترهيب، بقوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي فرعكم من أصل واحد وهو نفس أبيكم آدم، وخلقته تعالى إياهم على هذا النمط البديع مما يدل على القدرة العظيمة، ومن قدر على نحوه كان قادراً على كل شيء، ومنه عقابهم على معاصيهم، فالنظر فيه يؤدي إلى الاتقاء من

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس ص (٥٨).

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٤٠٥/١).

(٤) سورة النساء الآية: ١.

موجبات نعمته.

واختتم الآية الكريمة بأن الله تعالى مراقب لجميع أحوال خلقه وأعمالهم، يراها ويعلمها فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وهذا إرشاد وأمر بمراقبته، فعلى المرء أن يراقب أحوال نفسه، ويأخذ حذره من أن ينتهز الشيطان منه فرصة فيهلك على غفلة»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: « يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب له عند تعذر اليقين، من قراءة وذكر وأمر بمعروف ونهي عن منكر وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه.

ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه في مخاطبة الأنام والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح، ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد، فقال: ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ أي يكون ذلك سبباً لصلاحها، وطريقاً لقبولها؛ لأن استعمال التقوى تتقبل به الأعمال، ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال أيضاً، بحفظها عما يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفتها، كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعدم قبولها، وعدم ترتب آثارها عليها.

﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ التي هي السبب في هلاككم، فبالتقوى تستقيم الأمور،

ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: ﴿ ومن يطع الله ورسوله، فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: محاسن التأويل (٢/٢١٠-٢١٣).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٧٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٦/٢٥٣-٢٥٤).

ومناسبة استفتاح خطبة الحاجة بحمد الله تعالى والثناء عليه والاستعانة به واستغفاره وطلب الهداية منه، واختتامها بتقوى الله تعالى ظاهر، فإن العبد في كل ما يستفتح به من عقود وخطب ونكاح وبيوع وغيرها من الأشياء التي يستفتح فيها بخطبة الحاجة، يعترف فيها العبد بأنه مجبول على النقص والتقصير فهو محتاج إلى ربه وخالقه المحمود على كمال أقواله وأفعاله وصفاته في أن يأخذ بيده فإنه لا حول له ولا قوة إلا به، ويستعين به على قضاء حوائجه ويستغفره مما يعتريه من زلل وعطب ونقص وتقصير في حقه تعالى، ولذا فقد أمره ربه بأن يداوم على تقواه فإنها السبيل إلى سداد أقواله وصلاح أعماله، والله تعالى أعلم.

### المطلب الثاني: في حمد الله تعالى بعد الفراغ من الطعام

قد جرت سنة الله تبارك وتعالى أن شكر النعم مما يزيد فيها ويبارك فيها، ومن الأشياء التي تستوجب رضى الله تبارك وتعالى على العبد، قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَأْذِنُ رَبِّكُمْ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وقال موسى إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ﴾<sup>(١)</sup>.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: « ﴿ وَإِذْ تَأْذِنُ رَبِّكُمْ ﴾ أي آذنكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى: وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه، وقوله: لئن شكرتم لأزيدنكم أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها، ولئن كفرتم أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها، إن عذابي لشديد.

وذلك بسلبهم، وعقابه إياهم على كفرهم، وقال موسى إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد، أي هو غني عن شكر عباده، وهو الحميد المحمود، وإن كفره من كفره<sup>(٢)</sup>.

فجميع ما يتقلب فيه العالم من خير الدنيا والآخرة هو نعمة محضة بلا سبب سابق يوجب ذلك لهم، ومن غير حول وقوة منهم إلا به، وهو خالقهم وخالق جزائها، وهذا لله منه سبحانه<sup>(٣)</sup>.

فالله ﷻ غني عن حمد عباده، وشكرهم له وحمدهم له يعود بالنفع عليهم، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر

(١) سورة إبراهيم الآية: ٧-٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٠٥).

(٣) انظر: شفاء العليل (٢/٤٠).

قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألتة، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»<sup>(١)</sup>.

فهو تعالى الغني بذاته، الذي له الغني التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه، ولا يمكن إلا أن يكون غنياً؛ لأن غناه من لوازم ذاته، فكما لا يكون إلا خالقاً رازقاً رحيماً محسناً، فلا يكون إلا غنياً عن جميع الخلق لا يحتاج إليهم بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكونوا كلهم إلا مفتقرين إليه من كل وجه، لا يستغنون عن إحسانه وكرمه وتدبيره وتربيته العامة والخاصة طرفة عين.

ومن كمال غناه أن خزائن السموات والأرض بيده، وأن جوده على خلقه متواصل آناء الليل والنهار وأن يديه سحاء في كل وقت<sup>(٢)</sup>.

فالله سبحانه وتعالى الغني الحميد، وهو غني عن عباده وهم مفتقرون إليه، وقد أعلمهم أن حمده على نعمه المتفضل بها عليهم، يجلب لهم رضاه عنهم ويكون سبباً لزيادة نعمه عليهم، وعلى العكس من ذلك جحد تلك النعم وعدم شكرها فإن ذلك سبب لسلب تلك النعم على جاحدها، وقد ضرب الله تبارك وتعالى المثل بأقوام بدّلوا نعمة الله تعالى عليهم بكفرها، فسلبهم الله تعالى إياها، وأذاقهم لباس الخوف والجوع بسبب أعمالهم وجحد نعم الله تعالى عليهم، قال الله تعالى ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلوة والآداب، باب: تحريم الظلم (ح/٢٥٧٧).

(٢) انظر: فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد، للعلامة السعدي (ص: ٥٢).

يصنعون ﴿<sup>(١)</sup>﴾.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: « أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجي إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان » ﴿<sup>(٢)</sup>﴾.

وقال الله تعالى في حال قوم سبأ ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: « كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها... وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مذر » ﴿<sup>(٤)</sup>﴾.

وقد أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى شكر نعمه، وحذرهم من أن يقعوا فيما وقع فيه أولئك الأقوام، فيعجلهم الله تعالى بعذابه، قال تعالى ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ ﴿<sup>(٥)</sup>﴾.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: « يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب، وبشكره على ذلك، فإنه المنعم المتفضل به ابتداء، الذي يستحق

(١) سورة النحل الآية: ١١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٦٩-٥٧٠).

(٣) سورة سبأ الآيات: ١٥-١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٠٩).

(٥) سورة النحل الآية: ١١٤.

العبادة وحده لا شريك له» (١).

ومن حرص النبي ﷺ على أمته ومن رأفته ورحمته بهم، فقد علمهم وأرشدهم إلى أن يشكروا ربهم ويحمدوه على كل نعمة المتفضل بها عليهم، ومن تلك النعم النعمة التي بها قوام أبدانهم، فقد علمهم النبي ﷺ أن يحمدا الله تعالى على كل أكلة يأكلونها، وكل شربة يشربونها، فعن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها» (٢).

وعن معاذ بن أنس (٣) ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « من أكل طعاماً ما فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه» (٤).

وعن رجل خدم النبي ﷺ أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعاماً يقول: « باسم الله » فإذا فرغ من طعامه قال: « اللهم أطعمت وسقيت، وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت» (٥).

وعن أبي أمامة ؓ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: « الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا» (٦).

ففي الحديث الأول فيه إثبات صفة الرضى لله تبارك وتعالى وهي صفة من

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٧٠/٢).

(٢) تقدم تخرجه ص: (٩٠).

(٣) معاذ بن أنس الجهني له صحبة مع النبي ﷺ، معدود في أهل مصر، روى عنه ابنه سهل بن معاذ، انظر: الاستيعاب (٢٤٤٤/٣)، وأسد الغابة (٤٩٥٠/٥) والإصابة (٨٠٤٢/٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣) والترمذي (٣٤٥٨)، واللفظ له، وقال حسن غريب، وابن ماجه (٣٢٨٥) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٩٨٩).

(٥) أخرجه النسائي (٦٨٩٨) والإمام أحمد في المسند (٦٢/٤، ٣٧٥/٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٥٩) وحسنه النووي في الأذكار (ص: ٢١٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٧١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه (ح/٥٤٥٨).



صفات الأفعال، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من أئمة الدين الذين يعتد بإجماعهم من علماء المسلمين من الأئمة الأربعة وغيرهم، بل هذه الصفة هي مطلب كل عابد، وغاية كل سالك، وقد تظافت الأدلة من القرآن والسنة بذكر الرضى، أي رضى رب العالمين عن عباده المؤمنين لإيمانهم وطاعتهم وحسن عبادتهم، وإخلاص العبادة له سبحانه وعدم الالتفات إلى سواه عز وجل<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث أن الله تبارك وتعالى يحب من عباده حمده على ما يسديه عليهم من نعم، ولذا قال النبي ﷺ: «ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه»<sup>(٢)</sup>.  
وفي قوله: «يأكل الأكلة» قال الإمام النووي رحمه الله: «الأكلة هنا بفتح الهمزة، وهي المرة الواحدة من الأكل، كالغذاء والعشاء، وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب»<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله في الحديث الثاني: «الحمد لله الذي أطعني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة».

قال العيني رحمه الله: «من غير حول أي طاقة، وهذا اعتراف بالعجز والتقصير، وعدم القدرة في تحصيل هذا الطعام، بل هذا من فضل الله تعالى، يرزق عباده، والله ذو الفضل العظيم»<sup>(٤)</sup>.

وهذا يدل على وجوب التوكل على الله تبارك وتعالى في جلب الرزق وأنه لا يقدر غير الله تبارك وتعالى على الإطعام قدرة مطلقة وإنما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (ص: ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) سبق تخريجه ص: (٥٣).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/٢١٠).

(٤) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب (ص: ٤٦٣).

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٣٣.

وقال ﴿ ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم ﴾<sup>(١)</sup>.

فالمأمور به هو المقدور للعباد وكذلك قوله ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة

أو مسكيناً ذا متربة ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله ﴿ فأطعموا القانع والمعتر ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما

رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله أطعمه ﴾<sup>(٤)</sup>.

فدم من يترك المأمور به اكتفاء بما يجري به القدر، ومن هنا يعرف أن السبب المأمور به

أو المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله تبارك وتعالى في وجود السبب، بل الحاجة والفقر

إلى الله تبارك وتعالى ثابتة مع فعل السبب، إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تام

لحصول المطلوب، ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سبباً إلا بمشيئة الله تعالى،

فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك

ما أوجب الله عليه من التوكل، وأخلّ بواجب التوحيد ولهذا يخذل أمثال هؤلاء إذا اعتمدوا

على الأسباب، فمن رجا نصراً أو رزقاً من غير الله خذله الله، وقد قال تعالى ﴿ ما يفتح الله

للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من

يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾<sup>(٦)</sup> وقال ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل

(١) سورة النساء الآية: ٥.

(٢) سورة البلد الآية: ١٤-١٦.

(٣) سورة الحج الآية: ٢٨.

(٤) سورة يس الآية: ٤٧.

(٥) سورة فاطر الآية: ٢.

(٦) سورة يونس الآية: ١٠٧.

هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمة قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴿<sup>(١)</sup>﴾.

وهذا كما أن من أخذ يدخل في التوكل تاركاً لما أمر به من الأسباب فهو أيضاً جاهل ظالم، عاص لله تعالى بترك ما أمره، فإن فعل المأمور به عبادة لله تعالى، قال تعالى ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ <sup>(٢)(٣)</sup>.

إذا فكمال العبد أن يكون متوكلاً على الله تبارك وتعالى في جلب منفعه، ومفتقراً إليه في حصول مطالبه، مقدماً على فعل الأسباب التي أمر الله تبارك وتعالى بها، وهذا من تمام التوكل.

وفي الحديث الثالث قال إذا فرغ من طعامه «اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت».

قوله «أطعمت وسقيت» أي أنه أنت الذي تفضلت به على عبادك، فالإنسان لولا أن الله تعالى يسر له الطعام من حين أن يندر، ثم ينبث، ثم يحصد، ثم يحضر إليه، ثم يطحن ثم يعجن ثم يطبخ ثم ييسر الله تعالى له الأكل، ما تيسر له <sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى ﴿أفأنتم ما تحرثون أأنتم تزرعون أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت تفكهن إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفأنتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾ <sup>(٥)</sup>.

قال العلامة السعدي: «وهذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيدته وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار،

(١) سورة الزمر الآية: ٣٨.

(٢) سورة هود الآية: ١٢٣.

(٣) انظر: شرح حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي لابن تيمية (ص: ٦٢-٦٣).

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٧/٢٠٧-٢٠٨).

(٥) سورة الواقعة الآية: ٦٣-٧٠.

فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدرُونَ أن يحصوها، فضلاً عن شكرها وأداء حقها، فقرّروهم بمنته، فقال ﴿أأنتم تزرعونها أم نحن الزارعون﴾ أي أنتم أخرجتموه نباتاً من الأرض؟ أم أنتم الذين نعيمتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حباً حصيداً وثماراً نضيجاً؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومتاعاً إلى حين فقال ﴿لونشاء جعلناه﴾ أي الزرع المحرث وما فيه من الثمار ﴿حطاماً﴾ أي فتاتاً متحطماً، لا نفع فيه ولا رزق ﴿فظلمتم﴾ أي فصرتم بسبب جعله حطاماً بعد أن تعبتم فيه، وأنفقتم النفقات الكثيرة ﴿تفكهن﴾ أي تندمون وتحسرون على ما أصابكم، ويزول بذلك فرحكم وسروركم وتفكهنكم فتقولون ﴿إنا لمغرمون﴾ أي إنا قد نقصنا وأصابتنا مصيبة اجتاحتنا.

ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم وبأي سبب دهيتم فتقولون: ﴿بل نحن محرومون﴾ فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم، ثم أبقاه وكمله لكم، ولم يرسل عليه من الآفات ما به تحرمون نفعه وخيره.

﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لونشاء جعلناه أجاجاً فلولا

تشكرون﴾.

لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من

المزن، وهو السحاب والمطر، ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة، ومن نعمته أن جعله عذباً فراتاً تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً مكروهاً للنفوس لا ينتفع به ﴿فلولا تشكرون﴾ الله تعالى على ما أنعم به عليكم<sup>(١)</sup>.

فقوله «أطعمت وسقيت» أي أنت الذي تفضلت به على عبادك تفضلاً وإحساناً منك إليهم.

وقوله «وأغنيت وأقنيت» أي أغنيت العباد بتيسير أمر معاشهم من التجارات وأنواع المكاسب من الحرف وغيرها، وأقنيت أي أفدت عبادك من الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به مقتنين لها ومالكين لكثير من الأعيان، وهذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى، وهذا يوجب للعباد أن يشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له<sup>(٢)</sup>.

وقوله «وهديت» الهداية تتضمن أربعة أنواع:

أحدها: الهداية إلى مصالح الدنيا فهذا مشترك بين الحيوان الناطق والأعجم وبين المؤمن والكافر.

والثاني: الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم وأمرهم بذلك وهو نصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب، فهذا أيضاً يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا، كما قال تعالى ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى ﴿وانك تهدي إلى صراط مستقيم﴾<sup>(٥)</sup> فهذا مع قوله ﴿إنك لا تهدي

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٥).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٢٢).

(٣) سورة فصلت الآية: ١٧.

(٤) سورة الرعد الآية: ٧.

(٥) سورة الشورى الآية: ٥٢.

من أحييت ﴿<sup>(١)</sup>﴾ بين أن الهدى الذي أثبتته هو البيان والدعاء والأمر والنهي والتعليم وما يتبع ذلك، ليس هو الهدى الذي نفاه وهو القسم الثالث الذي لا يقدر عليه إلا الله.

والقسم الثالث: الهدى الذي هو جعل الهدى في القلب وإيثاره، وذلك لله وحده، وهذه الهداية هي هداية التوفيق والإلهام، وهذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

والقسم الرابع: الهدى في الآخرة كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

فقوله « وهديت » يتضمن هذه الأقسام الأربعة من أقسام الهداية .

وقوله « وأحييت » أي أحييتنا بالطعام والشراب، أو أحييت قلوبنا بالإسلام<sup>(٥)</sup>.

وقوله « فلك الحمد على ما أعطيت » أي لك الحمد على ما تفضلت به من

إسباغ هذه النعم إحساناً منك وتكرماً.

وقوله في الحديث الرابع « الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع

ولا مستغنى عنه ربنا ».

قوله « كثيراً » أي حمداً كثيراً.

وقوله « طيباً » أي خالصاً صالحاً<sup>(٦)</sup>.

وقوله « مباركاً فيه » هذا يحتمل أن يكون تأكيداً وهو الظاهر، وقيل الأول بمعنى

الزيادة والثاني بمعنى البقاء<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة القصص الآية: ٥٦.

(٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ص: ١٤١).

(٣) سورة يونس الآية: ٩.

(٤) انظر: شرح حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٥٤-٥٧).

(٥) انظر: العلم الهيب (ص: ٤٦٥).

(٦) انظر: العلم الهيب (ص: ٤٦٥).

(٧) انظر: فتح الباري (٢/٣٣٤).

وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة، وطعام بريك كأنه مبارك، والمبارك وصف لوجود البركة في الشيء، وبارك الله تعالى فيه فهو مبارك، والأصل مبارك فيه، ومبارك مفعول بارك<sup>(١)</sup>.

وقوله « غير مكفي » بفتح الميم وسكون الكاف وكسر الفاء وتشديد التحتانية<sup>(٢)</sup> وهو يروى بوجهين، بالهمز وعدمه، وخطئت رواية الهمز، فإنه اسم مفعول من الكفاية، فوجهه غير مكفي كرمي ومقضي، أو من المكافأة، فالمفعول منه مكافي كرامي من راماه، ومساعي من ساعاه، أو من كفاه يكفيه فمفعوله مكفي كرمي من رميت<sup>(٣)</sup>.

ومعنى غير مكفي غير مصروف ومقلوب عن جهته كما يكفأ الإناء بل حمد على وجهه الذي يستحقه ولي الحمد وأهله، ويليق به ولا ينبغي لسواه<sup>(٤)</sup>.  
والرب تعالى يمتنع أن يكون المخلوق مكافياً له أو متفضلاً عليه، بل ولا يزال الله تعالى هو المنعم المتفضل على العبد وحده لا شريك له في ذلك، بل ما بالخلق كلهم من نعمة فمن الله تبارك وتعالى وحده، وسعادة العبد في كمال افتقاره إلى الله تعالى واحتياجه إليه<sup>(٥)</sup>.

وقوله « ولا مودع » بفتح الدال الثقيلة أي غير متروك، ويحتمل كسرهما على أنه حال من القائل أي غير تارك<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب (٣٨٧/١) مادة برك، والمصباح المنير للفيومي (٤٥/١) وبدائع الفوائد (٤٢٣/١) والتبرك أنواعه وأحكامه (ص: ٢٨).

(٢) انظر: فتح الباري (٤٩٣/٩).

(٣) انظر: مطالع السعد بكشف مواقع الحمد (ص: ٤٤-٤٥) والنهاية لابن الأثير (١٨٢/٤).

(٤) انظر: مطالع السعد (ص: ٤٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٤١/١).

(٦) انظر: فتح الباري (٤٩٤/٩).

وقوله « ولا مستغني عنه » أي أن الإنسان وكل مخلوق فقير إلى الله بالذات، وفقره من لوازم ذاته، يمتنع أن يكون إلا فقيراً إلى خالقه، وليس أحد غنياً بنفسه إلا الله وحده، فهو الصمد الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، فالعبد فقير إلى الله تعالى من جهة ربوبيته ومن جهة إلهيته<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: « وسمعت شيخنا تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه يقول في معنى هذا الحديث: « المخلوق إذا أنعم عليك بنعمة أمكنك أن تكافئه، ونعمه لا تدوم عليك، بل لا بد أن يودعك، ويقطعها عنك ويمكنك أن تستغني عنه، والله عز وجل لا يمكن أن تكافئه على نعمه، وإذا أنعم عليك أدام نعمه، فإنه أغنى وأقنى ولا يستغني عنه طرفة عين »<sup>(٢)</sup>.

فتضمن هذا الموطن الذي يتأكد فيه حمد الله تعالى وهو حصول هذه النعمة التي تقوم بها الأبدان استحقاق الله تبارك وتعالى للحمد الذي لا يستحقه غيره، وأن كل النعم منه تبارك وتعالى كما قال تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا يوجب على العبد شكره وعبادته وحده لا شريك له.

وتضمن أيضاً امثال أمر الله تبارك وتعالى بذكره وشكره على نعمائه، كما قال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال النبي ﷺ لمعاذ « والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤٢/١).

(٢) مطالع السعد بكشف مواقع الحمد (ص: ٤٩).

(٣) سورة النحل الآية: ٥٣.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

(٥) أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٥٣/٣) وأحمد في المسند (٢٤٤/١-٢٤٥، ٢٤٧) وابن حبان



وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتم إلا بتوحيده. فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلاته وإحسانه إلى خلقه. وأما الشكر فهو القيام بطاعته سبحانه، والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهراً وباطناً. وهذان الأمران هما جماع الدين التي خلق لأجلها الجن والإنس والسموات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض وما بينهما، وضدها هو الباطل والعبث الذي يتعالى ويتقدس الله تعالى عنه، وهو ظن أعدائه به.

قال تعالى ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا ﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ﴾<sup>(٢)</sup>.

فثبت بما ذكر أن غاية الخلق والأمر أن يذكر وأن يشكر، يذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وهو سبحانه ذاكر لمن ذكره، شاكر لمن شكره، فذكره سبب لذكره، وشكره سبب لزيادته من فضله<sup>(٣)</sup>، والله تعالى أعلم.

(٢٣٤٥ موارد) وابن خزيمة في صحيحه (٧٥١) والحاكم في المستدرک (٢٧٣/١) وصححه الألباني في

صحيح سنن أبي داود (١٣٦٢) وفي تخریج العقيدة الطحاوية (٣٣٥).

(١) سورة ص الآية: ٢٧.

(٢) سورة الدخان الآية: ٣٨-٣٩.

(٣) انظر: الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٣-١٩٤).

### المطلب الثالث: في حمد الله تعالى عند وقوع الضراء

لما سبق في المطلب السابق وأن تكلمت على ما يحدثه الله تبارك وتعالى لعبده المؤمن من نعم في سرائه ورخائه وأن تلك النعم متجددة لعباده مستحقة لحمده تبارك وتعالى، وقد سبق وأن ذكرت تلك النعمة التي تقوم بها الأبدان وهي نعمة الأكل والشرب، ناسب أن أذكر في هذا المطلب ما يصاب به العبد في نفسه وهو مستوجب لحمد الله تعالى، وما يلحق ذلك من ثمار عظيمة يجنيها العبد المؤمن في الحياة وما ادخر له في الدار الآخرة أجل وأعظم. فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبت من قضاء الله عز وجل للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر، المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته»<sup>(١)</sup>.

وهذا من الرضا بقضاء الله عز وجل وما يقضيه لعبده المؤمن ولهذا لم يجيء في القرآن إلا مدح الراضين بقضاء الله عز وجل.

والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكما له هو الحمد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكما له هو الحمد، حتى إن بعضهم فسر الحمد بالرضا، ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله تعالى على كل حال وذلك يتضمن الرضا بقضائه»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث «أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم (١٤٨٧) وقال الشيخ أحمد شاکر إسناده صحيح (٤٩/٣)، وقال في مجمع الزوائد (٢٠٩/٧) أخرجه أحمد بأسانيد، ورجاها كلها رجال الصحيح، قال الشيخ أحمد شاکر: وفي هذا شيء من التساهل فإن الروايات (١٤٩٢، ١٥٣١، ١٥٧٥) كلها من رواية عمر بن سعد هذا، وهو ليس من رجال الصحيح في اصطلاحه، إذ ليست له رواية في واحد من الصحيحين، والحديث أصله في مسلم دون زيادة الحمد برقم (٢٩٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٣/١٠).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ص (٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦٩/٥)، والحاكم في المستدرک (٥٠٢/١)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحبه قال: « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات »، وإذا رأى ما يكره قال: « الحمد لله على كل حال »<sup>(١)</sup>.

وقضاء الله ﷻ نوعان: ديني وكوني، فالديني يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام، والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعائب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب، وفي وجوبه قولان، هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي.

وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله، كعلمه وكتابه وتقديره ومشئته، فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المعنى أيضاً أي حمد الله تعالى عند وقوع البلاء، حمد الله تعالى عند فقد الولد، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد »<sup>(٣)</sup>.

وأضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة لأنه جزاء ذلك الحمد<sup>(٤)</sup>. فهذا فيه فضيلة عظيمة من فضائل حمد الله تعالى عند حصول البلاء الذي يصابه

(٢/٩٤): وأخرجه ابن المبارك في الزهد بسند صحيح عن ابن جبير موقوفاً عليه وهو الصواب.

(١) أخرجه ابن ماجه (رقم ٣٨٠٣) واللفظ له، وقال في الزوائد (٣-٣٨) إسناده صحيح رجاله ثقات، والحاكم في المستدرک (١/٤٩٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم (٤٧٢٧).

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/٢٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (ح/١٠٢١) وأحمد في المسند (٤/٤١٥) وابن حبان في صحيحه (٧٢٦) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (١٤٠٨).

(٤) انظر: تحفة الأحوذی شرح سنن الترمذي (٤/٨٧).

المؤمن في نفسه وأهله وأن ذلك هو أكمل حال.

والحمد على الضراء يوجهه أمران:

١- علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه.

٢- علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن، خير من اختياره لنفسه، قال شيخ

الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « والحمد على الضراء يوجهه مشهذان:

أحدهما: علم العبد بأنه سبحانه مستوجب لذلك، مستحق له لنفسه، فإنه أحسن

كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.

والثاني: علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه كما روى

مسلم في صحيحه وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: « والذي نفسي بيده لا يقضي الله

للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر

فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »<sup>(١)</sup>.

فأخبر النبي ﷺ أن كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذي يصبر على البلاء ويشكر

على السراء فهو خير له، قال تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأما من لا يصبر على البلاء، ولا يشكر على الرخاء، فلا يلزم أن يكون القضاء

خيراً له، ولهذا أجيب من أورد هذا على ما يقضي على المؤمن من المعاصي بجوابين:

أحدهما: أن هذا إنما يتناول ما أصاب العبد لا ما فعله العبد كما في قوله تعالى

﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ﴾ أي من سراء ﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾<sup>(٣)</sup> أي

من ضراء، وكقوله تعالى ﴿ ولولناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون ﴾<sup>(٤)</sup> أي بالسراء

والضراء كما قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى ﴿ إن تمسكم حسنة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرفائق ، باب : المؤمن أمره كله خير (ح/٢٩٩٩).

(٢) سورة إبراهيم الآية: ٥.

(٣) سورة النساء الآية: ٧٩.

(٤) سورة الأعراف الآية: ١٦٨.

(٥) سورة الأنبياء الآية: ٣٥.

تسؤمهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴿١﴾.

فالحسنات والسيئات يراد بها المسار والمضار، ويراد بها الطاعات والمعاصي.  
والجواب الثاني: إن هذا في حق المؤمن الصبار الشكور، والذنوب تنقص الإيمان،  
فإذا تاب العبد أحبه الله تعالى، وقد ترتفع درجته بالتوبة ﴿٢﴾.  
فإذا كان العبد المؤمن يعلم أن القضاء خير له إذا كان صباراً شكوراً، أو كان قد  
استخار الله تعالى وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله تعالى ورضاه بما قسم الله  
تبارك وتعالى كان قد رضي بما هو خير له.  
ثم إذا كان الصبر على القضاء خيراً له فكيف مع الرضا الذي قد فسر بالحمد  
كما قد سبق، فحمد الله تعالى عند حلول المصائب هو أكمل من الصبر، ولذا فقد  
رتب عليه من الفضل والأجر الشيء الكثير.  
والمقصود أن ما أصاب الإنسان إن كان يسوءه، فهو نعمة من جهة أنه يكفر  
خطاياها، ويتاب بالصبر عليه، ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها ﴿٣﴾ وعسى أن  
تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٣﴾ ولأن  
صاحب السراء أحوج إلى الشكر وصاحب الضراء أحوج إلى الصبر، فإن صبر هذا  
وشكر هذا واجب، إذا تركه استحق العقاب، وأما صبر صاحب السراء، فقد يكون  
مستحباً إذا كان عن فضول الشهوات، وقد يكون واجباً، ولكن لإتيانه بالشكر الذي  
هو حسنات يغفر له ما يغفر من سيئاته.  
وكذلك صاحب الضراء، لا يكون الشكر في حقه مستحباً إذا كان شكراً يصير به،

(١) سورة آل عمران الآية: ١٢٠.

(٢) التحفة العراقية (ص: ٦٠).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢١٦.

من السابقين المقربين، وقد يكون تقصيره في الشكر مما يغفر له، لما يأتي به من الصبر<sup>(١)</sup>.  
والله تعالى منعم بهذا كله، فكل ما يفعله الله فهو نعمة منه، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الحسنة والسيئة لابن تيمية (ص: ٨٦).

### المطلب الرابع: حمد الله تعالى عند العطاس

العين والطاء والسين كلمة واحدة ، ثم تستعار، وهي العطاس يقال: عطس فلان يعطس عطسة، والاسم العطاس، ومعطس الرجل أنفه؛ لأن العطاس منه يخرج، وهو بكسر الطاء لا غير، ويسمى الصبح عطاساً، وقد عطس الصبح إذا انفلق<sup>(١)</sup>، وقد كان العرب في الجاهلية يتطيرون ويشاءمون من العطاس كما يتشاءمون بالبوارح<sup>(٢)</sup> والسوانح<sup>(٣)(٤)</sup>.

قال امرؤ القيس<sup>(٥)</sup>:

وقد أعتدي قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق<sup>(٦)</sup>

أراد أنه كان ينتبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه، وكانوا إذا عطس من يجبونه قالوا له: عمراً وشباباً، وإذا عطس من يبغضونه قالوا له: وريراً<sup>(٧)</sup> وقحاًباً<sup>(٨)(٩)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٣٥٤-٣٥٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢/٦٤-٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده (١/٢٨٨).

(٢) البوارح: شدة الرياح من الشمال في الصيف دون الشتاء، لسان العرب (١/٣٣٣) مادة برح.

(٣) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظني أو طائر أو غير ذلك، لسان العرب (٦/٣٨٥) مادة سنح.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٢/٦٥) ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/٣٥٦).

(٥) هو حامل لواء الشعر امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن الحارث مات سنة ٨٠ قبل الهجرة، وهو صاحب المعلقة المشهورة.

انظر: المعلقات العشر وأخبار شعرائها (ص: ٢) وما بعدها، والعصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف (ص: ٢٣٢).

(٦) ديوان امرئ القيس (ص: ١٠٥).

(٧) الوري: الكرمي، داء يصيب الكبد فيفسدها، لسان العرب (٥/٢٨١) مادة وري.

(٨) القحباب كالسعال وزناً ومعنى، لسان العرب (١١/٤١).

(٩) انظر: تهذيب اللغة (٢/٦٥).

وتقول العرب للرجل إذا مات عطست به اللحم، واللحمة كل ما تطيرت منه.

ويقال للموت: لجم عطوس<sup>(١)</sup>.

قال رؤبة بن العجاج:

ينضوا السرى والسفر الدعوسا ألا تخاف اللحم العطوسا<sup>(٢)</sup>.

وكان العرب يتشاءمون بالعطسة الشديدة أشد<sup>(٣)</sup>.

فلما جاء الله تعالى بالإسلام، وأبطل برسوله ﷺ ما كان عليه الجاهلية من

الضلالة فهي أمتة عن التشاؤم والتطير.

وقد حرم الإسلام الطيرة وعدّها من الشرك، ومن الأمور المنافية للتوحيد، ووجه

منافاتها للتوحيد:

١- إن المتطير قطع توكله على الله ﷻ واعتمد على غير الله.

٢- إنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخيل فأبي رابطة بين هذا الأمر،

وبين ما يحصل له، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال

تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>.

والطيرة لا تضر إلا من اعتقدها، ولذا فإن معتقدها دائم الخوف، مضطرب

الفكر، متردداً في أفعاله، عنده من التردد وضعف اليقين بالله ﷻ وعدم التوكل عليه

ما يعكر عليه صفو حياته.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف،

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦٥/٢).

(٢) مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج (ص: ٧١).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٣٥٦/٣).

(٤) سورة الفاتحة الآية: ٤.

(٥) سورة هود الآية: ١٢٣.

(٦) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٩٣/٢-٩٤).



وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئاً لم يضره البتة، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: « اللهم لا تطير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك »<sup>(١)</sup>.

فالتطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخوفيه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره.

واعلم أن من كان معتنياً بها قائلاً بما كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدر، وتفتحت له أبواب الوسوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه.

والتطير متعب القلب، منكد الصدر، كاسف البال، سيء الخلق، يتخيل من كل ما يراه أو يسمعه، أشد الناس خوفاً، وأنكدهم عيشاً، وأضيق الناس صدراً، وأحزهم قلباً، كثير الاحتراز والمراعاة لما يضره ولا ينفعه، وكم قد حرم نفسه بذلك من حظ! ومنعها من رزق! وقطع عليها من فائدة! «<sup>(٢)</sup>.

إذاً فالتطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد، والتطير لا يخلو من أمرين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير

والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي في قلق وهمّ وغمّ يخشى من تأثير هذا التطير به، وهذا أهون.

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد<sup>(٣)</sup>.

(١) القطعة الأولى أخرجها أحمد في المسند (٢٢٠/٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٩٣) وقال

المهشمي في مجمع الزوائد (١٠٥/٥) فيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات «.

والقطعة الثانية أخرجها أبو داود (٣٧١٩) وابن السني (٢٩٤) والبيهقي (١٣٩/٨) وقال النووي في

الرياض كما في دليل الفالحين (ص: ٨٠٦): «أخرج أبو داود بإسناد صحيح».

(٢) مفتاح دار السعادة (٢٧١/١-٢٧٣).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٩٤/٢).

ولذلك جاء الإسلام بتحريم الطيرة والنهي عنها، قال الله تعالى عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: « يقول تعالى ذكره فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ نحن أولى بها ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ يعني جذوب وقحوط وبلاء ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾ يقول: يتشاءمون بهم، ويقولوا ذهب حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام »<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: « وهذا يحتمل أن يكون نفيًا، وأن يكون نهيًا أي لا تطيروا ولكن قوله في الحديث « ولا عدوى ولا صفر ولا هامة » يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت في الجاهلية تعانيتها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه »<sup>(٤)</sup>.

ولما كان أهل الجاهلية يتطيرون بالعطاس ويعتقدون فيه أنه داء، ويكره أحدهم أن يعطس، ويود أنه لم يصدر منه لما في ذلك من الشؤم، وكان العاطس يجلس نفسه عن العطاس، ويمتنع من ذلك جهده من سوء اعتقاد جهالمهم فيه<sup>(٥)</sup>، جاء النبي ﷺ بإبطال هذا المعتقد المنافي لكمال التوحيد الواجب<sup>(٦)</sup>، وأعلمهم أنه ليس بداء، ولكنه

(١) سورة الأعراف الآية: ١٣١.

(٢) جامع البيان (٢٩/٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب: لا هامة (ح/٥٧٥٧) ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة (ح/٢٢٢٠).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢٨١/٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٥٨/٣).

(٦) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٦٦).

أمر يحبه الله جلّ وعلا، وهو نعمة منه يستوجب عليها من عبده أن يحمده عليها.  
 عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله يحب العطاس ويكره  
 التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما  
 التثاؤب فإما هو من الشيطان، فليرده ما استطاع، فإذا قال: هاء، ضحك  
 منه الشيطان »<sup>(١)</sup>.

وذلك أن العطاس نعمة من الله، لخروج هذه الريح المختنقة في أجزاء بدن  
 الإنسان، يسر الله لها منفذاً تخرج منه فيستريح العاطس، فشرع له أن يحمد الله على  
 هذه النعمة<sup>(٢)</sup>.

والتثاؤب غالباً لثقل البدن وامتلائه واسترخائه، فيميل إلى الكسل، فأضافه إلى  
 الشيطان؛ لأنه يرضيه، أو من تسببه لدعائه إلى الشهوات<sup>(٣)</sup>.

فالعطاس إذاً نعمة تحصل به منفعة بخروج الأبخرة المختنقة في دماغه التي لو بقيت  
 فيه أحدثت له أدواءً عسرة، ولذلك فقد شرع للمسلم أن يحمد الله تعالى على هذه  
 النعمة مع بقاء أعضائه على التمامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة  
 الأرض لها<sup>(٤)</sup>.

وقد شرع للمسلم إذا سمع أخاه المسلم يحمد الله على العطاس أن يدعو له  
 بالرحمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله  
 وليقل له أخوه أو صاحبه، يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله  
 ويصلح بالكم »<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: ما يستحب من العطاس (ح/٦٢٢٣).

(٢) انظر: شرح جوامع الأخبار للسعدي (ص: ٦٦).

(٣) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٣١٩).

(٤) انظر: زاد المعاد (٢/٤٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: إذا عطس كيف يشمت (ح/٦٢٢٤).

المراد بالأخوة أخوة الإسلام.

وقوله «يرحمك الله» قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن دقيق العيد<sup>(١)</sup>: يحتتمل أن يكون دعاء بالرحمة، ويحتتمل أن يكون إخباراً على طريق البشارة كما قال في الحديث الآخر «طهور إن شاء الله» أي هي طهر لك، فكأن المشتمت بشر العاطس بحصول الرحمة له في المستقبل بسبب حصولها في الحال لكونها دفعت ما يضره<sup>(٢)</sup>.

وقوله «يهدىكم الله ويصلح بالكم» أي شأنكم كله<sup>(٣)</sup>.

فهذا الحديث دل على عظيم نعمة الله تعالى على العاطس، يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله تعالى على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلاً منه وإحساناً، وفي هذا لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في إيمانه حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام عديدة، ويداخله من حب الله تبارك وتعالى الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في باله، ومن حب الرسول ﷺ الذي جاءت معرفة هذا الخير على يده والعلم الذي جاءت به سنته ما لا يقدر قدره<sup>(٤)</sup>.

وكان من هدي النبي ﷺ في العطاس أنه كان يخفض به صوته ويغطي وجهه لئلا يتضرر بذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض<sup>(٥)</sup> بها صوته<sup>(١)</sup>».

(١) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح تقي الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد، عالم بالأصول والفقه والحديث، صاحب تصانيف ولد سنة ٦٢٥هـ من مصنفاته: إحكام الأحكام شرح

عمدة الأحكام، والإمام شرح الإمام، والاقتراح في بيان الاصطلاح، وغيرها مات سنة ٧٠٢.

انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٥/٦)، فوات الوفيات (٢٤٤/٢)، والدرر الكامنة (٩١/٤).

(٢) فتح الباري (٦٢٤/١٠)، وانظر: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد (٣٧٧/٢).

(٣) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب (ص: ٤٩٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٦٢٥/١٠).

(٥) أي خفض.

وكان من هديه ﷺ أن لا يشمت العاطس إلا إذا سمعه يحمد الله ﷻ.

عن أنس رضي الله عنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال الرجل: يا رسول الله شمت هذا ولم تشمتني، قال: « إن هذا حمد الله ولم تحمد الله »<sup>(٢)</sup>.

قال النووي رحمه الله: « هذا تصريح بالأمر بالتشميت إذا حمد العاطس، وتصريح بالنهي عن تشميته إذا لم يحمده فيكره تشميته إذا لم يحمده، فلو حمد ولم يسمعه الإنسان لم يشمته »<sup>(٣)</sup>.

والمقصود هنا أن التطير من العطاس من فعل الجاهلية الذي أبطله الإسلام وأخبر النبي ﷺ أن الله يحب العطاس، وقد شرع حمد الله تبارك وتعالى على العطاس بدلاً من أقوال أهل الجاهلية التي يقولونها عند العطاس والتي يعبرون بها عن تشاؤمهم من العطاس، والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٢٩) وأحمد في المسند (٤٣٩/٢) والبخاري في شرح السنة (٣١٤/١٢) والحاكم

في المستدرک (٢٦٤/٤) وقال: صحيح وأقره الذهبي، وقال الحافظ في الفتح (٦٠٢/١٠): إسناده جيد.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب: تشميت العاطس (ح/٢٩٩١).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤١٤/٦).

## الباب الثالث

# الرد على المفاهيم الخاطئة في الحمد

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: الرد على حمد المظلة

الفصل الثاني: الرد على حمد المتزلة

الفصل الثالث: الرد على حمد الجبرية

الفصل الأول  
الرد على حمد المعطلة

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: **تعريف المعطلة**  
المبحث الثاني: **نشأة المعطلة**  
المبحث الثالث: **الرد على شبهة المعطلة في الحمد**

لما سبق فيما تعرضت له من مباحث أن حمد الله تبارك وتعالى هو وصف المحمود بالكمال على وجه يليق بجلاله، إثباتاً بلا تعطيل وتنزيهاً بلا تمثيل، وأن أهل السنة والجماعة يقولون إن تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته، كما أن إثبات صفات الكمال والحمد واجب لذاته، وهو أظهر في العقول والفطر وجميع الكتب الإلهية وأقوال الرسل من كل شيء.

كما أن حمد الله تعالى يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه، والخضوع له، فلا يكون حامداً لله تبارك وتعالى من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له.

وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله تعالى حمداً لا يحصيه سواه، لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه، لما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه، ولهذا ذم الله تعالى آلهة الكفار، وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها، فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تتكلم ولا تهدي، ولا تنفع ولا تضر، وهذه صفة إله الجهمية التي عاب بها الأصنام، نسبوا إليه، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

فقال عن خليله إبراهيم عليه السلام في محاجته لأبيه ﴿يا أبت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعني عنك شيئاً﴾<sup>(١)</sup>، فلو كان إله إبراهيم بهذه الصفة والمثابة لقال له آزر: وأنت إلهك بهذه المثابة، فكيف تنكر عليّ؟ لكن كان مع شركه أعرف بالله من الجهمية، وقال تعالى عائباً على قوم موسى في اتخاذهم العجل: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خواراً لميروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة مريم آية: ٤٥.

(٢) سورة الأعراف آية: ١٤٨.



فلو كان إله الخلق سبحانه كذلك لم يكن في هذا إنكار عليهم، واستدلال على بطلان الإلهية بذلك.

فإن قيل: فالله تعالى لا يكلم عباده.

قيل: بلى، قد كلمهم، فمنهم من كلمه الله من وراء حجاب، منه إليه بلا واسطة، كموسى عليه السلام، ومنهم من كلمه الله تعالى على لسان رسوله الملكي، وهم الأنبياء، وكلم الله سائر الناس على ألسنة رسله، فأنزل عليهم كلامه الذي بلغه رسله عنه، وقالوا لهم: هذا كلام الله الذي تكلم به، وأمرنا بتبليغه إليكم.

قال تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هاهنا قال السلف: من أنكر كون الله متكلماً فقد أنكر رسالة الرسل كلهم؛ لأن حقيقتها تبليغ كلامه الذي تكلم به إلى عباده، فإذا انتفى كلامه انتفت الرسالة، وقال تعالى عن السامري: ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقال هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً﴾<sup>(٢)</sup>، ورجع القول هو التكلم والتكليم، وقال تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾<sup>(٣)</sup>، فجعل نفي صفة الكلام موجباً لبطلان الإلهية.

وهذا معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً ولا مدبراً ولا رباً، بل هو مذموم، معيب ناقص، ليس له الحمد لا في الأولى ولا في الآخرة، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لأجلها استحق الحمد.

(١) سورة الشورى آية: ٥١.

(٢) سورة طه آية: ٨٨.

(٣) سورة النحل آية: ٧٦.

ولهذا سمى السلف كتبهم التي صنّفوها في السنة، وإثبات صفات الرب وعلوه على خلقه، وكلامه وتكليمه توحيداً، لأن نفي ذلك وإنكاره والكفر به إنكار للصانع، وجحد له وإنما توحيداً: إثبات صفات كماله، وتنزيهه عن التشبيه والنقائص.

فجعل المعطلة جحد الصفات، وتعطيل الصانع عنها توحيداً، وجعلوا إثباتها لله تعالى تشبيهاً وتجسيماً وتركيباً، فسموا الباطل باسم الحق، ترغيباً فيه، وزخرفاً يلفقونه به، وسموا الحق باسم الباطل تنفيراً عنه.

والمحمود سبحانه لا يحمد على العدم والسكوت ألبتة، إلا إذا كانت سلب عيوب ونقائص، تتضمن إثبات أضرارها من الكمالات الثبوتية، وإلا فالسلب المحض لا حمد فيه، ولا مدح ولا كمال، كما سبق بيانه.

ولهذا لا يحمد نفسه سبحانه بعلم إلا إذا كان متضمناً لثبوت كمال، كما حمد نفسه بكونه لا ينم لتضمنه كمال حياته، وحمد نفسه بأنه لا يظلم أحداً لكمال عدله وإحسانه، وحمد نفسه بأنه لا تدركه الأبصار لكمال عظمته، يرى ولا يدرك، كما أنه يعلم ولا يحاط به علماً. فمجرد نفي الرؤية ليس بكمال، لأن العدم لا يرى، فليس في كون الشيء لا يرى كمال ألبتة، وإنما الكمال في كونه لا يحاط به رؤيةً ولا إدراكاً، لعظمته في نفسه وتعالیه عن إدراك المخلوق له.

فكل سلب في القرآن حمد الله تبارك وتعالى به نفسه فلمضادته لثبوت ضده، ولتضمنه ثبوت كمال ضده.

فيهذا يعلم أن حقيقة حمد الله تعالى تابعة لثبوت أوصاف الكمال له سبحانه، وأن نفيها نفي لحمده، ونفي الحمد مستلزم لثبوت ضده<sup>(١)</sup>.

إذا تقرر هذا فقد هدى الله تعالى أتباع سلف الأمة أهل السنة والجماعة للطريقة المثلى فأثبتوا لله تبارك وتعالى حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فوصفوا الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٣٣).

من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكيف.

وهذا الاعتقاد الرشيد الذي وفق الله تبارك وتعالى فيه أهل السنة والجماعة إلى الطريق القويم قد ضلت فيه فئام من الناس وانحرفت فيه أفهام.

فالجهمية ينكرون صفات الله ﷻ، بل إن غلاتهم ينكرون أسماء الله تبارك وتعالى، ويقولون: لا يجوز أن نثبت لله تعالى اسماً ولا صفة؛ لأنك إذا أثبت له اسماً شبهته بالمسميات، وإذا أثبت له صفة شبهته بالموصوفات!! إذا لا نثبت اسماً ولا صفة!! وما أضاف الله تبارك وتعالى لنفسه من الأسماء فهو من باب المجاز، وليس من باب التسمي بهذه الأسماء!!

والمعتزلة ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء.

والأشعرية يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات.

كل هؤلاء يشملهم اسم التعطيل، لكن بعضهم معطل تعطيلاً كاملاً، كالجهمية، وبعضهم تعطيلاً نسبياً مثل المعتزلة والأشعرية.

وأما المشبهة فيثبتون لله الصفات، ويقولون: يجب أن نثبت لله تعالى الصفات؛ لأنه أثبتنا لنفسه، لكن يقولون: إنها مثل صفات المخلوقين.

فهؤلاء غلوا في الإثبات، وأهل التعطيل غلوا في التنزيه وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين؛ فنأخذ بالحق في باب التنزيه، فلا نمثل، ونأخذ بالحق في جانب الإثبات؛ فلا نعطل، بل إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

وبعد هذا العرض الموجز لمذهب أهل السنة والجماعة وما خصوا به من التوفيق للمنهج السديد في حمد الله تبارك وتعالى بين طرفي نقيض<sup>(١)</sup>.

وإني بصدد هذا الباب سأعرض للمفاهيم الخاطئة في حمد الله تبارك وتعالى، وقد قسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول، وسأعرض في الفصل الأول لمقالة التعطيل وشبهتها في حمد الله تبارك وتعالى مع دحض تلك الشبه بالأدلة السمعية والعقلية وردود أهل السنة والجماعة فأقول وبالله التوفيق:

(١) كما دلت عليه النصوص المتقدمة فيما سبق وأن ذكرته من منهجهم في الأبواب السابقة. انظر ص: (٢٠٠).

المبحث الأول  
تعريف التعطيل لغة واصطلاحاً

## المبحث الأول: تعريف التعطيل لغة واصطلاحاً

التعطيل في اللغة مأخوذ من مادة عطل، والعين والطاء واللام يدل على الخلو والفراغ؛ تقول: عطلت الدار، ودار معطّلة، وميتى تركت الإبل بلا راع فقد عطّلت، وكذلك البئر إذا لم تولد ولم يستق منها فهي معطّلة، قال الله تعالى: ﴿وَبَرِّمَعْطَلَةً﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عَطَلَتْ﴾<sup>(٢)</sup>، وكل شيء خلا من حافظ فقد عطّل.

قال في الصحاح: «والعطل مصدر عطلت المرأة وتعطلت: إذا خلا جيدها من القلائد فهي عَطُلٌ بالضم، وعاطل، ومعطال.

وقد يستخدم العطل في الخلو من الشيء، وإن كان أصله في الخلي، يقال: عطل الرجل من المال والأدب فهو عَطُلٌ وعَطُلٌ، مثل عُسْرٌ وعُسْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

ويظهر من خلال الاستعمال اللغوي للتعطيل أن معنى التعطيل يدور حول معاني: الخلو والتفريغ، وهذا المعنى هو المستعمل في الاصطلاح وهو المعبر عنه في الشرع في نحو قوله تعالى: ﴿وَبَرِّمَعْطَلَةً﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عَطَلَتْ﴾<sup>(٥)</sup>، فقد فسرها بعض السلف بهذه المعاني الواردة في اللغة فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «معطلة: التي قد تركت» وقال غيره: «لا أهل لها»<sup>(٦)</sup>.

وهذا هو المعنى الاصطلاحي للتعطيل حيث إن المراد بتعطيل الباري سبحانه

(١) سورة الحج آية: ٤٥.

(٢) سورة التكوير آية: ٤.

(٣) الصحاح (١٧٧٦/٥-١٧٧٨).

(٤) سورة الحج آية: ٤٥.

(٥) سورة التكوير آية: ٤.

(٦) انظر: جامع البيان (١٨٠/١٠).

وتعالى نفى الصفات عنه، وأن المراد بتعطيل نصوص الصفات إخلؤها من دلالتها الحقيقية على ما تضمنته من معان.

وهذا هو التعطيل المحض الذي قال به ملاحدة الفلاسفة الدهرية<sup>(١)</sup> والقرامطة<sup>(٢)</sup> صراحة، وتابعهم على ذلك الجهمية والمعتزلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الأصل الباطل الذي أصله نفاة الصفات الجهمية المحضة من المعتزلة وغيرهم، هو الذي فارقهم به جميع المثبتة للصفات من السلف والأئمة وأهل الفقه والحديث والتصوف والتفسير، وأصناف نظار المثبتة: كالكلابية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم، وكالهشامية والكرامية وغيرهما من طوائف نظار المثبتة للصفات وعلى هذا أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة وأئمة الفقهاء من أتباعهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتبين أن التعطيل في الاصطلاح يختلف تعريفه باختلاف صورته وأنواعه ويمكن أن ينقسم إلى قسمين أساسيين هما:-

١- تعطيل كلي محض: وهو تعطيل الشرائع وتعطيل المصنوع عن الصانع، وتعطيل الصانع عن صفات كماله، وتعطيل العالم عن الحق الذي خلق له وبه (٤).

(١) هم طائفة شاذة من الفلاسفة يقولون بأن الله تعالى له الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئاً باختياره ألبتة، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلاً، لا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئاً من المغيبات. انظر إغاثة اللهفان لابن القيم (٣٧٣/٢).

(٢) الباطنية ظهرت دعوتهم في أيام المأمون من حمدان قرمط، ومن عبد الله بن ميمون القداح، وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام بل هي من فرق المجوس. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٨٢) وتبليس إبليس لابن الجوزي (ص: ١٠٤)، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي (ص: ٢٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/١٤٨-١٤٩).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٦٨).

وهؤلاء المعطلة هم الدهرية الطباعية من فلاسفة اليونان ونحوهم(١). وهذا القسم يدخل تحته أيضا الجهمية والمعتزلة الذين ينفون صفات البارى تبارك وتعالى(٢).

٢- تعطيل جزئي وهو ما تعلق بنوع معين من الصفات وإن كان الأصل لديهم هو الإثبات جملة، كالكلابية والأشعرية والماتريدية(٣).

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٦٨/٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣١/١٣).

(٣) انظر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات لأحمد القاضي (ص: ٩٦).

المبحث الثاني  
نشأة مجلة التعطيل



## المبحث الثاني: نشأة مقالة التعطيل

مضى الرعيل الأول من الصحابة وحتى أواخر عصر التابعين على المحجة البيضاء التي تركهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن الناس إذ ذاك أحدثوا شيئا من نفي الصفات إلى أن ظهر في أوائل المائة الثانية الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، ومن اتبعهما من المعتزلة وغيرهم على إنكار الصفات<sup>(١)</sup>.

وحكى الإمام أحمد رحمه الله قصة انتحال جهم لمذهب النفاة فيقول: « وكان الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم معشرا كثيرا، فكان مما بلغنا من أمر الجهم، عدو الله، أنه كان من أهل خرسان، من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله، فلقي أناسا من الكفار يقال لهم السحنية، فعرفوا الجهم، فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألسنت تزعم أن لك إلهًا؟ قال الجهم: نعم. فقالوا له: فهل رأيت عين إلهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قالوا: أشممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له مجسا؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حسا؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يوما. ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى، يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمرا دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسان خلقه فيأمر بما شاء. وهو روح غائب عن الأبصار. فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمي: ألسنت تزعم أن فيك روحا؟ قال: نعم. فقال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامه؟ قال: لا. قال: فوجدت له حسا أو مجسا؟ قال: لا؟ قال: فكذلك الله، لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/١٧٧، ٦/٣٣)، والفتوى الحموية ص (٤٧).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص (٢٦-٢٨).

وأصل مقالة التعطيل للصفات هو مأخوذ عن اليهود والمشركين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ثم أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين، وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه.

وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حران، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، فكانت الصابئة - إلا قليلا منهم - إذ ذاك على الشرك، وعلمائهم هم الفلاسفة؛ لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين؛ كما أن كثيرا من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارا أو مشركين، فأولئك الصابئون - الذين كانوا إذ ذاك - كانوا كفارا أو مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب وينون لها الهياكل. ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب تعالى: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ؛ فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة، ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية، في حدود المائة الثانية زاد البلاء؛ مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم.

ولما كان حدود المائة الثالثة: انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته<sup>(١)</sup>.

فتبين من هذا النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن مقالة التعطيل مأخوذة عن اليهود، وأنهم هم الذين دسوا هذا السم بين المسلمين كي يفسدوا عليهم دينهم ويزعزعوا عقيدتهم، والله المستعان.

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/٥-٢١).

المبحث الثالث  
في الرد على شبهة المعطلة  
في الحمد

### المبحث الثالث: في الرد على شبهة المعطلة في الحمد

لقد ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في الحديث الصحيح في حجة الوداع أنه قال: فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد: « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »<sup>(١)</sup>.

فهذا توحيد رسول الله ﷺ المتضمن لإثبات صفات الكمال التي يستحق عليها أكمل الحمد، وإثبات الأفعال التي استحق بها أن يكون منعمًا، وإثبات القدرة والمشية والإرادة والتصرف والغضب والرضا، والغنى والجود الذي هو حقيقة ملكه، وعند الجهمية والمعطلة لا حمد له في الحقيقة ولا نعمة ولا ملك، فأبي حمد لمن لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعلم، ولا يتكلم، ولا يفعل، ولا هو في داخل العالم، ولا خارج عنه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا عن يمينه، ولا عن يسرته.

وأبي نعمة لمن لا يقوم به فعل ألبته، وأي ملك لمن لا وصف له ولا فعل؛ فانظر إلى توحيد الرسل وتوحيد من خالفهم!

ومن العجيب أنهم سمو توحيد الرسل شركًا وتجسيمًا وتشبيهاً، مع أنه غاية الكمال، وسموا تعطيلهم واتحادهم ونفيهم توحيدًا وهو غاية النقص، ثم نسبوا أتباع الرسل إلى نقص الرب سبحانه وتعالى وقد سلبوه كل كمال، وزعموا أنهم أثبتوا له الكمال، وقد نزهوه عنه. فهذا توحيد الملاحدة والجهمية والمعطلة<sup>(٢)</sup>.

وهل كان رب العالمين أهل الثناء والمجد إلا بأوصاف كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأسمائه الحسنى؟! وإلا فبماذا يحمده الحامدون، ويثني عليه المثنون، وبماذا يثني على نفسه أعظم مما يثني به على جميع خلقه؟ ولأي شيء يقول أعرف خلقه به: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٢٦).

(٢) انظر: الصواعق المرسله (٣/٩٣٢-٩٣٣).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٤٨).

ومعلوم أن هذا الثناء الذي أخبر أنه لا يحصيه لو كان بالنفي لكان هؤلاء أعلم به منه، وأشد إحصاء له، فإنهم نفوا عنه حقائق الأسماء والصفات نفياً مفصلاً، وذلك مما يحصيه المحصي بلا كلفة ولا تعب، وقد فصله النفاة وأحصوه وحصروه<sup>(١)</sup>.

والمقصود هنا أن الجهمية ومن سار على درهم من المعطلة غاية ما تعلقوا به من نفهم لصفات الباري جل وعلا ووقعهم فيما يناقض حمد الله تبارك وتعالى وإثبات الكمال له ما هو إلا شبه نظرية وحجج عقلية، احتكموا إليها وفوضوا أمرهم إليها، وإذا تدبر العاقل حججهم وجدها دعاوى لا يقوم عليها دليل، وحججا لا تعتمد على برهان، وإنما غاية ما تقوم عليه هو رأيهم القاصر، وعقلهم الفاسد، وما حرفوه بفهمهم للغة العرب<sup>(٢)</sup>.

١- وأول تلك الشبه التي تعلق بها المعطلة ورأس ما لهم ومورد ضلالهم في نفهم لصفات الباري تبارك وتعالى هو تقديمهم لما يزعمون أنه العقل على النقل:

فالمعطلة احتكموا إلى عقولهم، وجعلوها مصدر هداية، وأصلاً يصار إليه عند الاختلاف، وادعوا أن النصوص التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في إثبات الصفات تبع لها، فما أثبتت عقولهم منها قبلوه، وما لم تثبت عقولهم ردوه، مع أنها لا تنفيه<sup>(٣)</sup>.  
فالمعطلة إنما يرون الحكم القاطع والدلالة الصحيحة في العقل، لأنه هو الذي يوصل إلى برد اليقين، والنتائج الصحيحة على حد زعمهم، وفي هذا يقول الجاحظ<sup>(٤)</sup>، وهو من خطباء المعتزلة وأدبائهم: «وما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الصواعق المرسله (٣/١٠٢٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/١١٩).

(٣) انظر: الأصول التي بنى عليها المتدعة منهم في الصفات للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي (١/١٢٥).

(٤) هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ البصري المعتزلي، كان ماجناً قليل الدين، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٦ - ٥٣١)، وشذرات الذهب (٢/١٢١)، وميزان الاعتدال (٣/٢٤٧).

(٥) رسالة التريب والتدوير ص (١٤).

وقد بنى المعطلة تقديمهم للعقل على الشرع على أن العقل هو الذي دل على صحة الشرع، وذلك بمعرفة الله وصدق الرسول، فلو قدم النقل على العقل لكان في ذلك تقدم للفرع على الأصل، ولكان فيه إبطال للأصل، وإذا بطل الأصل الدال على الفرع بطل بالتالي الفرع المرتب عليه، وقد ذكر هذا المعنى كثير من المعطلة بعبارات متنوعة وأساليب مختلفة<sup>(١)</sup>.

فهذا القاضي عبد الجبار<sup>(٢)</sup> يقول في معرض حديثه عن صفة الاستواء: « إن الاستدلال بالسمع على هذه المسألة غير ممكن؛ لأن صحة السمع موقوفة عليها؛ لأن ما لم نعلم القدم تعالى عدلا حكيما لا نعلم صحة السمع، وما لم نعلم أنه غني لا تجوز عليه الحاجة لا نعلمه عدلا، وما لم نعلم أنه ليس بجسم لا نعلمه غنيا، فكيف يمكن الاستدلال بالسمع على هذه المسألة، وهل هذه إلا استدلال بالفرع على الأصل»<sup>(٣)</sup>.

يحكي الإمام أحمد عن شيخهم الجهم بن صفوان أنه: « تأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتاب، أو حدث عنه رسوله ﷺ: كان كافرا، وكان من المشبهة، فأضل بكلامه بشرا كثيرا»<sup>(٤)</sup>.

وقال عنه أبو الحسن الأشعري<sup>(٥)</sup>: « ويحكي عنه أنه كان يقول: لا أقول إن الله

(١) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن (١/٣٤٠).

(٢) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني، أحد غلاة المعتزلة. له مؤلفات كثيرة في تقرير مذهبه، توفي سنة ٤١٥هـ، انظر: تاريخ بغداد (١١/١١٣-١١٥)، وميزان الاعتدال (٢/٥٣٣)، ولسان الميزان (٣/٣٨٦-٣٨٧).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص: ٢٢٦).

(٤) الرد على الجهمية (ص: ١٠٤).

(٥) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ولد سنة ٢٦٠هـ من مؤلفاته: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ورسالة إلى أهل الثغر، توفي سنة ٣٣٠هـ، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١١/٣٤٦)، والمنظم لابن الجوزي (٦/٣٣٢)، والأنساب للسمعاني (١/٢٧٣)، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١/٦٤).

سبحانه شيء؛ لأن ذلك تشبيه له بالأشياء»<sup>(١)</sup>.  
 وحكى عنه الشهرستاني<sup>(٢)</sup> أنه يقول: « لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة  
 يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي تشبيها، فنفي كونه حيا عليما»<sup>(٣)</sup>.  
 فالجهم وأتباعه نفوا عن الله تعالى كل اسم أو صفة يمكن إطلاقها على مخلوق،  
 وهذا الصنيع لا ريب أنه ناتج عن احتكامهم لعقولهم، وقالوا: إن القرينة الصارفة لهم  
 عما دل عليه الخطاب هو العقل<sup>(٤)</sup>.  
 وأصل قول الجهمية هذا هو نفي الصفات بما يزعمونه من دعوى العقليات التي  
 عارضوا بها النصوص<sup>(٥)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « فهؤلاء ارتكبوا أربع عظام:  
 أحدها: ردهم لنصوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.  
 الثاني: ردهم ما يوافق ذلك من معقول العقلاء.

الثالث: جعل ما خالف ذلك من أقوالهم الجميلة أو الباطلة هي أصول الدين.  
 الرابع: تكفيرهم، أو تفسيقهم، أو تخطئتهم لمن خالف هذه الأقوال المبتدعة  
 المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول»<sup>(٦)</sup>.

وقد سن هؤلاء الجهمية لمن بعدهم من أهل البدع والضلال سنة سيئة،

(١) مقالات الإسلاميين (١/٣٣٨).

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم  
 ومذاهب الفلاسفة، ولد سنة ٤٧٩هـ، صاحب تصانيف منها: الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم  
 الكلام، والإرشاد إلى عقائد العباد وغيرها، توفي سنة ٥٤٨هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان  
 (١/٤٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٨٦-٢٨٨)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/٧٨).

(٣) الملل والنحل (ص: ٨٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/١٧٠).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٧٦).

(٦) المصدر السابق (١/٢٧٧).

فقد سار المعتزلة ومن بعدهم من الأشاعرة، ومن سار على مذهبهم من المعطلة سير هؤلاء الجهمية، فقررروا في بدعهم الاحتكام إلى عقولهم وجعلوها المنتهى في معتقداتهم، فقررروا نفي صفات الباري جل وعلا، ووقعوا في الذم والاستنقاص مع زعمهم حمد خالقهم وإثبات الكمال له تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فهؤلاء المعتزلة مثلاً قد حكموا عقولهم تحكيماً مطلقاً، إذ أنهم كانوا يعرضون النص الشرعي على عقولهم القاصرة، ويحرفون أو يردون كل ما لا يوافق عقولهم، وكل ذلك بدعوى تناقضه مع العقل.

فالعقل عندهم مقدم على كل ما عداه؛ يستضيئون بنوره ويسرون بهداه، فكل ما وافقه أخذوا به، وكل ما عارضه على حد زعمهم ردوه.

حتى إن أحد أئمتهم وزعمائهم وهو الزمخشري<sup>(١)</sup>، قال ملقبا العقل بالسلطان: «امش في دينك تحت راية السلطان، ولا تقع بالرواية عن فلان وفلان، فما الأسد المحتجب في عرينه، أعز من الرجل المحتج على قرينه»<sup>(٢)</sup>.

فجعل الزمخشري متبع النص الشرعي خاضعاً وذليلاً أمام صاحب الدليل العقلي.

وقال أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وتفصيل كل شيء﴾<sup>(٣)</sup>، يحتاج إليه في

الدين؛ لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل»<sup>(٤)</sup>.

فجعل أدلة العقل مقدمة على أدلة القرآن والسنة والإجماع والقياس.

(١) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، أحد أئمة المعتزلة، من أئمة اللغة والأدب، وكان

معتزلي محترف، ولد سنة ٤٦٧هـ، من مصنفاته: الكشاف في التفسير، والمفصل وأساس البلاغة، توفي

سنة ٥٣٨هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/٤٥٤)، وميزان الاعتدال (٤/٧٨)، ولسان الميزان (٤/٦).

(٢) الكشاف (٢/٢٧٨).

(٣) سورة يوسف آية: ١١١.

(٤) الكشاف (٢/٢٧٨).



ويقول إمام المعتزلة وشيخهم وكبيرهم عمرو بن عبيد<sup>(١)</sup> حين ذكر له حديث رسول الله ﷺ: « إن أحكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ... الحديث »<sup>(٢)</sup>: « لو سمعت الأعمش<sup>(٣)</sup> يقول هذا لكذبتة، ولو سمعته من زيد بن وهب<sup>(٤)</sup> لما صدقته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله لما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته؛ ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا »<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام المعلمي رحمه الله: « وليس هذا رأي عمرو بن عبيد وحده، بل كل من يعتقد عقيدة مستندا فيها إلى العقل، يزعم أن دلالة العقل عليها يقينية؛ بحيث إنه يستحيل أن يجيء يقين بخلافها »<sup>(٦)</sup>.

فالتأمل في هذه النقول وغيرها عن أئمة المعتزلة ومن قبلهم أسلافهم الجهمية، يعلم أن هؤلاء القوم لا حظ عندهم من حمد ربهم تبارك وتعالى، فحقيقة قول الجهمية وأتباعهم أنه لا يستحق الحمد<sup>(٧)</sup>.

وما نفي هؤلاء لصفات الله تبارك وتعالى إلا نتيجة لتحاكمهم لعقولهم الفاسدة،

(١) هو عمرو بن عبيد بن باب البصري المعتزلي القدرى، وهو مولى بني تميم، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٤٤هـ، انظر: ميزان الاعتدال (٢٧٣/٣)، والفرق بين الفرق ص: (١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (ح/٣٢٠٨) و(٣٣٣٢) و(٦٥٩٤) و(٧٤٥٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: كيفية خلق آدمي في بطن أمه (ح/٢٦٤٣).

(٣) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي، إمام ثقة، حافظ، مات سنة ١٤٨هـ. انظر: الكاشف للذهبي (٤٠١/١)، وتقريب التهذيب (ص: ٢٩٥).

(٤) زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي، مخضرم، ثقة، جليل. مات سنة ٩٦هـ روى له الجماعة. انظر: تقريب التهذيب (ص: ١٦٥).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٧٢/١٢)، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٢٧٨/٣)، وفي سير أعلام النبلاء (٦/١٠٤-١٠٥).

(٦) رفع الاشتباه عن معنى الإله مخطوط (ص: ١٨).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٨/١٤).

وضربهم للوحي والنور الذي جاء به الرسول ﷺ خلف أظهرهم. وما الأشاعرة عن الجهمية والمعتزلة ببعيد في احتكامهم إلى عقولهم وتحريفهم وتعطيلهم لصفات الله تعالى، ونقص حظهم من حمد ربهم تبارك وتعالى وإثبات صفات الكمال له تعالى على الوجه اللائق به.

فهذا الرازي<sup>(١)</sup> إمام الأشاعرة ومنظرهم قد ابتدع لهم قانوناً يعولون عليه، ويحتكمون إليه عند وقوع ما زعموا أنه التعارض بين العقل والنقل، أطلق عليه اسم « القانون الكلي ».

فخرج على الناس بكتابه « أساس التقديس » الذي رد فيه على مثبتى الصفات، وضمنه القانون المشتمل على تقدم العقل على النقل حين توهم التعارض، قتلقفه أتباعه ومن تبعهم، وطاروا به فرحاً، وأحسنوا ظنهم به لكونه صادراً عن أكبر أئمة مذهبهم<sup>(٢)</sup>.

وقانون الرازي هذا هو امتداد لأقوال أسلافه من الجهمية والمعتزلة. وقد جعله الرازي وأتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به من كلام الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام وما لا يستدل به؛ فقدموه على نصوص الوحي، وعزلوا لأجله الكتاب والسنة، فردوا الاستدلال بما جاء به الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام في صفات الله تعالى.

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري، يلقب بفخر الدين الرازي، ويعرف بابن الخطيب، ويعرف بابن خطيب الري، أشعري المعتقد، إلا أنه خلط المذهب الأشعري بالاعتزال والفلسفة، بسبب تأثره بابن سينا وأشباهه من الفلاسفة، وهو متذبذب تارة مع أهل الكلام، وتارة مع الفلاسفة، ومتحير، تارة يرجح قول المتفلسفة، وتارة يرجح قول المتكلمة، وتارة يحار ويقف. ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/٣٨١-٣٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٥١١)، لسان الميزان (٤/٢٤٦-٢٤٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (١/١٢٢-١٢٣)، ٨٨/٣، (٢٤٦/٦).

(٢) انظر: الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ص (١٠٦).

إذ أنهم سلكوا -مستنديين إلى هذا القانون- في إثبات الصفات مسلماً عقلياً سلكه أسلافهم من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من قبلهم، يدل على أن القوم تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة- وهو إخضاع الصفات لعقولهم.

فما سوّغت عقولهم اتصاف الله تعالى به من الصفات أثبتوه، مدّعين أن هذه الصفة من صفات الكمال، فيجب إثباتها لله تعالى، غاضين النظر عن ثبوتها في الشرع أو عدمه.

وما لم تسوّغه عقولهم نفوه، زاعمين أن تلك الصفة من صفات النقص، فيجب نفيها عن الله عز وجل، ولو كانت ثابتة بنص القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

فإثبات الصفات ونفيها مدارها على ما زعموا أنه من عقلياتهم الفاسدة. وقد جاء هذا جلياً واضحاً في نص هذا القانون الذي احتكموا إليه، يقول الرازي: « الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية، فكيف يكون الحال فيها؟ اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

- إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال.

- وإما أن يبطلا فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال.

- وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل لأنه لا

يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ، وظهور المعجزات على يد محمد ﷺ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً

(١) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (١٢٧/١-١٢٨).

وأنه باطل.

- ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية:

إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظاهرها.

ثم إن جوزنا التأويل: اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى.

فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات<sup>(١)</sup>.

فهذا هو القانون الكلي الذي عول عليه الأشاعرة، واشتهر عندهم وجعلوه المرجع والمرد في معتقداتهم وآرائهم.

والرازي في هذا القانون لم يأت بجديد بل إنه كما سبق وأن بينت قد اقتدى بأسلافه من الجهمية والمعتزلة وسلك طريقهم ويتبين مما سبق أن المعطلة بنوا معتقدتهم على ما أملت عليهم عقولهم الفاسدة، وجعلوا الوحي تابعاً لها.

بل جعلوا عقولهم ميزاناً وحاكماً لما يؤخذ به وما لا يؤخذ به من شرع الله تبارك وتعالى<sup>(٢)</sup>.

وإنه من مقتضى حكمة الله تعالى وحفظه لدينه وشرعه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ وختم به الرسالات، فقد قيص الله تبارك وتعالى لهذه الأمة من يحفظ عليها دينها، ويتصدى لهذه البدع، ويبين زيفها، ويكشف باطلها، فيستبين للسالك على الطريق القويم زيغ هؤلاء ويتضح للعاقل باطلهم فله الحمد والمنة.

ومن انبرى لهذه البدع والرد عليها شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله رحمة واسعة، وقد نقض شيخ الإسلام كلام

(١) أساس التقديس ص (١٧٢-١٧٣).

(٢) انظر: نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص (٤٩).

الرازي وأتمته من الجهمية والمعتزلة في مواضع كثيرة من كتبه، ولعظم الأمر وخطورته فقد أفرد له كتابه العظيم « درء تعارض العقل والنقل » لنقد تلك الأباطيل وبيان زيف تلك الأقاويل، فجزاه الله عن أمة الإسلام خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته؛ وجاء من بعده تلميذه الهمام ابن قيم الجوزية فأفرد له قسماً كبيراً من كتابه القيم « الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة » حيث جعله الطاغوت الثاني، وقال في أوله: « وقد أشفى شيخ الإسلام في هذا الباب بما لا مزيد عليه، وبين بطلان هذه الشبهة، وكسر هذا الطاغوت في كتابه الكبير، ونحن نشير إلى كلمات يسيرة هي قطرة من بحره، يتضمن كسره ودحضه وذلك من وجوه ... »<sup>(١)</sup>.

وقد قمت في هذا المبحث في الرد على شبهة المعتلة التي وقعوا فيها، وقعدوا بها نفي صفات الله تعالى التي استحق عليها كمال الحمد، بتلخيص الوجوه التي رد بها الشيخين<sup>(٢)</sup> رحمهما الله على النحو التالي:

١- الوجه الأول: إن هؤلاء المعتلة النفاة من الجهمية ومن اتبعهم، لا يمكن على أصولهم التي أصلوها وقواعدهم التي أسسوها، محبة الله تعالى ولا مدحه ولا حمده وتمجيده والثناء عليه، ولا الرضى به ولا الابتهاج بقربه ولا الفرح به، ولا اللذة العظيمة برؤية وجهه، ولا لذة الآذان والأرواح بسماع كلامه، بل ولا الشوق إليه، ولا الأمان ولا الطمأنينة به وإليه، ولا الأمان من عذابه لهم بغير جرم أصلاً، ومن إبطاله أعمالهم الصالحة بغير سبب، بل أعظم من ذلك، أنهم سدوا على أنفسهم طريق العلم بإثباته وإثبات ربوبيته، إلا بما ينافي صفاته وأفعاله، فليس لهم طريق إلى إثبات ذاته إلا بما يستلزم نفي ذاته وصفاته وأفعاله ...

أما محبة الرب سبحانه: فإنهم صرحوا بأنه لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، واستدلوا على ذلك بما هو مناقض للفطرة والعقل والشرائع، وأصل الدين هو كونه سبحانه يُحِبُّ

(١) الصواعق المرسله (٣/٧٩٦-٧٩٧).

(٢) أعني شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

ويُحِبُّ، فإن الشرائع مبناها على شهادة أن لا إله إلا الله، والإله هو المستحق لكمال الحب بكمال التعظيم والإجلال والذل له والخضوع له، فإنكار المحبة إنكار لنفس الإلهية، وأما فروعها فمبناها على كونه سبحانه يحب أقوالاً وأعمالاً، ويمدح فاعليها، ويثني عليهم ويقربهم منه، ويغض أقوالاً وأعمالاً ويذم فاعليها ويغضهم ويبعدهم منه، وعندهم أنه لا يُحِبُّ ولا يُغِضُّ بل كل ما شاءه فهو محبوب له، وما لم يشأه فهو مبغوض، فإن محبته عندهم هي إرادته، ولهذا قالوا لا يحبه أحد، لأن المحبة نوع من الإرادة، والقدم لا يمكن أن يراد.

وأما أنه لا يمدح ولا يحمد، فلما قرروا أن المدح هو مجرد الإخبار عن استحقاق الممدوح ما يلتذ به، ويفرح به، واللذة والألم عليه محال، إلى غير ذلك<sup>(١)</sup>.

٢- الوجه الثاني: أن القانون الكلي الذي ذكره مبني على ثلاث مقدمات فاسدة، وهي:

أولها: ثبوت تعارض العقل والنقل.

والثانية: انحصار التقسيم فيما ذكره من الأقسام الأربعة.

الثالثة: بطلان الأقسام الثلاثة؛ ليتعين ثبوت الرابع.

وهذه المقدمات الثلاثة باطلة، والتقسيم الصحيح هو أن يقال:

إذا تعارض دليلان، سمعيان أو عقليان، أو سمعي وعقلي، فإما أن يكونا قطعيين،

وإما أن يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً.

فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما في الأقسام الثلاثة، لأن الدليل القطعي هو

الذي يستلزم مدلوله قطعاً، فلو تعارضا لزم الجمع بين النقيضين، وهذا لا يشك في

امتناعه أحد من العقلاء.

وإن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً تعين تقدم القطعي، سواء كان عقلياً أو

(١) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٣٤-١٤٣٦).

سمياً.

وإن كانا جميعاً ظنين صرنا إلى الترجيح، ووجب تقدم الراجح منهما، سمياً كان أو عقلياً.

فهذا هو التقسيم الصحيح، أما إثبات التعارض بين العقلي والسمعي، والجزم بتقدم العقلي مطلقاً، فهذا خطأ واضح؛ لأنه يمكن أن يقال: يقوم العقلي تارة، والسمعي أخرى، فأيهما كان قطعياً قدم، وإن كانا جميعاً قطعياً فيمتنع التعارض في نفس الأمر، وإن كانا ظنين فالراجح هو المقدم<sup>(١)</sup>.

٣- الوجه الثالث: إن قوله: إن قدمنا النقل لزم الطعن فحاصله ممنوع، فإن قوله: العقل أصل النقل، إما أن يريد به أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر، أو أصل في علمنا بصحته. فالأول لا يقوله عاقل، فإن ما هو ثابت في نفس الأمر ليس موقوفاً على علمنا به، فعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في نفس الأمر.

وأما إن أريد به أن العقل أصل معرفتنا بالسمع، ودليل لنا على صحته - وهو المراد - فيقال: ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصلاً للسمع ودليلاً على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصر، والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على ما به يعلم صدق الرسول من العقليات، وليس كل العلوم العقلية يعلم بها صدق الرسول، بل ذلك يعلم بالآيات والبراهين الدالة على صدقه.

وبهذا نعلم أنه ليس كل المعقولات أصلاً للنقل، وحينئذ فإذا كان التعارض للسمع من المعقولات مما لا يتوقف العلم بصحة السمع عليه لم يكن القدح فيه قدحاً في أصل السمع، وليس القدح في بعض العقليات قدحاً في جميعها، كما أنه ليس القدح في بعض السمعيات قدحاً في جميعها، ولا يلزم من صحة بعض السمعيات صحة جميعها.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧٨/ - ٨٠، ٨٧)، والصواعق المرسلة (٣/ ٧٩٦-٧٩٨).

فالعقليات ليست شيئاً واحداً، بل فيما يسمى عقليات ما هو حق وفيها ما هو باطل.

٤- الوجه الرابع: لو قدر تعارض الشرع والعقل لوجب تقديم الشرع؛ لأن العقل قد صدق الشرع ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل. ولأن العقل دل على أن الرسول يجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، ولأن العقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة، ولا يدل على صدق قضايا نفسه دلالة عامة، ولأن العقل يغلط كما يغلط الحس، وأكثر من غلظه بكثير<sup>(١)</sup>.

٥- الوجه الخامس: أن يقال: تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول، وذلك لأن كون الشيء معلوماً بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيدا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر<sup>(٢)</sup>.

٦- الوجه السادس: أن يعارض دليلهم بنظير ما قالوه، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله، وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه، والقدح فيه يمنع دلالاته، والقدح في دلالاته يقدح في معارضته، كان تقديمه عند المعارضة مبطلاً

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٣٨)، الصواعق المرسله (٣/٨٠٧).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٤٤-١٤٦)، والاستقامة لشيخ الإسلام (١/٥٠)، والصواعق

المرسله (٣/٨٢٣-٨٢٦).



للمعارضة، ومعارضة العقل لما دلّ العقل على أنه حق دليل على تناقض دلالاته، وذلك يوجب فسادها<sup>(١)</sup>.

٧- الوجه السابع: إن الله سبحانه قد تمم الدين بنبيه محمد ﷺ وأكمله به ولم يحوجه ولا أمته بعده إلى عقل ولا نقل سواه ولا رأي ولا منام ولا كشوف، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾<sup>(٢)</sup>، وأنكر على من لم يكتف بالوحي عن غيره، فقال: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾<sup>(٣)</sup> «.

ذكر هذا جواباً لطلبهم آية تدل على صدقه فأخبر أنه يكفيهم من كل آية، فلو كان ما تضمنه من الأخبار عنه وعن صفاته وأفعاله واليوم الآخر يناقض العقل لم يكن دليلاً على صدقه فضلاً عن أن يكون كافياً<sup>(٤)</sup>.

٨- الوجه الثامن: هذه القاعدة التي أسسها من عارض بين العقل والنقل تقتضي أن لا ينتفع بخبر الأنبياء في باب الصفات والأفعال أحد ألبتة<sup>(٥)</sup>.

٩- الوجه التاسع: إن القرآن مملوء من ذكر الصفات والعلو على الخلق والاستواء على العرش، وتكلم الله وتكليمه للرسول وإثبات الوجه واليدين والسمع والبصر والحياة والمحبة والغضب والرضى للرب سبحانه، وهذا عند النفاة بمنزلة وصفه بالأكل والشرب والجوع والعطش والنوم والموت، كل ذلك مستحيل عليه،

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٧٠-١٧٢)، الصواعق المرسله (٣/٨٥٣-٨٥٤).

(٢) سورة المائدة الآية: ٣.

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٥١.

(٤) انظر: الصواعق المرسله (٣/٨٢٦-٨٢٧).

(٥) المصدر السابق (٣/٨٦٦).

ومعلوم أن أخبار الرسول ﷺ بما هو مستحيل عليه أعظم المنفرات عنه، ومعارضته فيه أسهل من معارضته فيما عداه، ولم يعارضه أعداؤه في حرف واحد من هذا الباب ولا أنكروا عليه كلمة واحدة منه، مع حرصهم على معارضته بكل ما يقدرون عليه، فهلا عارضوه بما عارضته به الجهمية والنفاة، وقالوا: قد أخبرتنا بما يخالف العقل الصريح، فكيف يمكننا تصديقك؟ بل كان القوم على شركهم وضلالهم أعرف بالله وصفاته من النفاة الجهمية، وأقرب إلى إثبات الأسماء والصفات والقدر والمشيمة والفعل من شيوخ الفلاسفة<sup>(١)</sup>، وأتباعهم من السيناوية<sup>(٢)</sup>، والفارابية<sup>(٣)</sup>، والطوسية<sup>(٤)</sup>، الذين ليس للعالم عندهم رب يعبد ولا رسول يطاع ولا معاد للخليقة، ولا يزيل الله هذا العالم ويأتي بعالم آخر<sup>(٥)</sup>.

١٠- الوجه العاشر: أنه سبحانه وصف نفسه بأنه ليس كمثل شيء، وأنه لا سمي له، ولا كفؤ له، وهذا يستلزم وصفه بصفات الكمال، التي فات<sup>(٦)</sup> بها شبه

(١) كلمة فلسفة تتكون من قطعتين: هما فلو، وسوفيا، ومعنى (فيلو) في اليونانية محب، و(سوفيا): الحكمة، فالفيلسوف هو: محب الحكمة، ومذهبهم: أن العالم قدم وعلته مؤثرة بالإيجاب، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر الأجساد، ومن أشهرهم أرسططاليس.

انظر: الفصل في الملل والنحل (٩٤/١)، الملل والنحل للشهرستاني (١٥٥/٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي ص (١٤٥)، المعجم الفلسفي لجميل صليبا ص (١٣٨).

(٢) السيناوية: هم أتباع الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي شرف الملك الفيلسوف الرئيس ولد سنة ٣٧٠هـ كان هو أبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال ص (١٩).

(٣) الفارابية: هم أتباع أبو نصر الفارابي محمد بن محمد بن طرخان أصله تركي توفي سنة ٣٣٩هـ.

انظر: البداية والنهاية (٢٥١/١١).

(٤) الطوسية: نسبة إلى محمد بن محمد المسمى نصير الدين الطوسي ولد سنة ٥٥٧هـ فيلسوف متكلم، كان رأساً في الزندقة والإلحاد، قال عنه ابن القيم: «نصير الشرك والكفر الملحد».

انظر: إغائة اللهفان (٢٦٧/٢)، والبداية والنهاية (٢٥٤/١٣).

(٥) انظر: الصواعق المرسلّة (٨٩٨/٣).

(٦) فاتني كذا: أي سبقني وفته أنا، وقال أعرابي: الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات.

المخلوقين، واستحق بقيامها به أن يكون ﴿ ليس كمثل شيء ﴾، وهكذا كونه ليس له سمي، أي: مثل يساميه في صفاته وأفعاله، ولا من يكافيه فيها، ولو كان مسلوب الصفات والأفعال والكلام والاستواء والوجه واليدين، ومنفياً عنه مباينة العالم، ومحايثته، واتصاله به وانفصاله عنه، وعلوه عليه، وكونه يمتته، أو يسرته، وأمامه أو ورائه، لكان كل عدم مثلاً له في ذلك، فيكون قد نفى عن نفسه مشابهة الموجودات، وأثبت لها مماثلة المعدومات، فهذا النفي واقع على أكمل الموجودات وعلى العدم المحض، فإن العدم المحض لا مثل له ولا كفو ولا سمي، فلو كان المراد بهذا نفي صفاته وأفعاله واستوائه على عرشه، وتكلمه بالوحي، وتكليمه لمن يشاء من خلقه، لكان ذلك وصفاً له بغاية، فهذا النفي واقع على العدم المحض، وعلى من كثرت أوصاف كماله، ونعوت جلاله، وأسمائه الحسنى، حتى تفرد بذلك الكمال، فلم يكن له شبه في كماله، ولا سمي ولا كفو، فإذا أبطلتم هذا المعنى الصحيح تعين ذلك المعنى الباطل قطعاً، وصار المعنى أنه لا يوصف بصفته أصلاً، ولا يفعل فعلاً...، وأما الرسل وأتباعهم، فقالوا إنه حي، وله حياة، وليس كمثل شيء في حياته، وهو قوي وله القوة، وليس كمثل شيء في قوته...، وكذا باقي صفاته، وهذا النفي لا يتحقق إلا بإثبات صفات الكمال، فإنه حمد له، وثناء أثني به على نفسه، والعدم المحض لا يحمد به أحد، ولا يثنى به عليه، ولا يكون كمالاً له، بل هو أنقص النقص، وإنما يكون كمالاً إذا تضمن الإثبات كقوله تعالى: ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ لكمال حياته وقيوميته.

ونظائر ذلك كثير في القرآن تنفي عنه صفات النقص لثبوت كمال ضدها، فهكذا ليس كمثل شيء هو متضمن لإثبات جميع صفات الكمال، على وجه الإجمال، وهذا هو المعقول في نظر الناس وعقولهم، وإذا قالوا فلان عديم المثل، أو قد

انظر: لسان العرب (٣٤٣/١٠)، مادة (فوت).

أصبح ولا مثل له في الناس أو ما له شبيهه ولا من يكافيه، إنما يريدون بذلك أنه تفرد من الصفات والأفعال والمجد بما لم يلحقه فيه غيره، فصار واحداً من الجنس، لا مثل له، ولو أطلقوا ذلك عندهم غاية الذم والتنقص له، فإذا أطلق ذلك في سياق المدح والثناء لم يشك عاقل في أنه إنما أراد كثرة أوصافه وأفعاله وأسمائه، التي لها حقائق تحمل عليها، فهل يقول عاقل لمن لا علم له، ولا قدرة ولا سمع، ولا بصر، ولا يتصرف بنفسه، ولا يفعل شيئاً، ولا يتكلم، ولا له وجه، ولا يد، ولا قوة، ولا فضيلة من الفضائل، إنه لا شبيه له، ولا مثل له، وإنه وحيد دهره، وفريد عصره، وهل فطر الله الأمم، وأطلق ألسنتهم، ولغاقم إلا على ضد ذلك، وهل كان رب العالمين أهل الثناء والمجد إلا بأوصاف كماله، ونعوت جلاله وأفعاله، وأسمائه الحسنى، وإلا فبماذا يثني عليه المثنون؟ وبماذا يثني على نفسه، أعظم مما يثني عليه جميع خلقه؟ ولأي شيء يقول أعرف خلقه به « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »<sup>(١)</sup>؟! ومعلوم أن هذا الثناء الذي أخبر أنه لا يحصيه، لو كان بالنفي لكان هؤلاء أعلم به منه، وأشد إحصاء له، فإنهم نفوا عنه حقائق الأسماء والصفات نفياً مفصلاً، وذلك مما يحصيه المحصي، بلا كلفة ولا تعب، وقد فصله النفاة وأحصوه وحصروه<sup>(٢)</sup>.

١١ - الوجه الحادي عشر: أنه سبحانه وصف نفسه بأن له المثل الأعلى، فقال

تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ سَوَاءٍ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجعل مثل السوء، المتضمن للعيوب، والنقائص، وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخبر أن المثل الأعلى، المتضمن لإثبات الكماليات كلها له وحده، ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعل تفضيل، أي أعلى من غيره، فكيف يكون أعلى وهو عدم

(١) تقدم تخريجه ص: (٤٨).

(٢) انظر: الصواعق المرسله (٣/١٠١٩-١٠٢٣).

(٣) سورة النحل الآية: ٦٠.

محض، ونفي صرف، وأي مثل أدنى من هذا؟! تعالى الله عن قول المعطلين علواً كبيراً<sup>(١)</sup>.

وقد تفرع على هذه القاعدة التي جعلها المعطلة أساس دينهم وهي تقديم العقل على النقل، تفرع عليها أنهم فسروا الحمد والذم بما يستلزم اللذة والألم، وقالوا بأن الحمد هو الإخبار عن كون المحمود مستحقاً لأن يفعل به ما يفرح به أو يلتذ به، والذم: هو الإخبار عن كونه مستحقاً لأن يفعل به ما يحزن به، وإذا فسر الحمد والذم بهذا استحالة تصوره في حق الله تعالى لاستحالة الفرح والغم عليه<sup>(٢)</sup>.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- إن لفظ اللذة والألم، من الألفاظ التي فيها إجمال واشتباه، كلفظ الجسم والحيز والتركيب وغيرها، وليس لها ذكر في الكتاب والسنة بنفي ولا إثبات، بل جاء في القرآن والسنة وصفه بالمحبة والرضى والفرح والضحك، ووصفه بأنه يصبر على ما يؤذيه، وإن كان العباد لا يبلغون نفعه فينفعونه ولا ضره فيضرونه، والذي نفاه هؤلاء يدرجون تحته ما وصف به نفسه، وهو إبطال لما جاء به الرسل، ونزلت به الكتب ولما خلق الخلق لأجله<sup>(٣)</sup>.

٢- إنه قد علم بالاضطرار من دين المسلمين كلهم، بل ومن دين المسلمين كلهم، بل ومن دين جميع الرسل أن الله سبحانه يمدح ويمدح ويثني عليه وأنه يحب ذلك ويرضاه ويأمر به، بل حمده والثناء عليه من أعظم الطاعات وأجل القربات.

وقد حاء في حديث الأسود بن سريع قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني قد حمدت الله تبارك وتعالى بمحامد ومدح وإياك، فقال رسول الله ﷺ: «أما

(١) انظر: الصواعق المرسله (٣/١٠٣٠-١٠٣١).

(٢) انظر: المطالب العالیه من العلم الإلهي للفخر الرازي (١/١٨٦-١٨٧) والصواعق المرسله (٤/١٤٧١).

(٣) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٤٩).

إن ربك تعالى يحب المدح، هات ما امتدحت به ربك، فقال: فجعلت أنشده»<sup>(١)</sup>، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا أحد أخير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه»<sup>(٢)</sup>.

٣- ومن محبته سبحانه للثناء عليه صدق المثني عليه بأوصاف كماله كما جاء في حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: إذا قال العبد: « لا إله إلا الله وأنا الله أكبر » وإذا قال: « لا إله إلا الله وحده » قال: « صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي » وإذا قال: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له »، قال: « صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي »، وإذا قال: « لا إله إلا الله له الملك وله الحمد »، قال: « صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد »، وإذا قال: « لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي»<sup>(٣)</sup>.

فمن محبته للثناء عليه صدق المثني عليه ووافق في الثناء عليه<sup>(٤)</sup>.

٤- ومن محبته سبحانه لحمده والثناء عليه شرعه للداعي قبل سؤاله ودعائه ليكون وسيلة له بين يدي حاجته كالتقرب إلى المسؤول بما يحبه ويسأله بين يدي مطلوبه، كما ثبت من حديث فضالة بن عبيد أنه قال: جاء رجل فصلى فقال: « اللهم اغفر لي وارحمني » فقال رسول الله ﷺ: « عجلت أيها المصلي إذا صليت ففرغت فاحمد الله ما هو أهله ثم صل على النبي ثم ادعه قال: ثم

(١) تقدم تخريجه ص: (٥٣).

(٤) تقدم تخريجه ص: (٥٣).

(٢) تقدم تخريجه ...

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٩٠)، وابن ماجه (٣٨٣٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٣/٣)،

وفي السلسلة الصحيحة (١٣٩٠).

(٤) انظر: الصواعق المرسله (١٤٧٤/٤).

صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أيها المصلي أدع تجب»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلي فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم دعوت لنفسي، فقال النبي ﷺ: «سل تعطه سل تعطه»<sup>(٢)</sup>.

٥- ومن محبته سبحانه لحمده والثناء عليه أهم نبيه محمداً ﷺ عند شفاعته لأهل الموقف من المحامد والثناء ما يكون وسيلة بين يدي شفاعته<sup>(٣)</sup>.

فقد ثبت في الصحيحين، أن أهل الموقف لما أتوا إلى النبي ﷺ ليشفع لهم، فقال: «فأقول: أنا لها فأستاذن على ربي فيؤذن لي فيلهمني محامد فأحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع»، وفي لفظ «فأنتني على ربي بثناء وتمجيد يعلمنيه»<sup>(٤)</sup>.

٦- ومن محبته سبحانه لحمده والثناء عليه أنه افتتح كتابه بحمده وختم آخره بحمده، وافتتح خلقه بحمده وجعل حمده خاتمة الفصل بينهم، فقال تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال: ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾<sup>(١)</sup>.

(١) تقدم تخريجه ص: (٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٩٠) وقال حديث حسن صحيح.

(٣) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٧٦).

(٤) سبق تخريجه ص: (٤٧).

(٥) سورة فاطر الآية: ١.

(٦) سورة الأنعام الآية ١.

فافتتح خلقه وأمره بحمده، وختمها بحمده.

٧- ومن محبته للثناء عليه بأوصاف كماله ونعوت جلاله، أنه أمر من ذكره بما

لم يأمر به غيره، فقال تعالى: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾<sup>(١)</sup>، فعلق الفلاح بكثرة ذكره، وقال: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾<sup>(٢)</sup>.

فَعَمَّ بذكره أحوال العباد كلها لأن العبد إما أن يكون قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً، فأراد ذكره في هذه الأحوال كلها<sup>(٤)</sup>.

٨- ومن محبته للثناء عليه وتحميده وتمجيده أنه وعد عليه بما لم يعد به

على غيره، كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»<sup>(٥)</sup>، وثبت من حديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ «الذين يذكرون من جلال الله التحميد والتسبيح والتكبير والتهليل ينعطفن حول عرش الرحمن لهن دوى كدوي النحل يذكرن بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن يكون له عند الرحمن شيء يذكر به»<sup>(٦)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على

الأرض رجل يقول لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا

(١) سورة الزمر الآية: ٧٥.

(٢) سورة الجمعة الآية: ١٠.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

(٤) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٨٠).

(٥) سبق تخريجه ص: (٩٣).

(٦) تقدم تخريجه ص: (٨٣).



كفرت عنه ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة ورجل قائم يصلي: فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال: « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: « لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى »<sup>(٢)</sup>.

٩- إنه سبحانه كما يبغض هذا الإفك والباطل الذي قاله فيه أعداؤه، ويشدد غضبه منه ويؤذيه ذلك إذ لا ينقصه، كما أخبر به عن نفسه بقوله: « يؤذيني ابن آدم »<sup>(٣)</sup>، فهو سبحانه يفرح بثناء المثني عليه بأوصاف كماله ونعوت جلاله أعظم فرح ويرضى به ويحبه، وإذا كان يفرح بتوبة التائب أعظم فرح يقدر فكيف فرحه سبحانه بالثناء عليه وحمده ومدحه وتمجيده بما يصفه به أعداؤه مما لا يليق بكماله مما يتضمن فرحه ومحبه ورضاه أعظم من ذلك، فإن محبته تغلب غضبه، وفضله أوسع من عدله، وهو سبحانه كما أنه موصوف في أفعاله بكل حمد وحكمة وغاية محمودة فهو منزه فيها عن كل عيب وظلم وقبيح، وبهذا استحق أن يكون محموداً على كل حال وأن يكون محموداً على المكاره، كما هو محمود على المحاب، وقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النبي ﷺ إذا أتاه الأمر يسره، قال: « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات »، وإذا أتاه الأمر يكرهه، قال: « الحمد لله على كل حال »<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (ح/٣٥٢٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (١/٥٠٣) قال الحاكم: رواه شعبة عن

أبي أبلج يحيى بن أبي سليم فأوقفه: قال الذهبي وحاتم ثقة وزيادته مقبولة.

(٢) أبوا داود (ح/١٤٨١)، أخرجه الترمذي (ح/٣٦١٢)، والنسائي (٣/٥٢) وابن ماجه ح (٤/٣٩٠)،

والحاكم في المستدرک (١/٥٠٤)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: سورة الجاثية (ح/٤٨٢٦)، ومسلم في صحيحه،

كتاب الألفاظ من الأدب، باب: النهي عن سب الدهر (ح/٢٢٤٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه

وتمام الحديث « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار ».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣/٣٨٠٣)، وابن السني (٣٧٨)، والحاكم في المستدرک (١/٤٩٩)، وقال صحيح

واللفظ العام إذا ورد على سبب وجب دخول السبب فيه، فيوجب هذا الحمد أنه محمود على هذا الأمر المكروه، لأنه حسن منه وحكمة وصواب فيستحق أن يحمد عليه<sup>(١)</sup>.

١٠- إنه سبحانه عما يقول الجاهلون به إذا كان لا يفرح، ولا يرضى بمدحه وحمده والثناء عليه، ولا يغضب ولا يسخط ويغض شتمه، وما قال فيه أعداؤه، بل نسبة الأمرين إلى ذاته وصفاته بنسبة واحدة، إذ لو حصل فيه سبحانه فرح ورضى ومحبة من ذلك، وغضب وسخط وكراهة من هذا للحقته الكيفيات النفسية، كان لا فرق عنده بين الحسن والقبیح والمدح والذم، وهذا غاية النقص والعيب، شرعاً وعقلاً وفطرة وعادة<sup>(٢)</sup>.

١١- قولهم: إن المدح يستحيل تصوره في حق الله تعالى من أوضح الكفر، وأقبح المعاداة لله تبارك وتعالى، والمناقضة لكتبه ورسله، واستدلالكم على ذلك بأن الفرح يستحيل عليه أبطل وأبطل، بل قد علم بالاضطرار عقلاً وفطرةً وشرعاً أن المستحق لغاية الحمد الكامل المطلق هو الرب سبحانه، فهذا أحق الحق ولازمه حق، فإنه لا يلزم من الأحق إلا حق، فإذا كان الفرح لازماً لهذا الحمد فهو حق، وقد أثبت له سبحانه أعلم خلقه وأعرفهم به وبصفاته، وما يجب له ويمتنع عليه، وقرب فرحه سبحانه إلى الأذهان، بما هو أعظم من أنواع الفرح، وهو فرحه بتوبة التائب إليه، وثنائهم عليه، فإذا كان المدح مستلزماً للفرح وقد علم أنه يستحق المدح أجمع، علم أنه يفرح بمدحه، وإثبات الملزوم ونفي لازمه محال، ولهذا لما تفتن هؤلاء لذلك علموا أنه لا يمكن إثبات الملزوم، ونفي لازمه صرحوا بنفي اللازم والملزوم، وقالوا: يستحيل ثبوت المدح والفرح في حقه<sup>(٣)</sup>.

١٢- إنه من المعلوم أن كونه سبحانه يستحق المدح والمحامد أبين في الشرع

الإسناد، وقال البوصيري في مصباح الزجاجاة (٣/١٩٢)، هذا إسناد صحيح، والحديث له شواهد.

(١) انظر: الصواعق المرسلّة (٤/١٤٩٥).

(٢) انظر: (٤/١٤٩٨).

(٣) انظر: الصواعق المرسلّة (٤/١٥٠٢).

والعقل والفطرة من كونه لا يفرح، والواجب أن يستدل بالمعلوم على المجهول، وبالواضح على الخفى، أما أن يستدل بانتفاء الفرع على انتفاء كونه مستحقاً للمدح، فهذا من أبطل الباطل، وهو خروج عن مقتضى السمع والعقل، وهو من فعل أهل التلبس والتدليس، وإذا تبين ذلك عرف أن هؤلاء الجهمة المعطلة الذين يذكرون ما وصف الله به نفسه من الرضى والفرح يلزم لزوماً بيناً أن يحددوا حمده سبحانه والثناء عليه<sup>(١)</sup>.

١٣- أن يقال: قولكم: إن المدح والذم لا معنى لهما إلا مجرد الخبر عن استحقاق ما يفرح ويؤلم ليس كذلك، والتحقيق أن فيها معنى زائداً على الخبر المجرد سواء دل اللفظ على ذلك المعنى الزائد بالتضمن أو باللزوم، فإن الحامد المادح يقترن بحمده ومدحه محبة المحمود والرضى عنه وتعظيمه، وكذلك الذام يقترن بذمه بغض المذموم وتنقصه، ولهذا فسر كثير من الناس الحمد بالرضى، والتحقيق أن الحامد يعتقد في المحمود ما يحبه، ويرضى به، ويفرح به، ويكون مع هذا الاعتقاد والخبر في قلبه من محبته والرضا به والفرح ما استحق به أن يكون حامداً له، وهذا أمر يحمده الحامد من نفسه إذا كان حامداً بحق وصدق، بخلاف الحمد الباطل فإنه كذب لا يستلزم شيئاً من ذلك.

فالمدح والحمد أصلهما الخير ويتبعه الحب والرضا، والذم أصله الخبر، ويتبعه البغض والسخط<sup>(٢)</sup>.

والمقصود هنا أنه إذا كان لا معنى للحمد إلا الإخبار المتضمن فرح المحمود وليس أحداً أحب إليه المدح من الله وحمده والثناء عليه، وذلك عنده بالمنزلة التي لا يمكن

(١) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٥٠٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤/١٥٠٣-١٥٠٤).

وصفها ولا يحيط بها البشر كان المنكر لفرحه وما يستلزمه فرحه منكر لحقيقة حمده ومدحه والثناء عليه وتمجيده، وحينئذ فإن هؤلاء المعطلة يقرون بظاهر من القول وينكرون حقيقته ويصدون عن سبيل الله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وينفرون من أحب الأشياء إلى الله وأكرمها عليه وأعظمها عنده هو ذكره بأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه ومدحه بها وحمده عليها، بل يكفرون من يثني عليه بها وينسبونه إلى التشبيه والتجسيم ويستحلون منه ما يستحله المحاربون من أعدائهم وذلك عين العداوة لله ولرسوله<sup>(١)</sup>. والله تعالى أعلم.

(١) انظر: الصواعق المرسله (٤/١٤٨٧-١٤٨٨).

الفصل الثاني

## الرد على حمد المعتزلة

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: **تعريف المعتزلة**  
المبحث الثاني: **نشأة المعتزلة**  
المبحث الثالث: **الرد على شبهة المعتزلة في الحمد**

المبحث الأول  
تعريف المعتزلة

### المبحث الأول: تعريف المعتزلة

الاعتزال لغة: مأخوذ من عزل الشيء يعزله عزلا وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل: تجاه جانبا فتحنى، ومنه تعازل القوم: انعزل بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي كنت بموضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾<sup>(١)</sup>، أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي، وعلى هذا فالاعتزال معناه في اللغة: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون<sup>(٢)</sup>.

والمعتزلة في الإصلاح: هو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال<sup>(٣)</sup>، الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم، ولعل أشهر تلك الآراء وأرجحها أن سبب تسميتهم بالمعتزلة « أن رجلاً دخل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين: لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة

(١) سورة الدخان الآية: ٢١.

(٢) انظر: لسان العرب (١٩٠/٩) مادة عزل، والقاموس المحيط (١٥/٤).

(٣) هو واصل بن عطاء الغزال، من موالي بني ضبة، ولد سنة ٨٠هـ وهو رأس المعتزلة، وهو الذي نشر مذهب المعتزلة في الآفاق، وبعث أصحابه إلى الأقطار لنشر مذهب الاعتزالي، توفي سنة ١٣١هـ.

انظر وفيات الأعيان (١٧٠/٢)، والفرق بين الفرق ص ٢٠، والملل والنحل (٥٠/١).

(٤) انظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، للدكتور عرفات عبد الحميد ص ٨٣، والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ص ١٣-١٤.

عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً مع الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال: واصل ابن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة<sup>(١)</sup>.

وزعم القاضي عبد الجبار « أنه قد جرت بين واصل بن عطاء، وبين عمرو بن عبيد مناظرة في هذا، فرجع عمرو بن عبيد إلى مذهبه، وترك حلقة الحسن واعتزل جانباً، فسموه معتزلياً، وهذا أصل تلقيب أهل العدل بالمعتزلة<sup>(٢)</sup> ».

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/٥٢).

(٢) شرح الأصول الخمسة ١٣٨، وأنظر الخطط للمقرئزي (٤/١٦٥).



المبحث الثاني  
نشأة المعتزلة

## المبحث الثاني: نشأة المعتزلة

المعتزلة أكبر مدرسة من مدارس الفكر التي عرفها الإسلام، وأقدمها، انتهجت وسائل عقائدية معينة اعتمدت فيها على العقل، والجدل<sup>(١)</sup>، ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري ما بين سنة ١٠٥ و سنة ١١٠هـ<sup>(٢)</sup>، في مدينة البصرة، التي كانت في ذلك الوقت أهم ملتقى للعلم الإسلامي، مشبهاً جوه بآثار الثقافات الأجنبية تجرى إليه، وتمتاز فيه « والتي كانت موضعاً يلتقي فيه أتباع الأديان المختلفة، المنتشرة آنذاك، فيحتك بعض الأديان ببعض، وتترك في نفوس أربابها أثراً بعيداً عميقاً<sup>(٣)</sup>».

وفي بداية العصر العباسي، نشطت دعوتهم، وبعثوا الدعوة إلى أقصى الأمصار ينشرون مبادئهم، وكانوا مؤمنون بما يقومون به متحمسين له، يستسهلون معه الصعاب، فلا يثنيهم البرد القارس، ولا الحر القاطظ ولا تعوقهم مشقة السفر، ولا احتمال الخطر، يثيرون المسائل، ويرهنون عليها، وهم حزب على أهل العقائد المختلفة<sup>(٤)</sup>.

« وهذه الفرقة من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها تابعاً، فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول، وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين، بهذا يعلم أن المعتزلة ليسوا في قلة فضلاً أن يظن أنهم انقرضوا، وان لا فائدة للمناظرة معهم، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها<sup>(٥)</sup>».

(١) انظر: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة للدكتور محمود أحمد خفاجي (٣٨/١).

(٢) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب العواجي (١٠١٧/٢).

(٣) انظر: كتاب المعتزلة لزهدي جار الله (٢٦/١).

(٤) انظر: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة (٣٩/١).

(٥) انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة، للشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله ص (٥٦).

وقد ورث المعتزلة مذهب الجهمية في نفي الصفات، ولطفت بعض شناعته بإثبات الأسماء مجردة من المعاني، كما ورثت القدرية الغلاة، ولطفت بعض شناعته بإثبات العلم دون المشيئة والخلق<sup>(١)</sup>.

فالمعتزلة يثبتون - ولا بد لهم من ذلك - الأسماء الحسنى موافقة لصريح النصوص، ولكنهم يفرغونها من معانيها، فيجعلونها أعلاماً محضة لذات الباري جل وعلا بمنزلة الأسماء المترادفة<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهرت المعتزلة في العصر الأموي، وكانوا قد أدركوا نقطة الضعف في الفرق التي خرجت قبلهم كالقدرية الذين تعرضوا لنقمة الخلفاء الأمويين، وتبعوا بالقتل والتشريد، لذا علموا أنه لا بقاء لهم ما لم يوجدوا قوة كبيرة تساندهم وتشد أزهرهم فخطر لهم أن يستعينوا بالسلطة الحاكمة، ويستميلوها إلى جانبهم، فبذلك يمكن أن يعيشوا آمنين، ويظهروا آرائهم بلا خوف ولا وجل، فتم لهم ما أرادوا، ولكن بعد جهاد طويل دام ما يقارب قرناً من الزمان، لذا راحوا يلقون على الخلفاء شباكهم، فالتفوا حول يزيد بن الوليد بن عبد الملك<sup>(٣)</sup> الذي اعتقد معتقداتهم وناصرهم في عهده، واعتنق مذهبهم<sup>(٤)</sup>.

ولما مضى الأمويون، وابتدأت الدولة العباسية، نشطت حركة المعتزلة، وبدؤوا يرسلون الرسل في الآفاق للدعوة إلى مذهبهم ومعتقدهم، وكان ممن تولى هذه المهمة واصل بن عطاء، وذلك لأن مذهبهم حظي بتأييد الخلفاء العباسيين،

(١) انظر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ص (١٠٩).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٨٢-١٨٣).

(٣) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، تولى الخلافة بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة

(١٦٢هـ) بعد مقتل الوليد بن يزيد ابن عبد الملك، وكان يزيد هذا يميل إلى تعاليم المعتزلة، وفي عهده

أخذ حبل بني أمية في الاضطراب. انظر: البداية والنهاية (١٣/١٠).

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٤٦/٩)، ودول الإسلام للذهبي (٩٥/١)، ومروج الذهب

للمسعودي (٢٣٤/٣)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص (٤٠).

وبخاصة في عهد المأمون<sup>(١)</sup> الذي كان يميل إلى الأخذ ببعض معتقدات المعتزلة، لا سيما موافقتهم على القول بخلق القرآن، حتى إنه سخر قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق القرآن، فأرسل في سنة ٢١٨هـ كتاباً إلى نائبه ببغداد يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين وجميع أهل العلم بالقول بخلق القرآن، كما أمر أن يأخذ على القضاة عهداً بأن لا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن، وأن يفرض العقوبة على من لم ير بهذا الرأي، فحدثت بذلك فتنة عظيمة امتحن لأجلها الناس<sup>(٢)</sup>.

وقد استمرت نصره الخلفاء العباسيين للمعتزلة من أيام المأمون إلى خلافة المتوكل<sup>(٣)</sup>، حيث جعلوا مذهبهم عقيدة للدولة، الأمر الذي هيا للمعتزلة أن يسيطروا نفوذهم وسيطرتهم على جميع من خالفهم، فأحلوا السيف محل الحججة والدليل<sup>(٤)</sup>.

والمصادر التاريخية أكثرها تذكر أن واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، هما المؤسسان لمذهب الاعتزال بعد أن تخطى مرحلة التمهيد المبكرة على يد القدرية الأوائل<sup>(٥)</sup>.

وأما من ذكر نشأة المعتزلة من المعتزلة فإنهم ينسبون نشأة الاعتزال إلى زمن الصحابة رضوان الله عليهم<sup>(٦)</sup>.

إذاً يتلخص مما سبق أن المعتزلة نشأت في القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد.

(١) هو أبو جعفر عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي، ولد سنة ١٧٠هـ، قال فيه ابن كثير:

«وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة» توفي سنة ٢١٨هـ. انظر: البداية والنهاية (٢٨٧/١٠).

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون (١٠٧٩/٣)، والمختصر في تاريخ البشر لعماد الدين إسماعيل (٣٠/٢-٣١).

(٣) هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ولد سنة ٢٠٧هـ وبويع له بعد أخيه الواثق ٢٣٢هـ. انظر: البداية والنهاية (٣٦٤/١٠).

(٤) انظر: آراء المعتزلة الأصولية للدكتور علي الضويحي ص (٤٩-٥٠).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص (١١٧-١١٨)، والمنية والأمل لأحمد بن يحيى المرتضى ص (٧-٨)، واللمع

في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري ص (١٢٤).

(٦) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة لأبي القاسم البلخي ص (١٦٥)، وتاريخ المذاهب الإسلامية

لأبي زهرة (١٣٨).

المبحث الثالث  
الرد على شبهة المعتزلة  
في الحمد

### المبحث الثالث: الرد على شبهة المعتزلة في الحمد

قالت المعتزلة: إن قوله الحمد لله لا يتم إلا على قولنا لأن المستحق للحمد على الإطلاق هو الذي لا قبيح في فعله، ولا جور في أفضيته، ولا ظلم في أحكامه، وعندنا أن الله تعالى كذلك، فكان مستحقاً لأعظم المحامد والمدائح<sup>(١)</sup>.

فقولهم إن المستحق للحمد هو الذي لا قبيح في فعله...، هذا داخل تحت الأصل الثاني من الأصول الخمسة التي يبنى عليها المعتزلة معتقدتهم، وهذا الأصل يسمونه بالعدل، ويعرفون العدل، بأنه: بيان أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه<sup>(٢)</sup>.

وعلى ذلك فإنهم يعتبرون أفعال الله تعالى كلها حسنة، ولذا ينزهونه تعالى عن فعل القبيح حتى إنهم نفوا أن يكون خالقاً لأفعال العباد لما فيها من القبح؛ كما ينزهونه تعالى عن الإخلال بما هو واجب عليه<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار: «اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا يحدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها عظم خطؤه»<sup>(٤)</sup>.

فاتفق المعتزلة على أن الله تعالى غير خالق لأفعال العباد وأن العباد هم الخالقون لأفعالهم، مع أنهم مؤمنون بأن الله تعالى عالم بكل ما يعمله العباد، وأن الله تعالى هو الذي أعطاهم القدرة على الفعل أو الترك<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص (٣١٥-٣١٦)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (١/٢٢٧)، واللباب

في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي الدمشقي (١/١٧٦).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص (١٣٢).

(٣) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة ص (١٥٣).

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٣/٨).

(٥) انظر: فرق معاصرة للدكتور غالب العواجي (٢/١٠٣٦).

والمعتزلة لهم شبه على مذهبهم وجدال عقلي: ومن تلك الشبه:

١- مما استدلوا به أن إثبات خلق الله تعالى لأفعال العباد فيه نسبة الظلم والجور إليه تعالى والله منزه عن ذلك.

يقول القاضي عبد الجبار: « فمن جملتها - أي على أن الله لا يريد القبيح - قوله تعالى: ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾<sup>(١)</sup> ، ووجه الاستدلال به هو أن قوله ظلماً نكرة، والنكرة في النفي تعم، فظاهر الآية يقتضي أنه تعالى لا يريد شيئاً مما وقع عليه اسم الظلم، فصار ذلك بمنزلة قول القائل: ما رأيت رجلاً، فكما أن ظاهره يقتضي أنه لم ير أحداً مما يقع عليه اسم الرجل، كذلك في مسألتنا.

فإن قيل: أكثر ما في هذا أنه تعالى لا يريد أن يظلم العباد، فمن أين أنه لا يريد أن يتظالموا، قلنا: من حيث أن الآية عامة في سائر ما يقع اسم الظلم، فيجب القضاء بأنه لا يريد شيئاً منه<sup>(٢)</sup>.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- أن قولهم إن الله تعالى لا يفعل القبيح، بل أفعاله كلها حسنة، فهذا يوافقون عليه، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: « وخلق سبحانه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله. ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً...، وأسماءه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب سبحانه هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فجعله فاعلاً خيراً، والمفعول شر قبيح؛ فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في

(١) سورة غافر الآية: ٣١.

(٢) شرح الأصول الخمسة (٤٥٩-٤٦٠).

ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشرّاً.

وهذا أمر معقول في الشاهد، فإن الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء، والحجر المكسور واللينة الناقصة فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلاً وصواباً يمدح به، وإن كان في المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل.

ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها كان ذلك منه حكمة وعدلاً وصواباً، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها، فمن وضع العمامة على الرأس، والنعل في الرجل، والكحل في العين، والزبالة في الكناسة، فقد وضع الشيء موضعه، ولم يظلم النعل والزبالة إذ هذا محلها.

ومن أسمائه سبحانه العدل والحكيم الذي لا يضع الشيء إلا في موضعه»<sup>(١)</sup>.

٢- قولهم لو كان الله هو الخالق لما يوجد من العباد من الظلم والجور والكذب لوجب أن يسمى ظالماً وكاذباً وجائراً ويتعالى الله عن ذلك، الجواب عن هذا أن يقال: هذا استدلال صدر ممن يجهل حد الظلم والظالم في اللغة، وذلك أن الظلم في اللغة هو: مجاوزة الحد<sup>(٢)</sup>، ولهذا قيل «من أشبه أباه فما ظلم»<sup>(٣)</sup>، أي لم يجاوز الحد.

وقال النبي ﷺ فيمن زاد على الثلاث في الوضوء: «فقد أساء وظلم»<sup>(٤)</sup>.

فالظالم هو من حد له حد فجاوزه، وليس فوق الله سبحانه من يحد له الحدود فيجاوزها.

وجواب آخر وهو أن يقال بالإجماع إن الله قد خلق لهم الاستطاعة التي وقع بها منهم الظلم والكذب والجور مع علمه أنهم يظلمون بها، فيلزم على اعتلال المعتزلة أن

(١) انظر: شفاء العليل (٢/٦٤-٦٧).

(٢) انظر: لسان العرب (٣/٣١٢).

(٣) انظر: مجمع الأمثال للميداني (٣/٣١٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٥)، والنسائي الطهارة مختصراً (١٤٠)، وابن ماجه (٤٢٢)، وأحمد في

المسند (٢/١٨٠)، كلهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.



يسمى بذلك ظالماً ومعيناً على الظلم.

وجواب آخر أن يقال: إن كان بخلقه الظلم يسمى ظالماً فينبغي أن يكون بخلقه حركة الاضطرار يسمى متحركاً وبخلقه السقم سقيماً، وإذا لم يلزم ذلك عليهم لم يلزم ذلك على قول أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق أفعال العباد<sup>(١)</sup>.

٣- إن الظلم الذي نفاه عن نفسه هو وضع الشيء في غير موضعه أو وضع سيئات شخص على آخر، أو أن ينقص من حسنات المحسن، وهذا ظلم بلا شك والله منزّه عنه.

والخلاف إنما هو في حقيقته في خلق كل الأشياء وكل الأفعال، وأنها لا تخرج عن خلق الله وإرادته لها، قال تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾<sup>(٣)</sup>، وهؤلاء يقولون الإنسان هو الذي يخلق فعله فراراً - بزعمهم - من نسبة خلق الأفعال إلى الله تعالى وإرادتها بزعمهم.

ولم ينظروا إلى أن الله عز وجل هو الخالق للعباد وأعمالهم، ولا يوجب ذلك أن يكون الله تعالى هو الفاعل لأعمالهم، فخلق الظلم والكذب والطاعة والمعصية، فمن فعل الظلم بأن غش الناس أو غصبهم أموالهم يقال له: غاش ومغتصب وسارق... إلى آخره، ولا ينسب إلى الله تعالى إلا باعتبار إقدار الله تعالى للعبد وشمول مشيئته لها، لا أن الله هو الفاعل الحقيقي لتلك الجرائم<sup>(٤)</sup>.

٤- إن سبب ضلال المعتزلة في هذه المسألة هو عدم التفريق بين خلق الله ومخلوقه، فالمعتزلة يقولون: إن فعل الرب تعالى لا يكون إلا بمعنى مفعوله، مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول، وأهل السنة والجماعة يقولون: خلق الله صفته

(١) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للشيخ يحيى ابن أبي الخير العمراني (١/١٨٧).

(٢) سورة الرعد الآية: ١٦.

(٣) سورة الصافات الآية: ٩٦.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٤، و فرق معاصرة (٢/١٠٣٧).

التي يخلق بها الخلق، وأما مخلوقه فهو أثر الصفة، وهو مفعوله، وخلق الله تعالى لمخلوقاته، ليس هو نفس مخلوقاته، بل خلقه فعله المتصف به، ومخلوقاته مفعولاته التي يفعلها ويوجدتها إذا شاء، وأفعال العباد مخلوقة له تعالى كسائر المخلوقات، ومن جملة مفعولاته، وليست هي نفس فعل الرب، بل هي نفس فعل العبد، فالكذب والظلم، ونحوهما من القبائح، يتصف بها من كانت فعلا له، قائمة به، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له، لأنه تعالى جعلها صفة لغيره، كما أنه تعالى لا يتصف بما خلقه في غيره، من الطعوم، والألوان، والروائح، والأشكال، وغير ذلك.

فإذا خلق الإنسان أبيض، أو أسود، لم يكن ذلك اللون وصفا له، وكذلك إذا خلق هذا الشيء مرأاً أو حلواً، أو على صورة قبيحة مذمومة، لم يكن تعالى متصفاً بذلك، بل المتصف بها من قامت به وفعلها<sup>(١)</sup>.

٥- إن القرآن دل على أن مفعولات العباد، الخارجة عن أنفسهم مصنوعة لهم، وما كان مصنوعاً لهم فهو من فعلهم ومقدورهم بالضرورة والاتفاق.

قال الله تعالى: لنوح عليه السلام: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى:

﴿ويصنع الفلك﴾<sup>(٣)</sup>، وقد أخبر تعالى أن الفلك مخلوقة من مخلوقاته، مع كونها مصنوعة

لبني آدم، وجعلها من آياته، فقال تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره﴾<sup>(٥)</sup>، وقال

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٢/٨-١٢٣)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيان (٥٥٠/٢).

(٢) سورة هود الآية: ٣٧.

(٣) سورة هود الآية: ٣٨.

(٤) سورة يس الآية: ٤١.

(٥) سورة الحج الآية: ٦٥.

تعالى: ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ أتعبدون ما تتحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾<sup>(٢)</sup>، فجعل الأصنام معمولة لهم، وأخبر أنه خالقهم وخالق معمولهم، فإن « ما » هنا بمعنى الذي، والمراد، خلق ما يعملونه من الأصنام، وإذا كان خالقا للمعمول، وفيه أثر فعلهم، دل على أنه خالق لأفعال العباد<sup>(٣)</sup>.

٦- أن الله سبحانه له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه، فما خلق شيئا ولا حكم بشيء إلا وله فيه الحمد، فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه، والثناء عليه والإقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به، وحمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه، فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه وإهانته، كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعته وإكرامه، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا<sup>(٤)</sup>.

فتبين بهذا بطلان شبهة المعتزلة بأن حمد الله تعالى لا يكون إلا على مذهبهم الفاسد، ويقال في الرد على شبهتهم إنه لا تناقض بين كون فعل الله وخلقته حسناً ومنتقناً، ووجود القبائح والمعاصي التي هي من مخلوقات الله، فخلق الله الذي هو فعله، وصفته كلها حسن وخير، أما مخلوقاته فهي موطن الانقسام.

٢- ومن شبه المعتزلة في الحمد أنهم قالوا: إن حمد الله تعالى لا يجب في الآخرة، أما بالنسبة لأهل الجنة فحمدهم له ليس بواجب، لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها، وأما أهل النار فلا يجب عليهم شكر نعمة الله وحمده عليها لأنهم إنما خلقوا لها، سيّما إذا لم يتأول قوله تعالى: ﴿ ولا يحسن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي

(١) سورة الزخرف الآية: ١٢.

(٢) سورة الصافات الآية: ٩٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٨-١٧).

(٤) انظر: شفاء العليل (١٨٧/٢).

لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴿١﴾، وتأويل الآية صعب لأنها من النصوص المصادمة للتأويل<sup>(٢)</sup>.

أما قولهم إن الحمد ليس بواجب على أهل الجنة لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها، فهذا مبني على أن المعتزلة أوجبوا على الله تعالى -بعقولهم- أشياء لا يجوز أن يخل بها<sup>(٣)</sup>.

وذلك كاللطف، والصلاح، والأصلح، والثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، ووجوب التعويض على الآلام، وأوجبوا على الله أشياء مخالفة للصحيح الصريح من نصوص الكتاب والسنة، ولا شك أن هذا الإيجاب العقلي من المعتزلة على الله باطل، لأنه يلزم عليه أن يكون هناك موجب فوق الله أوجب عليه شيئاً، ولا موجب عليه سبحانه وتعالى، كما يلزم عليه ألا يكون تعالى فاعلاً مختاراً، وهو باطل<sup>(٤)</sup>.

ثم إن حقيقة هذا القول أنه ناشئ من تشبيه الله بخلقه، فهم يوجبون على الله ما يوجبونه على العبد، ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد، ويسمون ذلك العدل والحكمة، مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته وعدله، ولا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة<sup>(٥)</sup>.

فهم في الحقيقة شبهوا الله بخلقه في أفعاله حيث جعلوا ما حسن منهم حسن منه، ووجب عليه، وما قبح منهم قبح منه وامتنع عليه، وهذا باطل، لأن الله تعالى كما أنه

(١) سورة آل عمران الآية: ١٧٨.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٥٤٩/٣)، والمسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للأستاذ صالح بن غرم الله الغامدي (٨١٩/٢)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي قاسم لابن الوزير (٥/٦).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة ص (١٣٣).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٦٦/١)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص (١٦٠)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٣٢٤/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٩١/٨).

ليس كمثلته شيء في ذاته، ولا في صفاته، فكذلك ليس كمثلته شيء في أفعاله، وكيف يقاس تعالى بخلقه ونحن نرى كثيرا من الأفعال تقبح من العباد وهي حسنة منه تعالى لحكم يعلمها سبحانه، وذلك كإيلام الأطفال والحيوان، وإهلاك من لو أهلكناه نحن لقبح منا من الأموال والأنفس ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا شأنه سبحانه وشأننا فكيف يصح قياس أفعاله على أفعالنا؟ فلا يدرك إذاً للوجوب والتحريم عليه وجه، كيف والإيجاب والتحريم يقتضي موجباً ومحرمًا، أمراً ناهياً، وبينه فرق وبين الذي يجب عليه ويحرم.

وهذا محال في حق الواحد القهار، فالإيجاب والتحريم طلب للفعل والترك على سبيل الاستعلاء فكيف يتصور غائباً؟! وأيضا فهذا الإيجاب والتحريم اللذين زعمتم على الله لوازم فاسدة، يدل فسادها على فساد الملزوم:

اللازم الأول: إذا أوجبتم على الله تعالى رعاية الصلاح والأصلح في أفعاله، فيجب أن توجبوا على العبد رعاية الصلاح والأصلح أيضا في أفعاله، حتى يصح اعتبار الغائب بالشاهد، وإذا لم يجب علينا رعايتها بالاتفاق بحسب المقدور بطل ذلك في الغائب، ولا يصح تفريقكم بين الغائب والشاهد بالتعب والنصب الذي يلحق الشاهد دون الغائب، لأن ذلك لو كان فارقاً في محل الإلزام لكان فارقاً في أصل الصلاح، فإن ثبت الفرق في صفته ومقداره ثبت في أصله، وإن بطل الفرق ثبت الإلزام المذكور.

اللازم الثاني: أن القربات من النوافل صلاح، فلو كان الصلاح واجباً، وجب وجوب الفرائض.

اللازم الثالث: أن ما فعله الرب تعالى من الصلاح والأصلح، وتركه من الفساد والعبث لو كان واجباً عليه لما استوجب بفعله له حمداً وثناءً، فإنه في فعله ذلك قد قضى ما وجب عليه، وما استوجبه العبد بطاعته من ثوابه فإنه عندكم حقه الواجب له على ربه، ومن قضى دينه لم يستوجب بقضائه شيئاً آخر.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٤٢٨)، ومنهاج السنة (١/٤٤٧-٤٤٨).

اللازم الرابع: أنهم قالوا - وصدقوا-: بأن الرب تعالى قادر على التفضل بمثل

الثواب ابتداء بلا واسطة عمل، فأى غرض له في تعريض العباد للبلوى والمشاق؟

ثم قالوا - وكذبوا-: الغرض في التكليف أن استيفاء المستحق حقه أهناً له وألذ

من قبول التفضل واحتمال المنة! وهذا كلام أجهل الخلق بالرب تعالى، وبحقه

وبعظمته، ومساو بينه وبين آحاد الناس، وهو من أقبح التشبيه وأخبثه تعالى الله عن

ظلالهم علواً كبيراً.

فكيف يستنكف العبد المخلوق المربوب من قبول فضل الله تعالى ومنته؟ وهل

المنة في الحقيقة إلا لله المان بفضله؟ قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمْنُوا عَلَيَّ

إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ للأَنْصَار: « أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ؟

فَأَجَابُوهُ بِقَوْلِهِمْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ »<sup>(٣)</sup>.

فأى حق للعبد على الرب حتى يمتنع من قبول منته عليه؟ فبأي حق استحق

الإنعام عليه بالإيجاد، وكمال الخلقة، وحسن الصورة، وقوام البنية، وإعطائه القوى

والمنافع والآلات والأعضاء، وتسخير ما في السموات وما في الأرض له، ومن أقل ما

له عليه من النعم التنفس في الهواء الذي لا يكاد يخطر بباله أنه من النعم وهو في اليوم

والليلة أربعة وعشرون ألف نفس، فإذا كانت أقل نعمه عليهم -ولا أقل منها- أربعة

(١) سورة الحجرات الآية: ١٧.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٦٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف (ح/٤٠٧٥)، ومسلم في

صحيحه، كتاب الزكاة، باب: في الكفاف والقناعة (ح/١٠٦١)، عن عبد الله بن زيد.

وعشرون ألف نعمة كل يوم وليلة، فما الظن بما هو أجل منها من النعم؟!  
فأي علم لهذه العقول السخيفة المحسوف بها؟ وأي سعي يقابل القليل من نعمه  
الدينيوية حتى لا يبقى لله منة إذا أنابكم لأنكم استوفيتم ديونكم قبله ولا نعمة له  
عليكم فيها! فأى أمة من الأمم بلغ جهلها هذا المبلغ، واستنكفت عن قبول منته  
وزعمت أن لها الحق على ربها وأن تفضله عليها ومنته مكدر لالتذاذها بعطائه؟

ولو أن العبد استعمل هذا الأدب مع ملك من ملوك الدنيا لمقتته وأبعده وسقط من  
عينه، مع أنه لا نعمة له عليه في الحقيقة، إنما المنعم في الحقيقة هو الله ولي النعم وموليها.  
ولقد كشف القوم عن أقبح عورة من عورات الجهل بهذا الرأي السخيف،  
والمذهب القبيح، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به أرباب هذا المذهب، المستنكفين  
من قبول منة الله، الزاعمين أن ما أنعم الله به عليهم حقهم عليه، وحقهم قبله، وأنه لا  
يستحق الحمد والثناء على أداء ما عليه من الدين والخروج مما عليه من الحق، لأن أداء  
الواجب يقتضي غيره! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً<sup>(١)</sup>.

اللازم الخامس: أنه يلزمهم أن يوجبوا على الله عز وجل أن يميت كل من علم  
من الأطفال أنه لو بلغ لكفر وعاند، فإن اخترامه هو الأصلح له بلا ريب! أو أن  
يجحدوا علمه سبحانه بما سيكون قبل كونه كما التزمه سلفهم الخبيث الذين اتفق  
سلف الأمة الطيب على تكفيرهم، ولا خلاص لهم عن أحد هذين الإلزامين إلا بالتزام  
مذهب أهل السنة والجماعة أن أفعال الله تعالى لا تقاس بأفعال عباده، ولا تدخل  
تحت شرائع عقولهم القاصرة، بل أفعاله لا تشبه أفعال خلقه، ولا صفاته صفاتهم، ولا  
ذاته ذواتهم، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾<sup>(٢)</sup>.

اللازم السادس: أن من علم الله سبحانه إذا بلغ من الأطفال يختارون الإيمان  
والعمل الصالح، فإن الأصلح في حقه أن يحميه حتى يبلغ ويؤمن فينال بذلك الدرجة

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٤٢٩-٤٣٣).

(٢) سورة الشورى الآية: ١١.

العالفة، وأن لا ففترمه صغفراً، وهذا مما لا ءواب لكم عنه.

اللازم السابع: من أعظم الإلزامات وأصحها إلزاماً، وقد التزمه المعتزلة، وهو أنه فف فف مقذور الله تعالى لطف، لو فعله الله تعالى بالكفار لآمنوا، وقد التزم المعتزلة هذا اللازم وبنوه على أصلهم الفاسد أنه ففب على الله تعالى أن ففعل فف فف كل عبء ما هو الأصلح له، فلو كان فف مقذوره فعل ففمن العبء عنءه لوجب علىه أن ففعله به، والقرآن من أوله إلى آخره ففء هذا القول وفكذبه وفففر تعالى أن لو شاء لهءى الناس ففمباً، ولو شاء لآمن من فف الأرض ففمباً، ولو شاء لآنى كل نفس هءاها.

اللازم الثامن: وهو أيضاً مما التزمه المعتزلة، أن لطفه ونعمته وتوففقه بالمؤمن كلطفه بالكافر، وأن نعمته علىهما سواء، لم ففخص المؤمن بففضل عن الكافر، وكفى بالوحي وصرف المعقول وفطرة الله والاعتبار الصحيح وإجماع الأمة رءاً لهذا القول وتكذفياً له.

اللازم التاسع: أن ما من أصلح إلا ففوقه ما هو أصلح منه، والافتصار على رتبة واحدة كالاقتصار على الصلاح، فلا معنى لقولكم: ففب مراعاة الأصلح، إذ لا ففاهة له، فلا ففمكن فف الفعل رعافته.

اللازم العاشر: أن الإفباب والتفرم ففقتضى سؤال الموجب المحرم لمن أوجب علىه وحرم: هل فعل مقتضى ذلك أم لا؟ وهذا محال فف فف من لا ففسال عما ففعل، وإنما ففقل فف فف المخلوقفن وأنهم ففسالون<sup>(١)</sup>.

وبالجملة ففان الله تبارك وتعالى لا ففقال بفخلقه، وففف للعبء أن ففوجب على الله، أو ففحرم علىه شئاً بعقله.

وأما ما أوجبه تعالى على نفسه فهذا فف، فالله تعالى أوجب على نفسه ففقا لعباءه المؤمنفن، كما حرم الظلم على نفسه، ولم ففوجب ذلك علىه مخلوق.

ولا ففقال بمخلوقاته تعالى، بل هو برحمته، وحقمته، وعءله كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، كما فف الحدفث: « فف عباءى ففنى حرمت

(١) انظر: مفتاح ءار السعاءة (٢/٤٢٩-٤٣٥).



الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعد الصادق ... وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحرير بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء ومليكه، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه، وحرم على نفسه، لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً، كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، فهو الخالق لهم، وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان، والعمل الصالح، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على من استأجره فهو جاهل في ذلك»<sup>(٤)</sup>.

فتبين بهذا فساد ما أوجبه المعتزلة على الله تعالى، وبطلان قولهم: إنه لا يجب على أهل الجنة حمد الله تعالى لأن إدخالهم الجنة نعمة واجبة الإيصال.

كيف وهم يلهمون التحميد كما يلهمون النفس<sup>(٥)</sup>.

وقد أخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يحمدون الله تعالى على ما رزقهم من

فضله، فقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) تقدم تخريجه ص: (٣١٢).

(٢) سورة الأنعام الآية: ٥٤.

(٣) سورة الروم الآية: ٤٧.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٧٧٦-٧٧٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢١٣/١-٢١٤)، ومنهاج السنة

(١/٤٥٢-٤٥٣)، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص (٢٧٧-٢٧٨).

(٥) انظر: ص (٨٢).

هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض تبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ ﴿٣﴾.

وأما قول المعتزلة: القول بأن أهل النار خلقوا لها يستلزم أن لا يجب عليهم شكر نعمه وحمده عليها.

فجواب أهل الحق على هذه الشبهة من وجهين:

١- الوجه الأول: المنع من كون الله تعالى ما خلق الكفار إلا للعذاب بل خلقهم سبحانه لحكم كثيرة غير منحصرة وردت النصوص بذكر كثير منها مما يشهد له سبحانه بالنعم السابغة، والحكم البالغة والبراهين الدامغة، منها:

١- الإحسان إليهم قبل كفرهم، واستحقاقهم العقوبة يوجب عليهم

شكره.

٢- خلقهم لعبادته بالنظر إلى أمره ومحبه.

٣- الابتلاء بالنظر إلى عدله وحجته.

٤- ظهور عدله في تعذيبهم على كفر نعمه، وجحد حجته بالنظر إلى خيره

وعلمه وقدره وكتابته.

٥- الحكمة الأولى المرجحة لذلك على عفوه عنهم، التي هي تأويل المتشابه

بالنظر إلى حكيمته وإرادته ومشيتته، وعلى هذا مدارها.

٦- ما لا يحيط بجميعه إلا هو بالنظر إلى سعة علمه ورحمته.

٧- ما للمؤمنين في خلقهم من اللطف والنعف في دنياهم ودينهم وأخراهم، وهو

(١) سورة الأعراف الآية: ٤٣.

(٢) سورة الزمر الآية: ٧٤.

(٣) سورة فاطر الآية: ٣٤.

يستحق الحمد من الجميع على حكمته،

كما يستحق الشكر من أهل النعم على نعمته.

٢- الوجه الثاني: القطع بأن مراد الله بالشر خير، لأن الحكيم لا يريد الشر

لنفسه، وإنما يريد له غيره، كما تقدم تقريره<sup>(١)</sup>.

فكل شر أرادته الله، فهو لحكمة هي خير محض، وإن لم يحط بها أحد، وهي

تأويل المتشابه، كما دلت عليه قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وكما دل عليه

قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾<sup>(٢)</sup>.

فلو أريد الشر لكونه شراً لم يحتج إلى تأويل لا يعلمه إلا الله، وقد أشار الله إلى

هذا في جوابه على الملائكة حيث قال: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾<sup>(٣)</sup>.

ففي كل عقوبة ظاهرة نعمة باطنة، ولذلك اختص الله بوجوب شكره على ما ساء

وسر، ونفع وضر، وقد صح النص بذلك في الحد عن النبي ﷺ أن قال: «بايعوني على أن

لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب

من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو

إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»<sup>(٤)</sup>، فالحدود كفارة مع كونها عقاباً ونكالاً.

وهذه القاعدة توجب على أهل النار أن يحمدا ربهم عليها لما لهم فيها من العدل

والحكمة، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾<sup>(٥)</sup>.

وإلى ذلك أشار رسول الله ﷺ بقوله: «الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من

(١) انظر: ص (١٢١).

(٢) سورة آل عمران الآية: ٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ١١ (ح/١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود،

باب: الحدود كفارات لأهلها (ح/٤٤٣٨)، من حديث عبادة بن الصامت ؓ.

(٥) سورة الزمر الآية: ٧٥.

### حال أهل النار»<sup>(١)</sup>.

وفيه إشارة إلى استحقاقه عز وجل الحمد لله على المعذنين بالنار<sup>(٢)</sup>.

٣- ومن شبه المعتزلة في الحمد أنهم أنكروا تسبيح الجمادات بحمد الله تبارك

على الحقيقة بلسان قائلها.

قال الزمخشري: « المراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث دل على الصانع وعلى

قدرته وحكمته، فكأنها تنطق بذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقال القاضي عبد الجبار: « المراد بتسبيح السموات والأرض ومن فيهن أنها تدل

على توحيده وتنزيهه عن الأشباه لا أن المراد به القول الذي يسمى تسبيحاً»<sup>(٤)</sup>.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- أن هذا التحريف بناه المعتزلة على تقديم عقولهم الفاسدة وهو مردود يردده

صريح قوله تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: « فالصحيح أن الكل يسبح؛ للأخبار الدالة على

ذلك، ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة فأى تخصيص لداود - أي في قوله تعالى:

﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾<sup>(٦)</sup> - وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة

والإنطاق بالتسبيح»<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير رحمه الله: « قوله: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ أي وما من شيء

(١) تقدم تخريجه ص (٣٢٩).

(٢) انظر: العواصم والقواصم لابن الوزير (٦/٥٠٧-٧).

(٣) الكشاف (٢/٤٥١).

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص (٢٢٩).

(٥) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٦) سورة الأنبياء الآية: ٧٩.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٦٨).

من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات»<sup>(١)</sup>.

قال الشوكاني رحمه الله: «... هذا التسبيح على حقيقته والعموم على ظاهره، والمراد: أن كل المخلوقات تسبح لله سبحانه هذا التسبيح الذي معناه التنزيه وإن كان البشر لا يسمعون ذلك ولا يفقهونه، ويؤيد هذا قوله سبحانه: ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ فإنه لو كان المراد تسبيح الدلالة لكان أمراً مفهوماً لكل أحد ...

ومدافعة عموم هذه الآية بمجرد الاستبعادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه وما جاء من عنده، ومعنى ﴿ إلا يسبح بحمده ﴾ إلا يسبح متلبساً بحمده»<sup>(٢)</sup>.

قال الشنقيطي رحمه الله: « والتحقق: أن تسبيح الجبال والطيور مع داود المذكور، تسبيح حقيقي؛ لأن الله جل وعلا يجعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو جل وعلا ونحن لا نعلمه، كما قال: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾<sup>(٤)</sup> ...

والقاعدة المقررة عند العلماء: أن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل يجب الرجوع إليه»<sup>(٥)</sup>

٢- في أي لغة تسمى الدلالة على الصانع تسبيحاً وسجوداً وصلاةً وتأويلاً

(١) تفسير القرآن العظيم (٤١/٣).

(٢) فتح القدير (٣/٣٢٦-٣٢٧).

(٣) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٤) سورة البقرة الآية: ٧٤.

(٥) أضواء البيان (٤/٧٣٤).

وهبوطاً من خشيته كما ذكر تعالى في كتابه؟! فتارة يخبر عنها بالسجود كقوله تعالى:  
﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر  
والدواب وكثير من الناس ﴾<sup>(١)</sup>.

وتارة يخبر عنها بالصلاة والتسبيح كقوله تعالى: ﴿ والطير صافات كل قد علم صلاته  
وتسبيحه ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأي عقل يقبل أن يكون معنى الآية: قد علم الله دلالاته عليه، وسمى تلك الدلالة  
صلاة وتسبيحاً، وفرق بينهما وعطف أحدهما على الآخر؟!  
وتارة يخبر عنها بالتأويب كقوله: ﴿ يا جبال أوبي معه والطير ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتارة يخبر عنها بالتسبيح الخاص بوقت دون وقت - كالعشي والإشراق - أفترى  
دلالتها على صانعها إنما يكون في هذين الوقتين؟!  
وبالجملة فبطلان هذا القول أظهر لذوي البصائر من أن يطلبوا دليلاً على  
بطلانه<sup>(٤)</sup>، والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الحج الآية: ١٨.

(٢) سورة النور الآية: ٤١.

(٣) سورة سبأ الآية: ١٠.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (١٠٦/٢).

الفصل الثالث

## الرد على حمد الجبرية

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: **تعريف الجبرية**  
المبحث الثاني: **نشأة الجبرية**  
المبحث الثالث: **الرد على شهمة الجبرية في الحمد**

تحدثت في الفصل السابق عن شبهة المعتزلة في الحمد ورد باطلهم، وفي هذا الفصل سأعرض إلى شبهة الجبرية في الحمد وقبل التعرض لإبطال شبهتهم، سوف أعرف بالجبرية وتاريخ نشأتهم فأقول وبالله التوفيق:



المبحث الأول  
معنى الجبرية لغة واصطلاحاً

## المبحث الأول: معنى الجبرية لغة واصطلاحاً

الجبر في اللغة: ضد الكسر، وجبر الرجل على الأمر يجبره جبراً وجبوراً وأجبره: أكرهه<sup>(١)</sup>، وأجبرته على الأمر أكرهته عليه، وأجبرته أيضاً: نسبته إلى الجبر، كما تقول: أكفرته إذا نسبته إلى الكفر<sup>(٢)</sup>، وهذا على لغة عامة العرب، أما تميم فيجوزون أن يقول: جبرته على الأمر، أجبره جبراً وجبوراً، وقيل للجبرية جبرية لأنهم نسبوا إلى القول بالجبر، فهما لغتان جيدتان: جبرته وأجبرته، غير أن النحويين استحسبوا أن يجعلوا جبرت لجبر العظم بعد كسره وجبر الفقير بعد فاقته، وأن يكون الإجبار مقصوراً على الإكراه<sup>(٣)</sup>.

ولفظ الجبر لفظ محدث لم يرد في الكتاب ولا السنة، ولهذا قال في الصحاح: «والجبر خلاف القدر، قال أبو عبيد<sup>(٤)</sup>: هو كلام مولد»<sup>(٥)</sup>.

وجاء عن بقية بن الوليد<sup>(٦)</sup> «سألت الزبيدي<sup>(٧)</sup>، والأوزاعي عن الجبر، فقال الزبيدي: أمر الله أعظم، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن يقضي ويقدر ويخلق، ويجبل عبده على ما أوجب، وقال الأوزاعي ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر، والجبل، والخلق، فهذا يعرف من القرآن والحديث»<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب (١٦٧/٢) مادة: جبر، والقاموس المحيط (٤٣٦/١).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٦٠٨/٢) مادة جبر.

(٣) انظر: لسان العرب (١٦٧/٢-١٦٨) مادة جبر.

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام، بالتشديد، البغدادي، الإمام المجتهد البحر، اللغوي الفقيه، صاحب المصنفات، ثقة فاضل توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: تقريب التهذيب ص (٣٨٦).

(٥) الصحاح (٦٠٨/٢) مادة جبر.

(٦) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي، أبو محمد، بضم التحتانية وسكون المهملة وكسر الميم: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، من الثامنة مات سنة سبع وتسعين، انظر: تقريب التهذيب ص (٦٥).

(٧) محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي، بالزاي الموحدة، مصغر، أبو الهذيل الحمصي القاضي: ثقة ثبت، من كبار أصحاب الزهري، مات سنة ست وأربعين. تقريب التهذيب ص (٤٤٥).

(٨) أخرجه بسنده الخلال، في كتاب السنة برقم (٩٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبرون بما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضاً، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، ورد باطلاً بباطل.

ونظير هذا القصص المعروفة التي ذكرها الخلال<sup>(١)</sup> في كتاب السنة<sup>(٢)</sup> هو وغيره في مسألة اللفظ ومسألة الجبر ونحوهما من المسائل، فإنه لما ظهرت القدرية النفاة للقدر وأنكروا أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن يكون خالقاً لكل شيء، وأن تكون أفعال العباد من مخلوقاته، أنكر الناس هذه البدعة، فصار بعضهم يقول في مناظرته: هذا يلزم منه أن يكون الله مجبراً للعباد على أفعالهم، وأن يكون قد كلفهم ما لا يطيقونه، فالتزم بعض من ناظرهم من المثبتة إطلاق ذلك، وقال: نعم يلزم الجبر، والجبر حق، فأنكر الأئمة - كالأوزاعي وأحمد بن حنبل ونحوهما - ذلك على الطائفتين...، وقال أحمد والأوزاعي ونحوهما: من قال إنه جبر فقد أخطأ، ومن قال لم يجبر فقد أخطأ، بل يقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ونحو ذلك، وقالوا: ليس أصل للجبر في الكتاب والسنة، وإنما الذي في السنة لفظ « الجبل »<sup>(٣)</sup> لا لفظ

وانظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/١٧٦)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب

المعاصرة، إشراف الدكتور مانع بن حماد الجهني (٢/١٠٤٦).

(١) هو أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، الحنبلي شيخ الخنابلة صاحب تصانيف منها: كتاب

السنة، وكتاب أخلاق أحمد، توفي سنة ٣١١هـ. انظر ترجمته في: طبقات الخنابلة (٢/١٢)، سير أعلام

النبلاء (٤/٢٩٧)، شذرات الذهب (٢/٢٦١).

(٢) انظر: كتاب السنة للخلال (١/٥٥٥).

(٣) جبل الله الخلق يجبلهم ويجبلهم: خلقهم، وجبله على الشيء: طبعه، وجبل الإنسان على هذا الأمر أي

طبع عليه. انظر: لسان العرب (٢/١٧٠) مادة جبل.

« الجبر » فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: لأشج عبد القيس<sup>(١)</sup>: « إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: أخلقين تخلقت بهما، أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: بل خلقين جبلت عليهما، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله »<sup>(٢)</sup>.

وقالوا: إن لفظ الجبر لفظ مجمل فإن الجبر إذا أطلق في الكلام فهم منه إجبار الشخص على خلاف مراده، كما تقول الفقهاء: إن الأب يجبر ابنته على النكاح أو لا يجبرها، وإن الثيب البالغ العاقل لا يجبرها أحد على النكاح بالاتفاق...، فهذه العبارات معناها إجبار الشخص على خلاف مراده، وهو كلفظ الإكراه، إما أن يحمله على الفعل الذي يكرهه ويغضه فيفعل خوفاً من وعيده، وإما أن يفعل به الشيء بغير فعل منه.

ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى إذا جعل في قلب العبد إرادة للفعل ومحبة له حتى يفعله - كما قال تعالى: ﴿ ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾<sup>(٣)</sup>، لم يكن هذا جبراً بهذا التفسير، ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، فإنه هو الذي جعل الراضي راضياً، والمحب محباً، والكاره كارهاً.

وقد يراد بالجبر نفس جعل العبد فاعلاً، ونفس خلقه متصفاً بهذه الصفات، كما في قوله تعالى: ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ﴾<sup>(٤)</sup>... فالأئمة منعت من إطلاق القول بإثبات لفظ الجبر أو نفيه لأنه بدعة يتناول حقاً وباطلاً<sup>(٥)</sup>.

(١) اسمه المنذر بن عائد بن المنذر بن الحارث العصري، بمهملتين مفتوحتين، أشج عبد القيس: صحابي، نزل البصرة ومات بها.

انظر: تقريب التهذيب ص (٤٧٨)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: الإيمان بالله تعالى ورسوله (ح/٢٥).

(٣) سورة الحجرات الآية: ٧.

(٤) سورة المعارج الآية: ١٩-٢١.

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٥٤-٢٥٦)، ومجموع الفتاوى (٨/١٣٢).

إذاً يتلخص مما سبق أن لفظ الجبر لفظ ليس له أصل في الكتاب والسنة، واللفظ المستعمل هو لفظ الجبر<sup>(١)</sup>.

وأما الجبر في الاصطلاح فمعناه: نفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الرب، أي: أن الله يجبر العباد على أعمالهم، والعباد مجبورون على أفعالهم، ليس لهم أي دور فيها، إذ هم كورقة الشجر تحركها الرياح، وإنما تضاف الأعمال إلى العباد على جهة المجاز<sup>(٢)</sup>.

والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد، فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً<sup>(٣)</sup>، والمائلين إلى الجبر قالوا: إن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدرها ولا في صفة من صفاتها، وإن الله أجرى العادة بخلق مقدرها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله إبداعاً وإحداثاً، وكسبا من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته، وقالوا: إن العبد ليس محدثاً لأفعاله ولا موجداً لها، ومع هذا فقد يقولون: إنا لا نقول بالجبر المحض، بل تثبت للعبد قدرة حادثة والجبري المحض الذي لا يثبت للعبد قدرة<sup>(٤)</sup>.

وهؤلاء في الحقيقة يؤول مذهبهم إلى مذهب الجهمية الذين سلبوا العبد قدرته واختياره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وكثير من المتأخرين من المثبتين للقدر من أهل الكلام ومن وافقهم سلكوا مسلك جهنم في كثير من مسائل هذا الباب، وإن خالفوه في بعض ذلك إما نزاعاً لفظياً، وإما نزاعاً لا يعقل، وإما نزاعاً

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص (٤١).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١٠٤٥/٢)، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للدكتور عبد الرحمن المحمود ص (٢٠٠).

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٧٢/١)، ودائرة المعارف القرن العشرين: محمد فريد (٢٤/٣)، والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الدكتور أحمد شلبي (٢٠٧/٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١١٨/٨).

معنوياً، وذلك كقول من زعم أن العبد كاسب ليس بفاعل حقيقة، وجعل الكسب مقدوراً للعبد، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور»<sup>(١)</sup>.

ولذلك فقد صرح بعض من يعتنق هذا المذهب بمذهب الجبر المحض.

يقول عضد الدين الإيجي<sup>(٢)</sup> «العبد مجبور في جميع أفعاله»<sup>(٣)</sup>.

ويقول أبو المعالي الجويني<sup>(٤)</sup>: «فالوجه القطع بأن القدرة الحادثة لا تؤثر في

مقدورها أصلاً، وليس من شرط تعلق الصفة أن تؤثر في متعلقها، إذ العلم معقول

تعلقه بالمعلوم مع أنه لا يؤثر فيه، وكذلك الإرادة المتعلقة بفعل العبد لا تؤثر في

متعلقها»<sup>(٥)</sup>.

إذاً يتبين من هذا أن حقيقة قول هؤلاء هو القول بالجبر المحض.

(١) مجموع الفتاوى (٤٤٦/٨-٤٤٧).

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي الشيرازي الشافعي، الملقب بعضد الدين، كان عالماً في العلوم العقلية والنحو والفقهاء والمعاني والبيان، توفي سنة ٧٥٦هـ - انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٧٨-٤٦/١٠)، والدرر الكامنة (٤٢٩/٢)، وبغية الوعاة للسيوطي (٧٦-٧٥/٢).

(٣) المواقف في علم الكلام ص (٧).

(٤) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري - أحد كبار الشافعية، صاحب تصانيف توفي سنة ٤٧٨هـ -

انظر: طبقات الشافعية (١٦٥/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨)، وتبين كذب المفتري لابن عساكر

(٧٨-٢٨٥٢).

(٥) الإرشاد ص (٢١٠).

المبحث الثاني  
نشأة الجبرية

## المبحث الثاني: نشأة الجبرية

الجبرية كفرقة تقول بالجبر على المعنى الاصطلاحي في باب القدر ترتبط نشأتها على ما يقوله كتاب المقالات بظهور الجهم بن صفوان، وذلك في أوائل المائة الثانية للهجرة بمدينة ترمذ<sup>(١)</sup>.

فالجهم بن صفوان كان هو المؤسس الحقيقي لكثير من الشبهات في الدين، ومؤججاً لكثير من الفتن بين المسلمين بفعل من جاء بعده ممن راقى في نظره آراء الجهم<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا يكون ابتداء ظهور الجبرية مقارباً لابتداء ظهور المعتزلة، ولعل الصراع العقائدي في هذه الفترة هو الذي ولد ظهور هذا الغلو في جانب القدر، سواء بنفي أي دور للعباد في أفعالهم، وكون الإنسان كالشجرة في مهب الريح كما تقول الجبرية، أو بنفي خلق أفعال العباد عن الله، ونسبتها إلى العباد كما تقول المعتزلة. ومن أهم الفرق التي حملت لواء الجبر حتى كاد أن يصير علماً عليها، فرقة الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، الذي استقى تعاليمه من أستاذه الجعد بن درهم، الذي كان بدوره يقول بالجبر، ولكن القول به اشتهر عن تلميذه الجهم<sup>(٣)</sup>.

قال ابن أبي العز الحنفي: « والجبرية أصل قولهم من جهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طول ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه ... وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر<sup>(٤)</sup>. ومن هذا يتبين أن القول بالجبر كان سابقاً على القول بالقدر عند المعتزلة، ولكن

(١) ترمذ مدينة مشهورة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، انظر: معجم البلدان (٢٦/٣).

(٢) انظر: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، صبحي الصالح ص (١٣٨)، وتاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، علي مصطفى الغرابي ص (٢٨).

(٣) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه ص (٢٠٢-٢٠٣).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص (٥٢٤).



انتشار واشتهار القول به إنما كان على يد الجهم بن صفوان الذي ظهر وقت ظهور المعتزلة، ولعل الصراع بينهما كان سبباً في انتشار قول كل منهما، ولعل كتاب المقالات حين ربطوا القول بالجبر بالجهمية، إنما أرادوا انتشار القول به الذي كان سببه دعوة الجهم، وحرصه الشديد على نشرها بين الناس، وإن كان أستاذه الجعد قد سبقه إلى القول بالقدر<sup>(١)</sup>.

إذا فأصل هذه المقالة -الجبرية- ظهرت على يد الجعد بن درهم.

ويرى بعض الباحثين أن أصل هذه المقالة يرجع إلى عهد الصحابة، ويستند إلى رسالة منسوبة إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، يرد فيها على بعض الجبرية من أهل الشام، ورسالة أخرى منسوبة إلى الحسن بن علي<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما، يرد بها على قوم من أهل البصرة ادعوا الجبر<sup>(٣)</sup>.

وعلى فرض ثبوت هاتين الرسالتين فإن هذه الفرقة الذي أشاعها وأظهرها هو الجهم بن صفوان.

(١) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ص (٢٠٤).

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي: سبط رسول الله ﷺ وربحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسم، سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، انظر: الاستيعاب (٣٨٣)، وأسد الغابة (٢٩/٢)، والإصابة (٣٢٨/١).

(٣) انظر: المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لابن المرتضى ص (٩-١٠)، وتاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبي زهرة ص (١٠٤)، وأبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه لأبي زهرة ص (١٤٢).

المبحث الثالث  
الرد على شبهة الجبرية  
في الحمد

### المبحث الثالث: الرد على شبهة الجبرية في الحمد

سبق أن ذكرت أن الجبرية هم الذين سلبوا العبد قدرته واختياره، فرعموا أنه لا فعل للعبد أصلاً، وأن حركاته بمتزلة بحركة الجمادات، لا قدرة له عليها ولا قصد ولا اختيار.

وقد تعلق هؤلاء الجبرية بشبهه، وسأورد هذه الشبهه مع ذكر شبهتهم واستدلالم بحمد الله تعالى وسأرد على كل شبهة من شبههم، وهذه الشبهه هي كالتالي:

١- تمسكت الجبرية بقوله: الحمد لله؛ من وجوه:

الأول: أن كل من كان فعله أشرف وأكمل وكانت النعمة الصادرة عنه أعلى وأفضل كان استحقاقه للحمد أكثر، ولا شك أن أشرف المخلوقات هو الإيمان، فلو كان الإيمان فعلاً للعبد لكان استحقاق العبد للحمد أولى وأجل من استحقاق الله له، ولما لم يكن كذلك علمنا أن الإيمان حصل بمخلق الله لا بمخلق العبد.

الثاني: أجمعت الأمة على قولهم الحمد لله على نعمة الإيمان، ولو كان الإيمان فعلاً للعبد وما كان فعلاً لله لكان قولهم الحمد لله على نعمة الإيمان باطلاً، فإن حمد الفاعل على ما لا يكون فعلاً له باطل قبيح لقوله تعالى: ﴿ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا﴾<sup>(١)</sup>.

الثالث: أنا قد دللنا على أن قوله الحمد لله يدل ظاهره على أن كل الحمد لله وأنه ليس لغير الله حمد أصلاً، وإنما يكون كل الحمد لله لو كان كل النعم من الله والإيمان أفضل النعم فوجب أن يكون الإيمان من الله<sup>(٢)</sup>.

٢- استدلت الجبرية بالآيات التي تدل على أن الله تعالى خالق كل شيء، مثل قوله

(١) سورة آل عمران الآية: ١٨٨.

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (١/٢٢٥-٢٢٦)، واللباب في علوم الكتاب لأبي حفص الدمشقي (١/١٧٦).

تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>(١)</sup>،  
وقوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ  
الْقَهَّارُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وغيرها من الآيات  
التي تدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق إلا هو، وأفعال العباد شيء فالله  
خالقها وحده، ومن ثم لا قدرة ولا إرادة للعباد على أفعالهم، فهم مجبورون غير مختارين.

٣- استدلووا بالآيات التي تثبت المشيئة لله وحده، وأنه لا مشيئة للإنسان إلا تحت  
مشيئة الله، كقوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى:  
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، وغيرها من الآيات فالإنسان إذا كان مسلوب الإرادة، والله هو الذي  
يشاء ويريد، فهو الخالق لأعمال العباد، وهم مجبورون لا إرادة ولا مشيئة ولا خلق لهم.

٤- استدلووا بالآيات التي تدل على أن الله قد حق القول منه، وأنه هو الذي  
يفعل الهداية والإضلال للبشر، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ  
الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، فإذا كان أمر الهداية بيد الله، وقد حق  
القول منه أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، فمن أين للناس الاختيار والإرادة.

٥- استدلووا بالآيات التي تدل على أن الله تعالى ختم على القلوب، فلا يصل  
إليها الإيمان كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ

(١) سورة الأنعام الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الرعد الآية: ١٦.

(٣) سورة الزمر الآية: ٦٢.

(٤) سورة القصص الآية: ٦٨.

(٥) سورة الإنسان الآية: ٣٠.

(٦) سورة التكويد الآية: ٢٩.

(٧) سورة السجدة الآية: ١٣.

عذاب عظيم ﴿<sup>(١)</sup>﴾، وإذا كان الله تعالى هو الذي يحتم ويطلع على القلوب، فالعباد مجبرون ولا إرادة لهم على حد زعم الجبرية.

٦- استدلووا بالآيات التي تنفي الفعل عن العبد، وتثبتته لله، كقوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾، فنفى الله تعالى عن نبيه الرمي، وأثبتته لنفسه فدل على أنه لا صنع للعبد.

٧- واستدلوا بالعقل فقالوا: إن الله علم وأراد أولاً وجود أفعال العباد وتعلقت قدرته بوجودها فيما لا يزال، فما وقع من أفعال العباد فهو بقضاء الله وقدرته، والعباد مجبرون عليها<sup>(٣)</sup>.

مناقشة أدلتهم:

١- أما استدلالهم بقوله "الحمد لله" فغاية هذا الاستدلال أن الله تبارك وتعالى هو المتفضل بنعمة الإيمان وهو المستحق للحمد كله وليس فيه نفي فعل العبد، بل إن عموم حمده سبحانه يقتضي أن لا يعاقب عبده على ما لا قدرة لهم عليه، ولا هو من فعلهم بل هو بمنزلة ألوانهم، وطولهم وقصرهم، بل هو يعاقبهم على نفس فعله بهم، فهو الفاعل لقبائحهم في الحقيقة، وهو المعاقب لهم عليها، فحمده عليها يأبى ذلك أشد الإباء وينفيه أعظم النفي، فتعالى من له الحمد كله عن ذلك علواً كبيراً، بل إنما يعاقبهم على نفس أفعالهم التي فعلوها حقيقة، فهي أفعالهم لا أفعاله، وإنما أفعاله العدل والإحسان والخيرات؛ وكذلك فإن إثبات رحمته ورحمانيته ينفي ذلك، إذ لا يمكن

(١) سورة البقرة الآية: ٦-٧.

(٢) سورة الأنفال الآية: ١٧.

(٣) انظر هذه الأدلة في: كتاب الرد على المجبرة القدرية للقاسم الرسي ص (٣٤)، والاعتقاد لليهقي ص (٧٣-٧٤)، وشرح الأصول الخمسة ص (٣٧٩-٣٨٦)، وشفاء العليل (١/٢٢٦)، وشرح العقيدة الطحاوية ص (٤٣٨)، والجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي لخالد العسلي ص (١١١)، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ص (٣٢٨-٣٣١)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن (٢/٦٠٩).

اجتماع هذين الأمرين قط - أن يكون رحماناً رحيماً- ويعاقب العبد على ما لا قدرة له عليه، ولا هو من فعله، بل يكلفه ما لا يطيقه، ولا له عليه قدرة ألبتة، ثم يعاقبه عليه، وهل هذا إلا ضد الرحمة، ونقض لها وإبطال؟ وهل يصح في معقول أحد اجتماع ذلك، والرحمة التامة الكاملة في ذات واحدة<sup>(١)</sup>.

وقولهم إن أشرف المخلوقات هو الإيمان، فلو كان الإيمان فعلاً للعبد لكان استحقاق العبد للحمد أولى وأجل من استحقاق الله له، وقولهم: أجمعت الأمة على قولهم الحمد لله على نعمة الإيمان، ولو كان الإيمان فعلاً للعبد وما كان فعلاً لله لكان قولهم الحمد لله على نعمة الإيمان باطلاً.

وقولهم أنا قد دللنا على أن قوله الحمد لله يدل ظاهره على أن كل الحمد لله وأنه ليس لغير الله حمد أصلاً وإنما يكون كل الحمد لله لو كان كل النعم من الله والإيمان أفضل النعم فوجب أن يكون الإيمان من الله.

يقال: الرب تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره، هو المنعم على الحقيقة بصنوف النعم التي لا يحصيها أهل سماواته وأرضه، فإيجادهم نعمة منه، وكما أن وجود العبد محض وجوده من جوده وفضله ومنته عليه، وهو المحمود على إيجاده، فتوابع وجوده كلها كذلك ليس للعبد منها شيء، كما ليس له في وجوده شيء، فالحمد كله لله، والإنعام كله له، والحق له على جميع خلقه<sup>(٢)</sup>.

وليس في هذا نفي مشيئة العبد وفعله، فالله تبارك وتعالى قد أثبت للعبد مشيئة وفعلاً، كما قال تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾<sup>(٤)</sup>، والله تبارك وتعالى قد خاطب عباده بالإيمان وأمرهم بأن

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٦٨-٦٩).

(٢) انظر: شفاء العليل (١/٢٩٢-٢٩٦).

(٣) سورة التكوير الآية: ٢٨-٢٩.

(٤) سورة الأحقاف الآية: ١٤.

يؤمنوا به وأثبت لهم فعل الإيمان، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى ﴿ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا﴾<sup>(٢)</sup>، لكن الله سبحانه خالق العبد وخالق كل ما فيه من قدرة ومشئمة وعمل، فإنه لا رب غيره، ولا إله سواه، وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه<sup>(٣)</sup>.

فدليل الجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشئته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير، لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات، وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به، وأنها فعل له لا لله وأنها قائمة به لا بالله<sup>(٤)</sup>.

٢- أما استدلال الجبرية بالآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء، دلالتها حق ولكن من أين يفهم منها أن العبد لا يكون قادراً ولا مريداً، فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة، وأفعاله قائمة به، والله سبحانه وتعالى خالقها، بمعنى أنها مخلوقة له - سبحانه وتعالى - وليس لدى الجبرية دليل صحيح ينفي أن يكون العباد فاعلين لأفعالهم، بل غاية أدلتهم أنها تثبت أن الله خالق، وهذا حق لا ينكر<sup>(٥)</sup>.

٣- أما آيات المشئمة، وأنها تثبت المشئمة لله وحده، فهذا حق، ولكن نفس الآيات، وغيرها كثير، يدل على إثبات المشئمة للعباد، قال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾<sup>(٦)</sup>، فأحبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة النساء الآية: ١٣٦.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٧/٨).

(٤) انظر: شفاء العليل (١٥٠/١).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) سورة الإنسان الآية: ٣٠.

(٧) انظر: شفاء العليل (١٢٨/١).

٤- أما الآيات التي تدل على أن الله تعالى قد حق القول منه، فمعناها: ما سبق في علم الله تعالى فيمن يصير إلى السعادة أو إلى الشقاوة، وهذا لا يستلزم أن يكون الله تبارك وتعالى جبر العباد<sup>(١)</sup>.

وأما قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾<sup>(٢)</sup>، فمعناه: أن من أراد الله له الهداية، يشرح صدره للإسلام، أي: فسح صدره لذلك وهوّنه عليه وسهله له بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضئ له، ويتسع له صدره بالقبول، ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى لشغله بكفره، وصدّه عن سبيله، يجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجاً، والحرج: أشد الضيق<sup>(٣)</sup>.

« فهذا عدله فيهم، وتلك حجته عليهم، فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى إرادة منهم واختياراً فسده عليهم اضطراراً، فخلاهم وما اختاروا لأنفسهم، وولاهم ما تولوه ومكنهم فيما ارتضوه، وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه، وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون، فلا أقبح من فعلهم، ولا أحسن من فعله، ولو شاء لخلقهم على غير هذه الصفة ولأنشأهم على غير هذه النشأة، ولكنه سبحانه خالق العلو والسفل، والنور والظلمة، والنفع والضر، والطيب والخبيث، والملائكة والشياطين، والشاء والذئاب، ومعطيها آياتها وصفاتها، وقواها وأفعالها، ومستعملها فيما خلقت له، فبعضها بطباعها، وبعضها بإرادتها ومشيتها، وكل جار على وفق حكمته، وهو موجب حمده ومقتضى كماله المقدس وملكه التام»<sup>(٤)</sup>.

فليس في معنى الآية ما استدل به الجبرية، وإنما تدل الآية على أن الله تعالى يضيق صدر من لم يؤمن به، ولم يستجب لداعيه.

(١) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ص (٣٤٨).

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٢٥.

(٣) انظر: جامع البيان (٢٨/٨).

(٤) انظر: شفاء العليل (٢٥٥/١).



٥- أما آيات الختم والطبع، فلا دليل للجبرية فيها، لأن الله تبارك وتعالى قد كذب الذين قالوا قلوبنا غلف، وفي أكنة، وإنما قد طبع عليها ودمهم على هذا القول فكيف ينسب إليه تعالى؟

ولكن القوم لما عرضوا وتركوا الاهتداء بهداه الذي بعث به رسله حتى صار ذلك الإعراض والنفار كالإلف والطبيعة والسجية أشبه حالهم حال من منع عن الشيء وصدّ عنهم وصار هذا قرأ في آذانهم، وختماً على قلوبهم، وغشاوة على أعينهم، فلا يخلص إليها الهدى.

وإنما أضاف الله تعالى ذلك إليه لأن هذه الصفة قد صارت في تمكنها وقوة ثباتها كالخلقة التي خلق عليها العبد، قال تعالى: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله وعده وما كانوا يكذبون﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

فالله سبحانه يفعل الختم والطبع بعد تكرار الدعوة منه - سبحانه - والتأكيد في البيان والإرشاد، وتكرار الإعراض منهم.

٦- وأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾<sup>(٥)</sup>، فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رمياً، بقوله: "إذ رميت" فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتدأه الحذف، وانتهأه الإصابة، وكل منها يسمى رمياً، فالمعنى حينئذٍ والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذف ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله

(١) سورة النساء الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الصف الآية: ٥.

(٣) سورة التوبة الآية: ٧٧.

(٤) انظر: شفاء العليل (١/٢٢٦-٢٢٧).

(٥) سورة الأنفال الآية: ١٧.

صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت! وفساد هذا ظاهر<sup>(١)</sup>.

٧- أما دليل الجبرية العقلي، فهو مردود بأن تعلق علم الله وإرادته بأفعال العباد، لا يجعلهم مجبورين في أفعالهم، لأن الله علم أزلاً بأفعال العباد، وبأن العبد يختارها، ليس سالباً لاختيار العبد، وإنما هو محقق لاختياره، وهذا معلوم عند كافة العقلاء، كما أن تعلق قدرته سبحانه بوجودها لا ينافي أن تكون أفعال العباد واقعة بقدرتهم، وأنهم الفاعلون لها<sup>(٢)</sup>.

فتبين بهذا بطلان شبه القوم، وزيف مذهبهم، وفساد معتقدتهم. وبالجملة فإن كمال ملكه سبحانه بأن يكون مقرونا بحمده فله الملك وله الحمد، والناس في هذا المقام ثلاث فرق: فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد، وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الأسماء والصفات، ونزهه عن النقائص ومشابهة المخلوقات.

والفرقة الثانية: الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد، وهم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل، فهؤلاء عطلوا حمده في الحقيقة وأثبتوا له ملكاً بلا حمد، مع أنهم في الحقيقة لم يثبتوا له ملكاً، فإنهم جعلوه معطلاً في الأزل والأبد، لا يقوم به فعل البتة، وكثير منهم عطله عن صفات الكمال التي لا يتحقق كونه ملكاً ورباً وإلهاً إلا بها، فلا ملك أثبتوا ولا حمد.

الفرقة الثالثة أثبتوا له نوعاً من الحمد وعطلوا كمال ملكه، وهم القدرية الذين أثبتوا نوعاً من الحكمة ونفوا لأجلها كمال قدرته، فحافظوا على نوع من الحمد عطلوا له كمال الملك، وفي الحقيقة لم يثبتوا لا هذا ولا هذا، فإن الحكمة التي أثبتوها جعلوها راجعة إلى المخلوق، ولا يعود إليه سبحانه حكمها، والملك الذي أثبتوه فإنهم

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (٤٣٨).

(٢) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ص (٣٥٣-٣٥٤).

في الحقيقة إنما قرروا نفيه لنفي قيام الصفات التي لا يكون ملكاً حقاً إلا بها، ونفي قيام الأفعال الاختيارية، فلم يقيم به عندهم وصف ولا فعل، ولا له إرادة ولا كلام، ولا سمع ولا بصر، ولا فعل له، ولا حب ولا بغض، معطل عن حقيقة الملك والحمد. والمقصود أن عموم ملكه يستلزم إثبات القدر، وأن لا يكون في ملكه شيء بغير مشيئته، فالله أكبر من ذلك وأجل، وعموم حمده يستلزم أن لا يكون في خلقه وأمره ما لا حكمة فيه ولا غاية محمودة يفعل لأجلها ويأمر لأجلها فالله أكبر وأجل من ذلك<sup>(١)</sup>.

وعلى مذهب السلف له الملك والحمد تامين، وهو محمود على حكمته، كما هو محمود على قدرته ورحمته<sup>(٢)</sup>.

وأما على مذهب أهل البدع من الجهمية المجبرة، والقدرية النافية، فإنه لا حمد عندهم ولا شكر لله تبارك وتعالى، ولا ملك ولا عبادة حقة لله جل وعلا<sup>(٣)</sup>. ثم إنه من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنياً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله حيث قال ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .....))<sup>(٤)</sup>، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدى محمد على

(١) انظر: شفاء العليل (١/١٥٢-١٥٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/٣٠٨-٣٠٩).

(٣) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (١/١٠٣).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب: في لزوم السنة (ح/٤٦٠٧)، والترمذي في أبواب

العلم باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (ح/٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة باب: اتباع سنة الخلفاء

الراشدين (ح/٤٣).

هدى كل احد (١) .

فلا روح إلا فيما جاء به ولا نور إلا في الاستضاءة به ، فهو الحياة والنور والعصمة والشفاء والنجاة والأمن ، والله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فلا هدى إلا فيما جاء به ولا يقبل الله من أحد ديناً يدينه به إلا أن يكون موافقاً لدينه (٢) .

والله سبحانه قد أخبر أنه أكمل له ولأمته به دينهم وأتم عليهم به نعمته ومحال مع هذا أن يدع أهم ما خلق له الخلق وأرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب ونصبت عليه القبلة وأسست عليه الملة وهو باب الإيمان به ومعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ملتبساً مشتبهاً حقه بباطله لم يتكلم فيه بما هو الحق بل تكلم بما ظاهره الباطل والحق في إخراجهم عن ظاهره وكيف يكون أفضل الرسل وأجل الكتب غير واف بتعريف ذلك على أتم الوجوه مبين له بأكمل البيان موضح له غاية الإيضاح مع شدة حاجة النفوس إلى معرفته ومع كونه أفضل ما اكتسبته النفوس وأجل ما حصلته القلوب ومن أبين المحال أن يكون أفضل الرسل قد علم أمته آداب الطعام والشراب ويترك أن يعلمهم ما يقولونه بألسنتهم وتعتقده قلوبهم في ربههم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف والوصول إليه أجل المطالب وعبادته وحده لا شريك له أقرب الوسائل ويخبرهم فيه بما ظاهره باطل وإلحاد ويحيلهم في فهم ما أخبرهم به على مستكرهات التأويلات ومستنكرات المجازات ثم يحيلهم في معرفة الحق على ما تحكم به عقولهم وتوجه آراؤهم ، هذا وهو القائل : (( تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ

(١) انظر الفتاوى (١٥٧/٣) .

(٢) انظر الصواعق المرسله (١٥٢/١) .

عنها بعدي إلا هالك))<sup>(١)</sup> وهو القائل (( ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل على أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم))<sup>(٢)</sup> وقال عمر بن الخطاب (( قام فينا رسول الله مقاما فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه ))<sup>(٣)</sup> فكيف يتوهم من الله ولرسوله ودينه في قلبه وقار أن يكون رسول الله قد أمسك عن بيان هذا الأمر العظيم ولم يتكلم فيه بالصواب بل تكلم بما ظاهره خلاف الصواب بل لا يتم الإيمان إلا باعتقاد أن بيان ذلك قد وقع من الرسول على أتم الوجوه وأوضحه غاية الإيضاح ولم يدع بعده لقائل مقالاً ولا لمتأول تأويلاً ، ثم من المحال أن يكون خير الأمة وأفضلها وأعلمها وأسبقها إلى كل فضل وهدى ومعرفة قصرُوا في هذا الباب فجفوا عنه أو تجاوزوا فغلوا فيه وإنما ابتلي من خرج عن منهاجهم بهذين الداعين وهدوا لأحد الانحرافين ، وعصاة الإيمان وحماة الدين هم الذين كانوا في هذا الباب قائلين بالحق معتقدين له داعين إليه<sup>(٤)</sup> .

ومن المحال أن يكون تلاميذ المعتزلة وورثة الصابئين وأفراخ اليونان الذين شهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك وعدم العلم الذي يطمئن إليه القلب وأشهدوا الله وملائكته عليهم به وشهد به عليهم الأشهاد من أتباع الرسل أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأعرف به ممن شهد الله ورسوله لهم بالعلم والإيمان وفضلهم على من سبقهم ومن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين وهل يقول هذا إلا غبي

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة (ح/٤٢) ، وأحمد في المسند (٤/١٢٦) ، وصححه الألباني في ظلال الجنة (ص/٢٧) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (ح/٤٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب : قول الله تعالى : وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (ح/٣١٩٢) .

(٤) انظر الصواعق المرسله (١/١٥٧-١٦٠) .

جاهل لم يقدر قدر السلف ولا عرف الله ورسوله وما جاء به <sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (( فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه )) <sup>(٣)</sup> .

فكيف يتوهم من له أدنى مسكة من عقل وإيمان أن هؤلاء المتحيرين الذين كثر في باب العلم بالله اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حججهم وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم وأنه الشك والحيرة حيث يقول :

لعمرى لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

(١) المصدر السابق (١/١٦١) .

(٢) البقرة : ٧٨ .

(٣) الفتوى الحموية (ص/٣١-٣٢) .

فلم أر إلا واضعاً كف حائر  
على ذقن أو قارعا سن نادم  
ويقول الآخر :

نهاية إقدام العقول عقال  
وأرواحنا في وحشة من جسمنا  
وأكثر سعي العالمين ضلال  
وغمية دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا  
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال الآخر : لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم  
وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي وها أنا ذا  
أموت على عقيدة أمة .

وقال آخر : أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام .

وقال آخر منهم عند موته : أشهدوا علي أني أموت وما عرفت شيئاً إلا أن  
الممكن يفتقر إلى واجب ثم قال والافتقار أمر عدمي فلم أعرف شيئاً . فكيف يكون  
هؤلاء المحجوبون المنقوصون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وصفاته وأسمائه وآياته من  
السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ورثة الأنبياء  
وخلفاء الرسل ومصايح الدجى وأعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم  
نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر  
أتباع الأنبياء وأحاطوا من حقائق المعارف بما لو جمعت حكمة من عداهم وعلومهم  
إليه استحى من يطلب المقابلة ، ثم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان  
ورثة المجوس والمشركين وضلال الصابئين وأشباههم وأشكالهم أعلم بالله من ورثة  
الأنبياء وأهل القرآن والإيمان .<sup>(١)</sup> والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وآله  
وصحبه وسلم .

(١) انظر : الصواعق المرسله (١/١٦٥-١٧٠) .

## الخاتمة

وهذه الخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الرسالة وهي على النحو

التالي:

١- حمد الله تعالى هو وصف المحمود بالكمال مع محبته وتعظيمه.

٢- الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص.

٣- الله تبارك وتعالى محمود على أفعاله وأوصافه وأسمائه متره عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصالحة لا تخرج عن ذلك، وأسمائه كلها حسنى، وكلها أسماء مدح وحمد، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها.

٤- الله تبارك وتعالى محمود على إحسانه لخلقه، وتفضله عليهم بالنعم التي لا تعد ولا تحصى، ومحمود لما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال الحميدة.

٥- أحب الكلام إلى الله تعالى بعد القرآن أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

٦- من فضائل حمد الله تعالى أنه أفضل الدعاء ومن أحب الكلام إلى الله تعالى.

٧- إن الله تبارك وتعالى محمود على كل حال وفي كل آن لأنه ما من حال يقضيها الله تعالى إلا وهي نعمة على عباده.

٨- لما كان حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة التي هي عماد الإسلام ورأس الطاعات شرع في أولها وأوسطها وآخرها وجميع أركانها، ففي دعاء الاستفتاح يحمد ويثنى عليه ويمجد، وفي ركن القراءة يحمد ويثنى عليه ويمجد، وفي الركوع يثنى عليه بالتسبيح والتعظيم، وبعد رفع الرأس منه يحمد ويثنى عليه ويمجد، وفي السجود يثنى عليه بالتسبيح المتضمن لكماله المقدس، والعلو المتضمن لمبايئته لخلقه، وفي التشهد يثنى عليه بأطيب الثناء من التحيات ويختتم ذلك بذكر حمده ويمجده.



٩- إن الخلق وإن كانوا يحمدون الله تعالى، فإن حمد الله تعالى لنفسه وثنائه على نفسه أعظم من حمد الحامدين له، وثناء المثنين عليه، فإن الحمد والثناء تابع للمعرفة والعلم بصفات المحمود ولهذا كان النبي ﷺ أعظم الناس حمداً لربه وثناء عليه لما كان أعلم الخلق به، فثناء الرب سبحانه على نفسه وحمده لنفسه وتمجيده لنفسه ومحبته لنفسه ورضاه عن نفسه فوق ما يخاطر ببال الخلق أو يدور في قلوبهم أو تجري به ألسنتهم كما قال النبي ﷺ لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

١٠- إن كمال ملكه سبحانه بأن يكون مقروناً بحمده، فله الملك وله الحمد، والناس في هذا المقام ثلاث فرق: فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد، وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الأسماء والصفات ونزهه عن النقائص ومشابهة المخلوقات.

والفرقة الثانية الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد، وهم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل.

الفرقة الثالثة أثبتوا له نوعاً من الحمد وعطلوا كمال ملكه، وهم القدرية.

١١- إن أهل البدع من الجهمية المجبرة، والمعتزلة القدرية لا حمد عندهم ولا شكر ولا عبادة حقة لله تبارك وتعالى.

وبهذا القول أكون قد فرغت من هذه الرسالة، واحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على توفيقه لي على إتمام هذه الرسالة، وأسأله العفو والمغفرة على الخطأ والنقصان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

# الفهارس

فهرس آيات القرآنفة

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

## فهرس الآيات القرآنية

رقمها	الصفحة	طرف الآية
١	٦١،٦٧،٨٥	الحمد لله رب العالمين
٤	٣٤٤	إياك نعبد
الفاتحة		
٧،٦	٤٢٩	ختم الله على قلوبهم
٢١	٢٥١،٢٤٧،١٤٦	اعبدوا ربكم
٢٢	٢٢٤،١٤٧	الذي جعل لكم الأرض
٣٠	٤١١،١٥٢،١٣٣،٨٧	ونحن نسبح بحمدك
٣٠	١٠٦	إني أعلم
٧٤	٤١٣،٧٩	وإن من الحجارة لما يتفجر منه
٧٨	٤٣٨	ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب
٩٥	١٦٧	والله عليهم بالظالمين
١٥٢	٣٣٦،٤٦	فاذكروني أذكركم
١٦٣	١٦٧	ألهكم إله واحد
١٧١	٢٦٠	ومثل الذين كفروا
١٧٢	٤٨،٤٧	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
١٩٩	٣١١	ثم أفيضوا
٢١٦	٣٤١،٤٣	وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم

الصفحة	رقمها	طرف الآية
١٦٦	٢٢٧-٢٢٦	للذين يؤلون من نساتهم
٣٢٩	٢٣٣	وعلى المولود له رزقهن
١٣٦	٢٥٤	والكافرون هم الظالمون
٢٣٤, ٢٢٦, ٢٢١	٢٥٥	ولا يحيطون بشيء
٢٠٢, ١٩٦	٢٦٧	ولسّم بأخذه
١٤٣	٢٦٩	ومن يؤت الحكمة
١٤٦	٢٧٧	إن الذين آمنوا
١٦٧	٢٨٢	أن تضل إحداهما
١٤٥	٢٨٢	والله بكل شيء عليم
<b>آل عمران</b>		
٤١١	٧	وما يعلم تأويله
١٣٧	١٤	زين للناس حب الشهوات
٣١١	١٧	والمستغفرين بالأسحار
١٣٠	٢٦	قل اللهم مالك الملك
٣١٦, ٣٢٢, ٣	١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
٣٤١	١٢٠	إن تمسّكم حسنة
٤٠٦	١٦٤	لقد منّ الله على المؤمنين
٤٠٤	١٧٨	ولا يحسن الذين كفروا
١٥٣	١٧٩	ما كان الله ليذر المؤمنين
٢١٨	١٨١	لقد سمع الله

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٤٢٧	١٨٨	ويحبون أن يحمدا
٣٨٤, ١٤٨, ٩١	١٩١	ويتفكرون في خلق السموات
٤٣١	١٩٣	ربنا إنا سمعنا
النساء		
٣١٦, ٣٢٢	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم
٣٣٠	٥	ولا توتوا السفهاء
٣٥٥	٣٣	وما كان الله معذبهم
٣٤٠	٧٩	ما أصابك من حسنة
١٤٣	١١٣	وأنزل الله عليك
٤٣١	١٣٦	يا أيها الذين آمنوا
٢١٩	١٤٢	إن المنافقين
٤٣٣	١٥٥	بل طبع الله عليها
١٣٦	١٦٠	فيظلم من الذين هادوا
١٤٤	١٦٥	رسلا مبشرين ومنذرين
٢٢١	١٧١	وروح منه
المائدة		
٣٧٧	٣	اليوم أكملت
١٤٥	٣٢	من أجل ذلك كتبنا
١٦٣, ١٤٦	٣٨	والسارق والسارقة
٢٩٨	٤٢	سماعون للكذب

رقمها	الصفحة	طرف الآية
٥٠	١٤٩	ومن أحسن من الله حكما
٦٤	٢١٨, ١٩٤	يد الله مغلولة
٩٧	١٤٤	ذلك لتعلموا أن الله يعلم
١٠٨	١٣٦	والله لا يهدي القوم الفاسقين
<b>الأنعام</b>		
١	٣٨٣, ٢٤١, ٩٠, ٨٥,	الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض
٨	٦٦, ٦٢, ٣٢	وقالوا لولا أنزل
٤٥	١٤٧	والحمد لله رب العالمين
٥٤	٦٦, ٦٣, ٦٠	كتب ربكم على نفسه الرحمة
٥٩	٤٠٩	وعنده مفاتيح الغيب
-١٠١	١٥٨	بديع السموات والأرض
١٢٥	٤٢٨, ٢٥٢	فمن يرد الله أن يهديه
١٤٦	٤٣٢	ذلك جزيناهم ببغيهم
١٥٦	١٣٦	أن تقولوا إنما أنزل الكتاب
<b>الأعراف</b>		
٣٣	١٧٨	قل إنما حرم ربي
٤٣	٧٥	الحمد لله الذي هدانا لهذا
٤٣	٤١٠	ونزعتنا ما في صدورهم
٥٤	٢٧٥	ألا له الخلق والأمر

رقمها	الصفحة	طرف الآية
٧٠	١٧٥	أجئنا لنعبد الله
٧١	١٧٦	أتجادلونني في أسماء
١٣١	٣٤٦	فإذا جاءتهم الحسنة
١٤٨	٣٥٢، ١١٨	واتخذ قوم موسى من بعده
١٥٦	١٥٩	ورحمتي وسعت كل شيء
١٦٨	٣٤٠	ولوناهم بالحسنات
١٨٠	٢٠٦، ١٩٤، ١٦٢	ولله الأسماء الحسنى
١٩٢-١٩١	٢٥٥	أيشركون ما لا يخلق

### الأنفال

١٧	٤٣٣، ٤٢٩	وما رميت إذا رميت
٢٢	١٥٢	إن شر الدواب
٢٣	٢٩٥	ولو علم الله فيهم خيرا
٣٠	٢١٩	ويمكرون ويمكر الله
٣٣	١٥٣	وما كان الله معذبهم
٤٥	٩١	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة
٧١	٢١٩	وإن يريد خيانتك

### التوبة

٦٧	٩٢	نسوا الله فنسيهم
٧١	١٤٩	والمؤمنون والمؤمنات
٧٧	٤٣٣	فأعقبهم نفاقا

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٨٩	١١١	التائبون العابدون الحامدون
١٥٣	١١٥	وما كان الله ليضل
<b>يونس</b>		
٣٣٤	٩	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٨٩	١٠	دعواهم فيها سبحانك اللهم
١٢٤	٦٨	وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه
٣٣٠, ٣١٧	١٠٧	وإن يمسسك الله بضر
<b>هود</b>		
١٥٨	٦	وما من دابة في الأرض
٤٣	١٠, ٩	ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة
٤٠٢	٣٨-٣٧	واصنع الفلك
١٥٠	٥٦	إني توكلت على الله
٢٠٢, ١٩٦	٧٣	رحمت الله وبركاته
٢٤٥	١٠١	إن هي إلا أسماء
١٥٣	١١٧	وما كان ربك ليهلك
٣٤٤, ٣٣١	١٢٣	فاعبده وتوكل عليه
<b>يوسف</b>		
٢٧٩	٤١	فيسقي ربه خمراً
٢٠٥	٨٠	فلن أبرح الأرض
٢٤٦	١٠٦	وما يؤمن أكثرهم



رقمها	الصفحة	طرف الآية
١٠٨	٢٠٩	قل هذه سبيلي
١١١	٣٦٨، ٤٣	لقد كان في قصصهم عبرة ...
١١١	٣٦٨	وتفصيل كل شيء
<b>الرعد</b>		
٧	٣٣٣	إنما أنت منذر
١٥	٣٩٤	ولله يسجد من في السموات
١٦	٤٢٨، ٤٠١	الله خالق كل شيء
<b>إبراهيم</b>		
٢-١	١٨٦	ياذن ربهم
٥	٣٤٠	إن في ذلك آيات
٨	٣٢٥، ٢٠٢، ١٩٦	وقال موسى إن تكفروا
٢٦-٢٤	٢٥٨	ألم تر كيف ضرب
٣٩	٨٨	الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
٥٤	٤٤	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...
<b>الحجر</b>		
٨٧	٢٨٨	ولقد آتيناك سبعاً من المثاني
<b>النحل</b>		
١٧	١١٦	أفمن يخلق كمن لا يخلق
١٨	٤٤	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم
٢٠	٢١٧	والذين يدعون

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٤١٣	٥٠-٤٩	ولله يسجد
٣٣٦, ٤٤	٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله
١١٧	٥٣	وما بكم من نعمة
٣٨٠, ٢١٦, ١٣٠	٦٠-٥٧	ويجعلون لله البنات سبحانه
٢٢٥, ١٢٤	٦٠	للذين لا يؤمنون
٢٥٨, ١١٦	٧٤	فلا تضربوا لله الأمثال
٣٥٣, ١٥٠, ١١٧	٧٦-٧٥	ضرب الله عبدا مملوكا
١٥١	٨١	والله جعل لكم مما خلق
١٤٥	٨٩	ونزلنا عليك الكتاب
٣٢٧	١١٢	وضرب الله مثلا
٣٢٧, ٤٧	١١٤	فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
٨٨	١٢١-١٢٠	إن إبراهيم كان قانتا

### الإسراء

١٦٩, ١٥٦	١١	قل ادعوا الله
٢٢٨, ١٧٨	٣٦	ولا تقف ما ليس لك
٢٩٠, ٧٨, ٧٥	٤٤	وإن من شيء إلا يسبح بحمده
٤١٣, ٤١٢	٤٤	تسبح له السموات
٧٦	٥٢	يوم يدعوكم فتستجيبون
٢٤٨	٥٧-٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم
٢٠٥	٨٥	وما أوتيتم من العلم

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٤٢,٢٠١,٦٦	١١١	وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً
<b>الكهف</b>		
٩٠,٨٦,٦٦,٦٠	١	الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
٢٠٣	١٧	من يهد الله
١٦٥	٥٨	وربك الغفور ذو الرحمة
١٣٧	٧٩	فأردت أن أعيبها
١٣٧	٨٢	فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما
٩٤	١٠٩	قل لو كان البحر
<b>مريم</b>		
٢٧٦	٣١	وجعلني مباركا
٢١٧,٢٠٨,١١٩	٤٢	يا أبت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
٢٥٣,٢٣٣,٢٢٤	٦٥	هل تعلم له سميا
٢٥٣	٦٥	رب السموات والأرض
٢٥٧	٨٢-٨١	واتخذوا من دون الله
٢٣٣	٩٢-٩١	ولقد خلقنا السموات
٣٠١	٩٣	إن مل ما في السموات والأرض
<b>طه</b>		
٢٥٣,١٩٤,١٥٦	٨-٥	الرحمن على العرش استوى
١٧٥	٨	الله لا إله إلا هو
٢٢١	١٤	إني أنا الله

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢١٨، ١٥٨	٥٢	علمها عند ربي
٢١٥	٥٢	وتوكل على الحي
١٦٦	٥٦	إنني معكما
٣٥٣، ٢٨٣	٨٨	فأخرج لهم عجلا
١٦٧	٩٠	يقوم إنما قتمتم
١٦٧	٩٨	إنما إلهكم الله
٢٢٨	١١٠	ولا يحيطون
٨٦، ٧٠	١٣٠	وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
الأنبياء		
١٤٨	١٦	وما خلقنا السماء والأرض
٧٠	٢٠	ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
٢٧٦	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول
٣٤٠	٣٥	ونبلوكم بالشر
٧٤	٥٨	وتوكل على الحي الذي لا يموت
٢١٧	٦٦-٦٧	أقتعدون من دون الله
٤١٢	٧٩	وسخرنا مع داود
الحج		
٤١٤، ٧٩	١٨	ألم تر أن الله يسجد له من في السموات
٢٨٦، ١٩٦	٢٤	وهدوا إلى الطيب

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٨٥	٢٤	هذان خصمان
٣٣٠	٢٨	فأطعموا القانع والمعتر
٣٥٧	٤٥	وشر معطلة
٤٠٢	٦٥	ألم تر أن اله سخر
المؤمنون		
٢٧٥	١٤	فتبارك الله أحسن الخالقين
٨٧	٢٨	فإذ استويت أنت ومن معك
٣١٢	٦٠-٦١	والذين يؤتون ما آتوا
٣١٩	٩١	ما اتخذ الله من ولد
١٤٨	١١٥	أفحسبتم أنما خلقناكم
٢٤٥	١١٧	ومن يدع مع الله
النور		
٢٨١	٣٥	مثل نوره كمشكاة
٤١٤، ٧٨	٤١	والطير صافات كل قد علم صلاته
الفرقان		
٢٧٥	١	تبارك الذي نزل الفرقان
٢٥٥	٣	واتخذوا من دونه
٢١٧، ٧٠	٥٨	وتوكل على الحي
٢٧٥	٦١	تبارك الذي جعل
الشعراء		
١٣٧	٧٨-٨٢	الذي خلقتني فهو يهدين

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		النمل
١٤٩	٦	وانك لتلقى القرآن
٨٨	١٥	ولقد آتينا داود وسليمان علما
٢٤٣	٥٩	قل الحمد لله
٦١	٨٨	صنع الله الذي أتقن كل شيء
٦٦	٩٣	وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها
		القصص
٣٣٤	٥٦	إنك لا تهدي من أحببت
٤٢٨	٦٨	وربك يخلق
٢٤٢, ٢٣٨, ٦٧	٧٠	له الحمد في الأولى والآخرة
٤٥	٧٣-٧١	قل أريتكم إن جعل الله عليكم الليل
٧٦	٧٥-٧٤	ويوم يناديهم فيقول أين شركائي
٢٤٥	٨٨	ولا تدع مع الله
		العنكبوت
٢٥٧	٢٥	وقالوا إنما اتخذتم
٣٧٧	٥١	أولم يكفهم أنا أنزلنا
٦٦	٦٧	قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون
		الروم
١٠٦, ٦١	١٨-١٧	فسبحان الله حين تمسون
٢٩٠	٢٦	وله من في السموات والأرض
١١٧	٢٨	ضرب لكم مثلا من أنفسكم

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٤٠٩	٤٧	وكان حقاً علينا
لقمان		
١٩٦	١٢	ومن يشكر
١٩٦	٢٦	لله ما في السموات
٢٤٦	٣٠	ذلك بأن الله
السجدة		
٦١	٧	الذي أحسن كل شيء خلقه
٤٢٨	١٣	ولو نشاء لآتيناً
الأحزاب		
٩٢	٤٣-٤١	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً
١٧٥	٤٢	وسبحوه بكرة وأصيلاً
٣١٦، ٣	٧١-٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
سبأ		
٦٥، ٦٤، ٣١	١	الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة
٤١٤، ٧٧	١٠	يا جبال أوبي معه والطير
٤٧	١٥	كلوا من رزق ربكم واشكروا له
٣٢٧	١٧-١٥	لقد كان لسبأ
٢٥٦	٢٣-٢٢	ولا تنفع شفاعة
٣٣	٢٩	اعلموا آل داود شكراً

فاطر

رقمها	الصفحة	طرف الآية
٢٤	١٩٤, ١٨٦, ١٥٦	هو الله الخالق
المتحنة		
٤	٢٧٦	قد كانت لكم أسوة حسنة
١٠	٢٠٥	ذلكم حكم الله يحكم بينكم
الصف		
٥	٤٣٣	فلما زاغوا
الجمعة		
١٠	٣٨٤, ٩٠	واذكروا الله لعلكم تفلحون
المنافقون		
٩	٩١	يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم
التغابن		
١	١٧٥	يسبح لله
١	٦٧	له الحمد في الأولى والآخرة
٤	١٥٨	يعلم ما في السموات والأرض
الطلاق		
١٢	١٤٤	الله الذي خلق سبع سموات
١٢	١٨٧	لتعلموا أن الله
الملك		
٤-٣	١٥٠, ١٤١	الذي خلق سبع سموات
١٤	١٦٧	ألا يعلم من خلق



الصفحة	رقمها	القلم	طرف الآية
١٤٨	٣٦-٣٥	القلم	أفجعل المسلمين
٢٧٥	٥٢	الحاقة	فسبح بحمد ربك
٤٢٠	٢١-١٩	المعارج	إن الإنسان خلق
١٦٦	١٠	نوح	استغفروا ربكم
٢٦	١٣		ما لكم لا ترجون لله
٢٧٦	٣	الجن	وأنه تعالى جد ربنا
١٣٧	١٠		وأنا لاندري
١٩٠	٢٨		وأحصى كل شيء
١٩١	٢٠	المزمل	علم أن لن تحصوه
١٤٨	٣٦	القيامة	أيجسب الإنسان
٤٣١, ٤٢٨	٣٠	الإنسان	وما تشاءون إلا أن يشاء الله
١٤٧	١١-٦	النبا	ألم يجعل الأرض مهاداً
٢٢٢	٢٤	النازعات	أنا ربكم الأعلى

طرف الآيه	رقمها	الصفحة
عبس	٣٢-٢٤	١٤٧
فلينظر الإنسان		
التكوير	٤	٣٥٧
وإذا العشار عطلت	٢٩-٢٨	٤٣٠
لمن شاء منكم أن يستقيم	٢٩	٤٢٨
وما تشاءون إلا أن يشاء الله		
البروج	٨	٢٠٤, ١٩٦
وما تقموا منهم		
الطارق	١٦-١٥	٢١٩
إنهم يكيدون		
الأعلى	١	١٧٥
سبح اسم ربك الأعلى		
البلد	١٦-١٤	٣٣٠
أو إطعام في يوم		
الشمس	١٣	٢٢١
ناقة الله وسقياها		
الضحى	١١	٤٨
أما بنعمة ربك فحدث		
النصر	٣	٣١١, ١٠٦
فسبح بحمد ربك		
الإخلاص		

الصفحة	رقمها	طرف الآية
٢٣٣, ٢٢٤	٤	ولم يكن له كفوا أحد
		الفلق
١٣١	٢-١	قل أعوذ برب الفلق

## فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
٩٦	• أحب الكلام إلى الله أربع ...
٩٨	• إذا صلى أحدكم ...
٣٤٧	• إذا عطس أحدكم فليقل ...
٣٨٢	• إذا قال العبد لا إله إلا الله ...
٢٤	• إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين ...
٣٣٩	• إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته ...
٥٣	• أسألك بكل اسم هو لك ...
١٩١	• استقيموا ولن تحصوا
٥٣	• أعود بك منك، لا أحصي ثناء عليك ...
٩٠	• أفضل الذكر بعد كتاب الله ...
٩٨	• أفضل الذكر لا إله إلا الله
١٠٩	• أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته
١٠٨	• أفضل ما قلت أنا والنبيون ....
٧١	• أفلا أكون عبداً شكوراً
٢٥٥	• أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ...
٢٩٤، ٢٦٧	• أما الركوع فعظموا فيه الرب ...
٣١٦	• أما بعد ثم يذكر حاجته
٢٤٨، ١٠٨	• أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا ...
٢٧٣	• إن أحب الكلام إلى الله ...
٣٦٩	• إن أحدكم يجمع في بطن أمه ...
١٠٦	• إن التسبيح نصف الميزان ...
٣٧	• أن الله تعالى قال على لسان نبيه ...

الصفحة	طرف الحديث
٢٨١	• إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ...
٣٢٨, ٩٩	• إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة ...
٣٤٧	• إن الله يحب العطاس ...
٩٠	• إن أهل الجنة يلهمون التسبيح ...
٥٩	• إن ربك يحب الحمد ...
٣١٠	• إن ربي كان أخيرني أبي سأرى علامة في أمي ...
٣٤٩	• إن رسول الله ﷺ كان إذا عطس غطى وجهه ...
٣١٠	• إن عبدا خيرا بين لقاء ربه وبين الدنيا ...
٤٢٠	• إن فيك لخلقين ...
١٩٠	• إن لله تسعة وتسعين اسماً ...
٩١	• إن مما تذكرون الله من جلال الله ...
٧٧	• إن من الملائكة ما هو ساجد لله لا يرفع رأسه ...
٣٤٩	• إن هذا حمد الله ولم تحمد الله ...
٧٠	• أنا سيد ولد آدم ...
٨٧	• إنكم سترون ربكم كما ترون ...
٢١٨	• إنه أعور ...
٢٤٩	• إني لأعلم كلمة ...
١١٠	• إني نهيته أن أقرأ القرآن راکعاً ...
٢٣٩	• أهل النبي ﷺ بالتوحيد ...
٣٣٨	• أول من يرعى إلى الجنة الحمادون
٢٥٧	• أيعجز أحدكم أن يقرأ ...
١٠٩	• الإيمان بضع وسبعون شعبة ...
٢١٨	• أيها الناس أربعوا ...
٤١١	• بايعوني على أن لا تشركوا ...

الصفحة	طرف الحديث
٤٣٧	• تركتكم على البيضاء ....
٢٩	• تلك عاجل بشرى ...
٣٨٥	• الحمد لله الذي بنعمته ...
٢٩٨, ٢٢٦	• الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ...
٣٣٩	• الحمد لله على كل حال
٣٢٨	• الحمد لله كثيرا طيباً مباركاً فيه ...
٢٥٨	• خذوا جنتكم ...
٢٣٨	• خير الدعاء دعاء يوم عرفة ...
٢٠٩	• خير الناس قرني ...
٣٠٧	• رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة ...
٢٤	• ربنا ولك الحمد ملء السموات، وملء الأرض ...
٩٧	• سئل: أي الكلام أفضل ...
١٠٧	• سبحانك اللهم وبحمدك
٣٠٨	• سبحان ربي الأعلى ...
٣٠٧	• سبحان ربي العظيم ...
٣٠٨	• سبحانك اللهم وبحمدك ...
٢٧١	• سبحانك اللهم وبحمدك ...
٣٠٦	• سجد في الماء والطين ...
٣٨٣	• سل تعطه ...
٩٤	• الطهور شطر الإيمان ...
٣٣٨	• عجبت من قضاء الله عز وجل للمؤمن ...
٩٨	• عمل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره ...
٢٧٠	• فإذا رأيت ربي ....
٢٧٢	• فإن أفضل الكلام ...

الصفحة	طرف الحديث
٤٠٠	• فقد أساء وظلم
٢٤٨	• فنهاهم الله تعالى أن يشركوا ...
٥٣	• فيفتح على قلبي من محامده ...
٤٣٧	• قام فينا رسول الله ...
١٦٣	• قراءة القرآن على سبعة أحرف ...
٢٤٠	• قل: اللهم اغفر لي ...
٢٧٨	• كان النبي ﷺ يدعو من الليل ...
٢٧٢	• كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة ...
٢٩٧	• كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع ...
٣١٠	• كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ...
٢٧٨	• كان رسول الله ﷺ إذا قام للتهجد ...
٢٨٩	• كل صلاة لا يقرأ فيها ...
٩٥	• كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ...
٨٠	• كنا نعد الآيات بركة ...
١٠٣	• كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ ...
١٠١	• كنت أصلي فدعاني النبي ﷺ ...
٧٣،٥٨	• لا أحد أحب إليه المدح من الله ... ذ
٧٤	• لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ...
١٠٨	• لا إله إلا الله وحده لا شريك له
٢٨٨	• لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب
٣٤٦	• لا عدوى ولا طيرة ...
٣١٢	• لا يا بنت الصديق ...
٤٩	• لا يشكر الله من لا يشكر الناس
٩٧	• لأن أقول: سبحان الله ...

الصفحة	طرف الحديث
٣٠٣	• لربي الحمد لربي الحمد
٣٨٥	• لقد دعا الله باسمه الأعظم ...
١٠٠	• لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال ...
١٥٩	• لله أرحم ...
٣٠٩	• لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة
٧٧	• لن ينجي أحد منكم عمله ...
١٠٨	• الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله
٤٧	• له النعمة وله الفضل ...
٣٢٨	• اللهم أطعمت وسقيت ...
٢٧٢	• اللهم باعد بيني وبين خطاياي ...
٣٤٥	• اللهم لا طير إلا طيرك ...
١٢٠	• اللهم لك الحمد كله ...
٣١٧	• اللهم هذا منك ولك
١٧٦	• ما أصاب عبداً قط ...
١٠٢	• ما أنعم على عبد نعمة ...
٤٣٧	• ما بعث الله من نبي ....
٣٨٥	• ما على الأرض رجل يقول ...
٣٢٨	• من أكل طعام ما فقال: الحمد لله ...
٢٤٠	• من جلس في مجلس ...
٤٨	• من صنع إليه معروف فليجزيه ...
٩٤	• من قال حين يصبح وحين يمسي ...
١٠١	• من قال سبحان الله وبحمده ...
٩٣	• من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة ...
٢٤٠	• من قال لا إله إلا الله ...



الصفحة	طرف الحديث
٢٤٨	• من كان آخر كلامه ...
٢٤٨	• من مات وهو يعلم ...
١٣١	• والخير كله فى فديك والشر ليس إليك
٣٤٠	• والذى نفسى بيده لا يقضى الله لمؤمن ...
٣٣٦	• والله إني لأحبك ...
٣٠٦	• وأن اسجد على سبعة أعضاء
٢٧١	• وجهت وجهى ...
٣٨٥	• يؤذيني ابن آدم ...
٢٤٩	• يا رسول الله، من أسعد الناس ...
٣٢٦	• يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ...
٢٤٩	• يا عم: قل لا إله إلا الله ...
٥٩	• يقبض الله الأرض ويطوي السموات ...
٥٩	• يمجّد الرب نفسه سبحانه ...

## فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
١٧٣	• إبراهيم بن هانئ
١٨٢	• ابن أبي زمنين: محمد بن عبد الله
٢١	• ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي
٢١	• ابن القيم: عبد الله شمس الدين
١٥٧	• ابن الوزير: محمد بن إبراهيم
٢١	• ابن تيمية: أحمد بن شهاب الدين
٢٠	• ابن جرير: محمد بن جرير
١٨	• ابن دريد: محمد بن دريد
٥٠	• ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد
٣١	• ابن عباس: عبد الله بن عباس
٢٣	• ابن عثيمين: محمد بن صالح
٢٠	• ابن عطية: عبد الحق بن عطية
١٧٩	• ابن قدامة: عبد الله بن أحمد
٣٢	• ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل
٢٢	• أبو البقاء: أيوب بن موسى
٢١	• أبو حيان: محمد بن يوسف
٢٥١	• أبو عبد الله المدني عكرمة مولى ابن عباس
٩٤	• أبو مالك الأشعري: كعب بن مالك
٩٣	• أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر
١٦٣	• أبي بن كعب
٢١٣	• أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي
١٩٨	• أحمد بن الحسين البيهقي

الصفحة	اسم العلم
١٨	• أحمد بن زكريا ابن فارس
١٩١	• أحمد بن محمد الطلمنكي
٤١٩	• أحمد بن محمد هارون الخلال
٤١٤	• إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني
٥٨	• الأسود بن سريع
١٩	• الأعشى: ميمون بن قيس
٤٤٣	• امرؤ القيس بن حجر
٩٩	• أنس بن مالك
٤١٨	• بقيه بن الوليد
١٠١	• جابر بن عبد الله
٨٦	• جرير بن عبد الله
٣٩٦	• جعفر بن المعتصم بن الرشيد
٦٠	• الحسن البصري: الحسن بن يسار
٤٢٥	• الحسن بن علي رضي الله عنه
١٩٧	• الحسين بن الحسين الحلبي
٢١٣	• الحسين بن علي البرهماري
١٧٨	• الحسين بن مسعود البغوي
٤٩	• الخطابي: أحمد بن محمد الخطاب
١٧٣	• خلف بن هشام البزار
١٨	• الخليل بن أحمد
١٧٤	• الدارمي: عثمان بن سعيد
٢٤٤	• رؤبة بن عبد الله العجاج
١٠١	• رفاعة بن رافع الزرقي
٣٦٩	• زيد بن وهب الجهني

الصفحة	اسم العلم
٢٢	• السعدي: عبد الرحمن بن ناصر
٢٢٧	• سفيان بن سعد بن سفيان الثوري
٣٦٩	• سلميان بن مهران الأعمش
٩٦	• سمرة بن جندب
٢٢	• الشنقيطي: محمد الأمين محمد المختار
٢٢	• الشوكاني: محمد بن علي
٩٦	• الصنعاني: محمد بن إسماعيل
٣٦٦	• عبد الجبار بن أحمد عبد الجبار
٤٢٢	• عبد الرحمن بن أحمد عبد الغفار
١٩٠	• عبد الرحمن بن علي
٢١٢	• عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي
٣٩٦	• عبد الله المأمون بن هارون الرشيد
٢٣٠	• عبد الله بن عبد الرحمن بابطين
١٠٠	• عبد الله بن مسعود
٤٢٢	• عبد الملك بن عبد الله الجويني
٣٦٦	• علي ابن إسماعيل أبو الحسن الأشعري
١٨٠	• علي بن إبراهيم العطار
٢٩٨	• عمر بن علي ابن الملقن
٣٦٥	• عمرو بن بحر الجاحظ
٩٣	• العيني: محمد بن أحمد
٩٨	• فضالة بن عبيد
٤١٨	• القاسم بن سلام أبو عبيد
٢٢	• القاسمي: جمال الدين محمد
٢٠	• القرطبي: محمد بن أحمد

الصفحة	اسم العلم
٢٣٥	• قسي بن عمر النجاشي
٢٢٧	• الليث بن سعد بن عبد الرحمن
١٣٣	• الليث بن نصر الخزاعي
٢٢٧	• مالك بن أنس بن مالك
٢١٢	• محمد بن أحمد الأزهري
١٨٠	• محمد بن أحمد السفاريني
١٧٣	• محمد بن إدريس الشافعي
٢١٤	• محمد بن إسحاق بن منده الأصفهاني
١٩٠	• محمد بن إسماعيل البخاري
٢٧٩	• محمد بن القاسم الأنباري
٤١٨	• محمد بن الوليد الزبيدي
٣٦٧	• محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
٣٤٨	• محمد بن علي ابن دقيق العيد
٣٧٠	• محمد بن عمر الرازي
٣٦٨	• محمود بن عمر الخوارزمي
٩٩	• معاذ بن أنس
٤٢٠	• المنذر بن عائد الأشج
٩٩	• النعمان بن بشير
٢٢٥	• نعيم بن حماد الخزاعي
٩٥	• النووي: يحيى بن شرف
٣٩١	• واصل بن عطاء الغزال
٢٢٧	• يحيى بن عمار السجستاني
٣٩٥	• يزيد بن عبد الملك بن مروان
٢١٤	• يوسف بن عبد الله ابن عبد البر

## فهرس المصادر والمراجع

- أ -

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية - ابن بطة - تحقيق: لجنة من الباحثين، دار الراية، الثانية ١٤١٨هـ.
٢. أبجد العلوم - صديق حسن خان القنوجي - المكتبة القدوسية لاهور، الأولى ١٤٠٣هـ.
٣. ابن قيم الجوزية حياته وآثاره - د/ بكر أبو زيد - مطابع الهلال الرياض، الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٤. أبو حنيفة حياته وعصره - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي، الثانية.
٥. الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء - الذهبي - د/ جمال بادي، دار الوطن، الأولى ١٤١٦هـ.
٦. إثبات صفة العلو - ابن قدامة - تحقيق: أ.د/ أحمد عطية الغامدي، مؤسسة علوم القرآن بيروت، الأولى ١٤٠٩هـ.
٧. اجتماع الجيوش الإسلامية - ابن قيم الجوزية - تحقيق: د/ عواد المعتق، مكتبة الرشد الرياض الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٨. الأحاديث المختارة - ضياء الدين المقدسي - تحقيق: أ.د/ عبد الملك بن دهيش - دار خضر للطباعة، الرابعة ١٤١٢هـ.
٩. آداب البحث والمناظرة - محمد الأمين الشنقيطي - مكتبة ابن تيمية القاهرة، مكتبة العلم بجدة.
١٠. آداب الشافعي ومناقبه - ابن أبي حاتم الرازي - تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة التراث الإسلامي، ١٣٧٣هـ.
١١. الآداب الشرعية - ابن مفلح - تحقيق: شعيب الأرناؤوط عمر القيام.
١٢. الأدب المفرد - للبخاري - صححه محمد هشام البرهاني، نشر دولة الإمارات وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٣. الأذكار -النووي- وبذيله تحفة الأبرار للحافظ ابن حجر تحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد الرياض، الثانية ١٤١٤هـ.
١٤. آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويمًا -د/ علي ابن سعد الضويحي- مكتبة الرشد الرياض، الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٥. إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري -القسطلاني- دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
١٦. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد -إمام الحرمين أبو المعالي الجويني- تحقيق: محمد بن يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي مصر ١٣٦٩هـ.
١٧. إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل -محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي، الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٨. الأسئلة والأجوبة الأصولية -الشيخ عبد العزيز السلطان- الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.
١٩. أساس التقديس في علم الكلام -فخر الدين الرازي- مطبعة البابي الحلبي القاهرة مصر، الأولى ١٣٥٤هـ.
٢٠. الاستقامة -شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الهدى النبوي المنصورة مصر، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب -ابن عبد البر- تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر.
٢٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة -ابن الأثير- تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب القاهرة مصر.
٢٣. أسماء الله الحسنى -ابن قيم الجوزية- حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: يوسف بديوي وأيمن عبد الرزاق الشواء، دار الكلم الطيب، الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٤. أسماء الله الحسنى -عبد الله الغصن- دار الوطن الرياض، الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٥. الأسماء والصفات - البيهقي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٦. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى - القرطبي - مخطوط يوجد منه نسخة بمركز جهاد اللبين للدراسات التاريخية، رقم ١٧٨٣.
٢٧. اشتقاق أسماء الله الحسنى - الزجاجي - تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٠٦هـ.
٢٨. الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر - تحقيق: علي محمد الجاوي، دار النهضة القاهرة مصر.
٢٩. الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - د/ عبد القادر عطا صوفي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٠. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة - محمد بن عبد الرحمن الخميس - دار الصمعي، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي - مكتبة ابن تيمية القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٣٢. اعتقاد أئمة الحديث - أبو بكر الإسماعيلي - تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الأولى ١٤١٢هـ.
٣٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد - البيهقي - تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م من دار الآفاق الجديدة بيروت.
٣٤. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد - البيهقي - علق عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، تحقيق: أحمد بن إبراهيم أبو العينين، دار الفضيلة، الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٥. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - الفخر الرازي - شركة الطباعة الفنية المتحدة بالعباسية مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ.
٣٦. أعلام السنة المنشورة - حافظ الحكمي - تحقيق: شميم بن أحمد بن خليل، مكتبة الأقصى بالدوحة، مطبعة المدني مصر.
٣٧. أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، توزيع مكتبة الباز بمكة المكرمة.



٣٨. الإعلام بفوائد عمدة الأحكام - ابن الملحن - تحقيق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة للنشر، الأولى ١٤١٧هـ.
٣٩. الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.
٤٠. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤١. اقتضاء الصراط المستقيم - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د/ ناصر العقل، دار المسلم للنشر، الخامسة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٤٢. الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب - ابن ماكولا - تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي الناشر: محمد أمين دمج بيروت.
٤٣. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة - الحسن العلوي - دار الوطن، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٤. الإمام الشوكاني حياته وفكره - د/ عبد الغني قاسم الشرجي - مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة الجيل الجديد صنعاء.
٤٥. الإمام الشوكاني مفسراً - د/ محمد حسن الغماري - دار الشروق.
٤٦. إنباء الغمر بأبناء العمر - الحافظ ابن حجر العسقلاني - دائرة المعارف العثمانية الهند الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٤٧. إنباء الرواة على أنباء النحاة - القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤٨. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار - يحيى ابن أبي الخير العمراني - تحقيق: د/ سعود الخلف، أضواء السلف، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٩. الأنساب - السمعاني - اعتنى بتصحيحه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.
٥٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - ابن هشام الأنصاري - ومعه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك محمد محي الدين المكتبة العصرية صيدا بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٥١. إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع العشر - شمس الدين القباقي - تحقيق: أحمد خالد شكري.

- ب -

- ٥٢ . بدائع الفوائد - ابن قيم الجوزية- تحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد الرياض، الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ٥٣ . البداية النهاية - الحافظ ابن كثير- مكتبة البيان مطبعة السعادة.
- ٥٤ . البداية والنهاية - عماد الدين إسماعيل ابن كثير- مكتبة المعارف بيروت، الثانية ١٩٧٧م.
- ٥٥ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - الشوكاني- مطبعة السعادة القاهرة، الأولى ١٣٤٨هـ.
- ٥٦ . بصائر ذوي التمييز - الفيروز آبادي- المكتبة العلمية بيروت.
- ٥٧ . بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس - أحمد بن يحيى الضبي- دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.
- ٥٨ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
- ٥٩ . بهجة الناظرين شرح الرياض الصالحين - سليم بن عبد الهلالي- دار ابن الجوزي، الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ٦٠ . بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار - ناصر السعدي- طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ١٤١٩هـ.
- ٦١ . بيان تلبس الجهمية ( نقض تأسيس الجهمية ) - شيخ الإسلام ابن تيمية- تصحيح وتعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، الثانية ١٤٢١هـ.

- ت -

- ٦٢ . بيان مذهب الباطنية وبطلانه - محمد بن الحسن الديلمي- صححه شدو طحان، المكتبة الإمدادية بمكة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- ٦٣ . تاج العروس - الزبيدي- تحقيق: إبراهيم التريزي، دار إحياء التراث بيروت.
- ٦٤ . التاريخ - ابن معين- تحقيق: د- أحمد محمد نور سيف جامعة الملك عبد العزيز، الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٦٥. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية -د/ أحمد شلي- مكتبة النهضة المصرية، الثالثة ١٩٦٩م.
٦٦. تاريخ الأمم والملوك -ابن جرير الطبري- تحقيق: متشيل جرهان، دار الفكر بيروت، ١٩٦٤م.
٦٧. تاريخ الجهمية والمعتزلة -جمال الدين القاسمي- مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٠١هـ-١٩٦٤م.
٦٨. تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين -علي مصطفى الغرابي- مكتبة ومطبعة محمد صبيح.
٦٩. التاريخ الكبير -محمد بن إسماعيل البخاري- مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان.
٧٠. تاريخ المذاهب الإسلامية -محمد أبو زهرة- دار الفكر العربي.
٧١. تاريخ بغداد -الخطيب أحمد بن علي البغدادي- دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٧٢. التاريخ -خليفة ابن خياط- تحقيق: أكرم ضياء العمري دار طيبة الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٧٣. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والآثار -عبد الرحمن الجبرتي- دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٧٤. تأويل مختلف الحديث -ابن قتيبة- تحقيق: محي الدين الأصغر، المكتب الإسلامي ودار الإشراف بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٩هـ.
٧٥. تأويل مشكل القرآن -ابن قتيبة- تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٧٦. التبرك أنواعه وأحكامه -د/ ناصر الجديع- مكتبة الرشد الرياض، الثالثة ١٤١٥.
٧٧. التبصير في معالم الدين -الطبري- تحقيق: علي الشبل، دار العاصمة الرياض، الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٧٨. التبيان في أقسام القرآن -ابن قيم الجوزية- تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت.
٧٩. تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الشعري علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٩٩هـ.

٨٠. تمة المختصر في أخبار البشر - عمر بن الوردى - تحقيق: أحمد رفعت البدرائى، دار المعرفة بيروت، الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
٨١. تجريد التوحيد المفيد - للمقرئى - تحقيق: على بن محمد العمرانى، دار عالم الفوائد الأولى ١٤١٧هـ.
٨٢. تحريم النظر فى كتب أهل الكلام (كتاب فى الرد على ابن عقيل) - موفق الدين ابن قدامة - صححه ونشره جورج المقدسى، ١٩٦٢م.
٨٣. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى - أبو العلا عبد الرحمن المباركفورى - دار الكتب العلمىة، بيروت لبنان.
٨٤. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف - المزنى - تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، الدار القىمة بمباى الهند، الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣هـ.
٨٥. التحفة العراقىة فى الأعمال القلىبة - شىخ الإسلام ابن تىمىة - تحقيق: حماد سلامة، مكتبة المنار الأردن الزرقاء، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٨٦. تحفة المودود بأحكام المولود - أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أبوب ابن قىم الجوزىة - تحقيق: بشىر عىون، مكتبة دار البىان دمشق، الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٨٧. التدمرىة - شىخ الإسلام ابن تىمىة - تحقيق: محمد بن عودة السعوى - طبع بشركة العىبكان الرىاض، الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨٨. تذكرة الحفاظ - الذهبى - دار إحىاء التراث العربى بيروت، الرابعة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٨٩. تذكرة الحفاظ - محمد بن أحمد الذهبى - تحقيق: عبد الرحمن بن محى المعلمى، حىدر آباد ١٣٧٧هـ.
٩٠. تذكرة النىبه فى أيام المنصور وبنىہ - الحسن بن عمر ابن حبىب - تحقيق: محمد أمىن، سعید عاشور، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٧٦م.
٩١. ترتيب المدارك وتقرب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - القاضى عىاض - تحقيق: جماعة من العلماء، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامىة بالمملكة المغربىة.
٩٢. الترغىب والترهىب - المنذرى - تحقيق: محمد محب الدين عبد الحمىد، دار الفكر بىروت لبنان الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

٩٣. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس - الحافظ ابن حجر العسقلاني -  
تحقيق: عبد الغفار البنداري والأستاذ محمد أحمد عبد العزيز.
٩٤. التعريفات - الجرجاني - تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، الثالثة  
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٩٥. تعظيم قدر الصلاة - المروزي - تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار المدينة  
النبوية الأولى ١٤٠٦هـ.
٩٦. تفسير الآية الكريمة { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الضالين } - شيخ الإسلام ابن تيمية -  
تحقيق: الدكتور عبد العلي حامد، دار الريان للتراث، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٩٧. تفسير البغوي معالم التنزيل - البغوي - تحقيق: مجموعة باحثين، دار طيبة للنشر  
والتوزيع، ١٤٠٩هـ.
٩٨. تفسير القرآن العظيم - عماد الدين أبو الفداء ابن كثير - مكتبة العلوم والحكم  
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٩٩. التفسير الكبير - الفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي بيروت، الثالثة.
١٠٠. تفسير آيات أشكلت - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة  
مكتبة الرشد الرياض، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٠١. تفسير بحر المحيط - أبو حيان - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض،  
دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤١٣هـ.
١٠٢. تفسير سورة النصر - ابن رجب الحنبلي - تحقيق: د/ حسن ضياء الدين عتر، دار  
البشائر الإسلامية بيروت، الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١٠٣. تفسير غريب القرآن - ابن قتيبة - تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب  
العربية مصر، ١٣٧٨هـ.
١٠٤. تقريب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - عناية: عادل مرشد، الأولى  
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٠٥. تلبس إبليس - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - مراجعة لجنة من العلماء، دار  
الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٠٦. تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري - شيخ الإسلام ابن تيمية -  
تحقيق: محمد عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، الأولى ١٤١٧هـ.
١٠٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - ابن عبد البر - تحقيق: جماعة من العلماء،  
طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية.
١٠٨. تنزيه القرآن عن المطاعن - القاضي عبد الجبار المعتزلي - دار النهضة الحديثة بيروت لبنان.
١٠٩. التنكيل بما في تأنيب الكوثري في الأباطيل - الشيخ عبد الرحمن المعلمي - تحقيق:  
محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الثانية ١٤٠٦هـ.
١١٠. تهذيب الأسماء واللغات - النووي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
١١١. تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - مطبعة دائرة المعارف الهند، الأولى ١٣٢٦هـ.
١١٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال - جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني - قدم له:  
عبد العزيز وأحمد بن يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث دمشق.
١١٣. تهذيب سنن أبي داود - ابن قيم الجوزية - تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد  
الفقهي، دار المعرفة، بيروت لبنان.
١١٤. توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس - الحافظ ابن حجر - تحقيق: أبو الفداء عبد  
الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٦هـ.
١١٥. التوسل أحكامه وأنواعه - محمد ناصر الدين الألباني - جمع: محمد عيد عباسي،  
المكتب الإسلامي بيروت، الخامسة ١٤٠٦هـ.
١١٦. توضيح الأحكام من بلوغ المرام - الشيخ عبد الله البسام - مكتبة النهضة الحديثة  
مكة المكرمة، الثانية ١٤١٤هـ.
١١٧. توضيح الكافية الشافية - ابن سعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي  
كتاب العقيدة الإسلامية مركز صالح الثقافي، عنيزة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١١٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - سليمان بن محمد بن عبد الوهاب -  
مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١١٩. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن - ابن سعدي - ضمن المجموعة الكاملة  
لمؤلفات السعدي كتاب العقيدة الإسلامية مركز صالح الثقافي، عنيزة الثانية  
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- ث -

١٢٠. الثقات - ابن حبان - حيدر آباد الدكن دائرة المعارف العثمانية.

- ج -

١٢١. جامع التحصيل في أحكام المراسيل - العلائي - تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف الجمهورية العراقية، الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٢٢. جامع الرسائل - شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع محمد رشاد سالم، مطبعة المدني القاهرة مصر، الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٢٣. جامع العلوم والحكم - ابن رجب - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٢٤. الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث والآثار التي خرجها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتبه المطبوعة - صنعه: سليم الهلالي - دار ابن الجوزي، الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٢٥. جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر - تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢٦. الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٧. الجرح والتعديل - ابن حاتم الرازي - الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٢٨. جزء القراءة خلف الإمام - الإمام البخاري - تحقيق: سعيد زغلول، طبع دار الحديث.

١٢٩. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام - ابن قيم الجوزية - تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن الجوزي، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣٠. جهرة اللغة - ابن دريد - دار صادر بيروت.

١٣١. الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي - خالد العسلي - دار الإرشاد بغداد ١٩٦٥م.

١٣٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية - مطبعة المدني، القاهرة مصر.

- ح -

١٣٣. حاشية الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية - عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - الثانية ١٤١٦هـ.
١٣٤. حاشية كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن قاسم - الثالثة ١٤٠٨هـ.
١٣٥. الحجّة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة - أبو القاسم الأصبهاني - تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ود/ محمد بن محمود أبو رحيم، دار الراجية للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١١هـ.
١٣٦. الحسنة والسيئة - الشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، الأولى ١٤٠٥هـ.
١٣٧. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية - عبد الرحمن بن سعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، مركز صالح بن صالح عنيزة، الثانية ١٤١٢هـ.
١٣٨. حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين - عبد الرحيم بن صمايل السلمي - دار المعلمة للنشر والتوزيع، الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٣٩. الحكمة والتعليل في أفعال الله - د/ ربيع المدخلي - مكتبة لينة للنشر والتوزيع دمنهور، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
١٤٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم - دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
١٤١. حول معنى لا إله إلا الله - سماحة الشيخ ابن باز - جمع محمد محمد بدري، مكتبة الإسلام، الأولى ١٤١٢هـ.
١٤٢. الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن - عبد العزيز الكناي - تحقيق: أ.د/ علي ناصر فقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٢هـ.

- خ -

١٤٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - البغدادي - تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثانية ١٩٧٩م.
١٤٤. خطبة الحاجة - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، الرابعة ١٤٠٠هـ.



١٤٥. الخطط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) - المقرئزي - مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.
١٤٦. خلق أفعال العباد - الإمام البخاري - قدم وخرج أحاديثه وعلق عليه بدر البدر،  
الدار السلفية الكويت، الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- د -
١٤٧. دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي - دار المعرفة للطباعة والنشر  
بيروت لبنان، الثالثة ١٩٧١م.
١٤٨. درء تعارض العقل والنقل - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د/ محمد رشاد سالم،  
مكتبة ابن تيمية، الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٤٩. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية - د/ عرفات عبد الحميد - دار الكتب  
العلمية، الأولى.
١٥٠. درة الحجال في أسماء الرجال (وهو ذيل وفيات الأعيان لابن خلكان) - أبو العباس  
أحمد بن محمد المكناس - تحقيق: محمد الأحمد أبو نور، دار التراث القاهرة.
١٥١. الدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمعها: عبد الرحمن بن قاسم - مطابع المكتب  
الإسلامي بيروت، الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
١٥٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - أحمد بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد سيد  
جاد الله، دار الكتب الحديثة.
١٥٣. الدعاء - الطبراني - تحقيق: محمد سعيد البخاري، الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٥٤. دعوة التوحيد وأصولها - د/ محمد خليل هراس - مكتبة ابن تيمية، الأولى  
١٤٠٧هـ.
١٥٥. دليل الفالحين شرح رياض الصالحين - ابن علان - دار الفكر، بيروت لبنان.
١٥٦. دليل القارئ إلى مواضيع صحيح البخاري - عبد الله الغنيمان - مؤسسة الرسالة،  
الثانية ١٤٠٤هـ.
١٥٧. دول الإسلام - محمد بن أحمد الذهبي - حيدر آباد، ١٩١٨م.
١٥٨. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب - ابن فرحون - تحقيق: د/ محمد الأحمد  
أبو نور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

١٥٩. ديوان الأعشى الكبير - د/ محمد حسن- الناشر: مكتبة الآداب بالجماميز، دون رقم الطبعة.

١٦٠. ديوان امرئ القيس تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦١. ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق: د/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الثانية ١٤٠٥هـ.

- ذ -

١٦٢. ذم التأويل - ابن قدامة- تحقيق: بدر البدر، مطابع دار السياسة الكويت.

١٦٣. ذيل تذكرة الحفاظ -الذهبي- الناشر دار إحياء التراث العربي، الأولى.

١٦٤. ذيل طبقات الحنابلة -ابن رجب الحنبلي- تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٧٢هـ.

١٦٥. ذيول العبر -الأول للذهبي، والثاني للحسني- طبعت في آخر كتاب العبر، للذهبي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- ر -

١٦٦. الرد على الأحنائي -شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق: أحمد بن موسى العنزوي، دار الخراز الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٦٧. الرد على الزنادقة والجهمية -الإمام أحمد بن حنبل- مطابع القاهرة، الثانية ١٣٩٩هـ.

١٦٨. الرد على الجبرة -القاسم بن إبراهيم الرسي- تحقيق: محمد عمارة، دار الهلال.

١٦٩. الرد على المنطقيين -شيخ الإسلام ابن تيمية- الناشر: إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

١٧٠. الرسالة -الإمام الشافعي- تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية بيروت.

١٧١. رسالة الترييع والتدوير (ضمن رسائل الجاحظ الجزء ٣) -عمر بن بحر الجاحظ- تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

١٧٢. رسالة الشرك ومظاهره - مبارك بن محمد المليي - مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٠٧هـ.
١٧٣. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المطهرة - للكتاني - كتب مقدمتها ووضع فهارسها محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، لبنان الرابعة ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.
١٧٤. رفع الاشتباه عن معنى الإله - عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - مكتبة الحرم المكي - مخطوط.
١٧٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الألوسي - دار إحياء التراث العربي بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٧٦. الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية - الحسن بن عبد المحسن أبو عذبة - تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٧٧. رياض الجنة بتخريج أصول السنة - ابن أبي زمنين - تحقيق: عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الأولى ١٤١٥هـ.
١٧٨. رياض الصالحين - الإمام النووي - تخريج: محمد ناصر الدين الألباني تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ز -
١٧٩. زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي - تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر دمشق بيروت الأولى، ١٣٨٤هـ.
١٨٠. زاد المعاد في هدى خير العباد - ابن قيم الجوزية - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الثامنة والعشرون ١٤١٥هـ.
- س -
١٨١. سبل السلام شرح بلوغ المرام - الصنعاني - تحقيق: محمد عبد القادر دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٨٢. سلسة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٨٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف الرياض، الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م.
١٨٤. سمط اللآلئ، تصحيح: عبد العزيز اليميني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤هـ.
١٨٥. السنة - الخلال - تحقيق: د/ عطية الزهراني، دار الراجة للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
١٨٦. السنن - أبو داود سليمان الأزدي - تعليق: عزت عبيد الدعاس، دار ابن حزم، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٨٧. السنن - أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني - تحقيق: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة بيروت لبنان، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٨٨. السنن - الدار قطبي - تحقيق: عبد الله هاشم يماني، شركة الطباعة الغنية، مصر ١٣٨٦هـ.
١٨٩. السنن - الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمري خالد العلمي، دار الريان للتراث القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م الأولى.
١٩٠. السنن الكبرى - البيهقي - دار المعرفة بيروت لبنان.
١٩١. السنن الكبرى - النسائي - تحقيق: الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٩٢. السنن - النسائي (المجتبى) - اعتنى: به عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٩٣. السنن - محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
١٩٤. سير أعلام النبلاء - الإمام الذهبي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ.
١٩٥. السيرة النبوية - عبد الملك بن هشام - دار الجيل بيروت.

- ش -

١٩٦. شأن الدعاء - الخطابي - تحقيق: أحمد بن يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، الأولى ١٤٠٢هـ.
١٩٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي - دار الآفاق الجديدة بيروت.
١٩٨. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل - محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية صيدا، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٩٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - الإمام اللالكائي - تحقيق: د/ أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٠٠. شرح الأصول الخمسة - عبد الجبار الهمداني - تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، الثالثة.
٢٠١. شرح التصريح على التوضيح - الأزهري - مطبعة الأفندي، الأولى ١٣١٢هـ.
٢٠٢. شرح السنة - البرهاري - تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٠٣. شرح السنة - البغوي - تحقيق الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٠٤. شرح العقائد النسفية - سعد الدين التفتازاني - تحقيق: أحمد حجازي السقا، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة الأولى ١٤٠٧.
٢٠٥. شرح العقيدة الأصفهانية - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد الرياض، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٠٦. شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي - خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، التاسعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٠٧. شرح العقيدة الواسطية - الشيخ محمد العثيمين - تخريج: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٠٨. شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية - ابن قيم الجوزية - تحقيق: د/ محمد هراس، درا الكتب العلمية بيروت.

٢٠٩. الشرح الممتع على زاد المستقنع - محمد بن صالح العثيمين - مؤسسة آسام الرياض، الثانية ١٤١٤هـ.
٢١٠. شرح حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: محمد صلاح، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢١١. شرح رياض الصالحين - ابن عثيمين - إعداد: د/ عبد الله الطيار، دار الوطن، الأولى ١٤١٦هـ.
٢١٢. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - عبد الله الغنيمان - مكتبة لينة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢١٣. شعب الإيمان - البيهقي - تحقيق: د- عبد العلي عبد الحميد الدار السلفية بومباي الهند، الأولى ١٤٠٦هـ.
٢١٤. الشعر والشعراء - ابن قتيبة - تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٣٦٤هـ.
٢١٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ابن قيم الجوزية - تخرىج: مصطفى الشلبي، الناشر: مكتبة السوادى للتوزيع، الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢١٦. الشيخ عبد الرحمن السعدى وجهوده فى توضيح العقيدة - أ.د/ عبد الرزاق البدر - مكتبة الرشد، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ص -
٢١٧. الصحاح - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٢١٨. صحيح ابن حبان - ترتيب علاء الدين الفارسى - تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢١٩. الصحيح - أبو الحسين مسلم الحجاج القشيري - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٢٢٠. الصحيح - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - المكتب الإسلامى إستانبول، ١٩٧٩م.

٢٢١. صحيح الأدب المفرد - محمد ناصر الدين الألباني - دار صديق، الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٢٢. صحيح الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربية لدول الخليج، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢٢٣. صحيح الكلم الطيب - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، السادسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٢٤. صحيح سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف الرياض، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٢٥. صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربية لدول الخليج، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٢٦. صحيح سنن الترمذي - محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربية لدول الخليج، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢٢٧. الصحيح - ابن خزيمة - تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
٢٢٨. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة - محمد أمان الجامي - دار الفنون للطباعة والنشر، الثانية ١٤١١هـ.
٢٢٩. صفة الصفوة - ابن جوزي - ضبطها وكتبها هوامشها إبراهيم رمضان، سعيد اللحام دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٣٠. صفحات من حياة علامة القصيم - الطيار -
٢٣١. الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله - ابن قيم الجوزية - تحقيق: د/ علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ض -
٢٣٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - السخاوي - منشورات دار المكتبة الحياة بيروت، لبنان.
- ط -
٢٣٣. طبقات الحفاظ - جلال الدين السيوطي - تحقيق: علي يحيى عمر، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٣٤. طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين السبكي - تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية.
٢٣٥. طبقات الفقهاء - أبو إسحاق الشيرازي الشافعي - تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت لبنان، الثانية ١٤٠١هـ.
٢٣٦. الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار صادر بيروت لبنان.
٢٣٧. طبقات المفسرين - جلال الدين السيوطي - تحقيق: علي محمد عمر مكتبة وهبة، الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٢٣٨. طبقات المفسرين - شمس الدين الداودي - تحقيق: علي محمد عمر مكتبة وهبة، الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٢٣٩. طبقات علماء الحديث - ابن عبد الهادي - تحقيق: أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى ١٩٨٩م.
٢٤٠. طريق المهجرتين وباب السعادتين - ابن قيم الجوزية - تحقيق: وليد الجمل عادل شوشه دار ابن رجب، الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٤١. طريق المهجرتين وباب السعادتين - ابن قيم الجوزية - تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير بيروت، الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ع -
٢٤٢. العبر في خبر من غير - شمس الدين الذهبي - تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٤٣. العدة حاشية الأمير الصنعاني على إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام تحقيق: د/ عبد المعطي قلنجي توزيع مكتبة التقدم العلمية، مكة المكرمة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٨م.
٢٤٤. العصر الجاهلي - د/ شوقي ضيف - دار المعارف بمصر، الثانية عشرة.
٢٤٥. العظمة - أبو الشيخ الأصبهاني - تحقيق: رضا الله المباركفوري، دار العاصمة الرياض، الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٤٦. العقود الدرية من مناقب ابن تيمية - ابن عبد الهادي - تحقيق: محمد حامد الفقهي، مكتبة المؤيد.



٢٤٧. عقيدة السلف أصحاب الحديث - الصابوني - تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية الكويت.
٢٤٨. العلم الهيب في شرح الكلم الطيب - للعيني - تحقيق: خالد المصري، مكتبة الرشد الرياض، الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٤٩. عمل اليوم والليله - ابن السني - تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان دمشق، الأولى ١٤٠٧هـ.
٢٥٠. عمل اليوم والليله - النسائي - تحقيق: فاروق حمادة مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
٢٥١. عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن عبد الله بن بشر - مكتبة الرياض الحديثة الأولى.
٢٥٢. العواصم والقواصم في الذب عن سنة - أبو القاسم محمد بن إبراهيم الوزير - تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٥٣. العين - الفراهيدي - تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرئي.
- غ -
٢٥٤. غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - عني بنشره ج برجستراس، مكتبة المنتبي القاهرة، بدون رقم الطبعة.
٢٥٥. غريب الحديث - ابن الجوزي - تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٥٦. غوث المكذود بتخريج منتقى ابن الجارود - أبو إسحاق الحويني - دار الكتاب العربي بيروت الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ف -
٢٥٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.
٢٥٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن رجب - تحقيق: مجموعة من الباحثين الناشر مكتبة الغرباء الأثرية، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٨٦م.

٢٥٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي الشوكاني - تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٦٠. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب الإسلامي، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٦١. الفتوى الحموية الكبرى - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: شريف هزاع، مكتبة حراء مكة المكرمة، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٦٢. الفرق بين الفرق - عبد القاهر بن طاهر البغدادي - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت.
٢٦٣. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها - د/ غالب العواجي - دار لينة للنشر، الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٦٤. الفصل في الملل والنحل - ابن حزم الأندلسي - دار المعرفة بيروت لبنان، الثانية ١٣٩٥هـ.
٢٦٥. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - أبو القاسم البلخي القاضي عبد الجبار الحاكم الجشمي - الدار التونسية للنشر تونس، ١٣٩٣هـ.
٢٦٦. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفر - فضل الله الجيلاني - قدم له وخرج أحاديثه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٦٧. فقه الأدعية والأذكار - أ.د/ عبد الرزاق البدر - دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٦٨. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات - عبد الحي الكتاني - اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٦٩. الفهرست - ابن النديم - دار المعرفة بيروت لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، توزيع دار لبنان مكة المكرمة.
٢٧٠. الفوائد - ابن قيم الجوزية - تحقيق: سليم الهلالي، مكتبة الرشد الرياض، الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٧١. في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، تحليل ونقد - د/ محمد أحمد خفاجي - مطبعة الأمانة جزيرة بدران القاهرة، الأولى.

- ق -

٢٧٢. القائد إلى تصحيح العقائد - الشيخ عبد الرحمن المعلمي - تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٤م.
٢٧٣. قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د/ عبد الله البصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٧٤. قاعدة جلية في التوسل والوسيلة - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د/ ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة لينة للنشر، الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٧٥. القاموس المحيط - الفيروز آبادي - دار الفكر بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٧٦. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه - د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود - دار الوطن، الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٧٧. القواعد الحسان لتفسير القرآن - ابن سعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي كتاب العقيدة الإسلامية مركز صالح الثقافي، عيزة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٧٨. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - الشيخ محمد بن صالح العثيمين - تحقيق: أشرف عبد الرحيم، مكتبة الإرشاد صنعاء، الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٧٩. القول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد - د/ عبد الرزاق البدر - دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٨٠. القول المفيد على كتاب التوحيد - محمد الصالح العثيمين - جمعه: د/ سليمان أبا الخيل ود/ خالد المشيقح، دار ابن الجوزي، الأولى ١٤١٨هـ -

- ك -

٢٨١. الكاشف - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ -
٢٨٢. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) - ابن قيم الجوزية - عني بها: عبد الله بن محمد العمير، دار ابن خزيمة، الأولى ١٤١٦هـ -

٢٨٣. الكامل في ضعفاء الرجال - ابن عدي - تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر بيروت لبنان، الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢٨٤. كتاب التوحيد - ابن منده - تحقيق: د/ علي ناصر فقيهي مكتبة الغرباء الأثرية، الثانية ١٤١٤هـ.
٢٨٥. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل - ابن خزيمة - تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، دار الرشد الرياض، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٨٦. كتاب الصلاة وحكم تاركها - ابن قيم الجوزية - اعتنى به: محمد نظام الدين الفتيح مكتبة دار التراث، الثانية ١٤١٢هـ.
٢٨٧. الكتاب المقدس، دار الثقافة المسيحية القاهرة.
٢٨٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل - الزمخشري - طبعة دار المعرفة بيروت.
٢٨٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة - منشورات مكتبة المثنى بغداد.
٢٩٠. كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء - ابن قيم الجوزية - تحقيق: ربيع أحمد خلف مكتبة السنة القاهرة، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٩١. الكلبيات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أبو البقاء الحسيني الكفوي - تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٩٢. الكنى والأسماء - الإمام مسلم - تحقيق: عبد الرحيم القشقرى، مطابع الجامعة الإسلامية، الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٩٣. الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية - مرعي الكرمي - تحقيق: نجم خلف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ل -

٢٩٤. اللباب في تهذيب الأنساب - ابن الأثير - درا صادر بيروت لبنان.
٢٩٥. اللباب في علوم الكتاب - أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى ١٤١٩هـ.

٢٩٦. لسان العرب - ابن منظور- اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الأولى ١٤١٦هـ.
٢٩٧. لسان الميزان - شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني- مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٢٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الثالثة ١٤٠٦هـ.
٢٩٨. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع - أبو الحسن الأشعري- مطبعة مصر القاهرة، ١٩٥٥م.
٢٩٩. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - محمد بن أحمد السفاريني- منشورات مؤسسة الخافقين دمشق، الثانية ١٤٠٢هـ.
- م -
٣٠٠. المتريديّة وموقفهم من الأسماء والصفات - شمس السلفي الأفغاني- الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٠١. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٣ السنة ٣٣، ١٤٢١هـ.
٣٠٢. جمع الأمثال - أحمد بن محمد النيسابوري الميداني- نشر: دار مكتبة الحياة بيروت، ١٩٨٥م.
٣٠٣. جمع الأمثال - الميداني- نشر دار المكتبة الحياة بيروت، ١٩٨٥م.
٣٠٤. جمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي- دار الريان للتراث، القاهرة ودار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٠٥. مجموع أشعار العرب - اعتنى به: وليم بن الورد البروسي- دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع الكويت طبعة مصورة ليس عليها تاريخ الطبع ولا العدد.
٣٠٦. مجموع الفتاوى - شيخ الإسلام ابن تيمية- جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، طبع بجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٠٧. مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد، الناشر: مكتبة المعارف بالطائف.
٣٠٨. مجموعة الرسائل والمسائل - شيخ الإسلام ابن تيمية- دار الكتب العلمية بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٠٩. محاسن التأويل - جمال الدين القاسمي - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣١٠. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - أبو الفتح ابن جني - تحقيق: مجموعة باحثين، نشر دار سزكين للطباعة والنشر، الثانية ١٤٠٦.
٣١١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - تحقيق: المجلس العلمي بفاس، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالمغرب.
٣١٢. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة - ابن سيده - تحقيق: مصطفى السقا، د/ حسين نصار، المكتبة التجارية مصطفى الباز، الأولى ١٣٧٧هـ.
٣١٣. المحلى - ابن حزم - تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي دون رقم الطبعة، دار الآفاق الجديدة بيروت.
٣١٤. المختار في أصول السنة - ابن البنا الحنبلي - تحقيق: أ.د/ عبد الرزاق البدر، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الأولى ١٤١٣هـ.
٣١٥. مختصر الشمائل الحمديّة - اختصره وحققه: محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف الرياض، الأولى ١٤١٣هـ.
٣١٦. مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة - اختصره ابن الموصلي - بتصحيح الناشر: زكريا علي يوسف، مطبعة دار البيان مصر.
٣١٧. مختصر العلو للعلو الغفار - الإمام الحافظ الذهبي - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣١٨. المختصر في تاريخ البشر - عماد الدين إسماعيل أبو الفدا ابن كثير -.
٣١٩. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - تحقيق: عماد عامر، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى.
٣٢٠. مذكرة في أصول الفقه - محمد الأمين الشنقطي - الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة، الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٣٢١. مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات - أحمد بن عبد الرحمن القاضي - درا العاصمة للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٢٢. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان -اليافعي- منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الثانية ١٣٩٥هـ.
٣٢٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر -علي بن الحسين المسعودي- دار الفكر بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣٢٤. المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف -صالح بن غرم الله الغامدي- دار الأندلس حائل، الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٣٢٥. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة -عبد الإله الأحمدى- دار طيبة للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٢هـ.
٣٢٦. المستدرک على الصحيحين -الحاكم- دار الفكر بيروت لبنان ١٣٩٧هـ-١٩٧٨م.
٣٢٧. المسند -أبو داود الطيالسي- دائرة المعارف العثمانية الهند، ١٣٢١هـ.
٣٢٨. المسند -أبو عوانة- جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدکن، الهند ١٣٦٢هـ.
٣٢٩. المسند -أبو يعلى الموصلي- تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن بيروت.
٣٣٠. المسند -الإمام أحمد بن حنبل- شرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٣١. مسند الفردوس -الديلمى- دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٣٣٢. مشاهد علماء الأمصار -ابن حبان- عني بتصحيحه م: فلايشهمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٣٣٣. مشاهير علماء نجد وغيرهم -الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ- الثانية ١٣٩٤هـ، بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
٣٣٤. مشكاة المصابيح -الخطيب التبريزي- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق، الثالثة ١٤٠٥هـ.
٣٣٥. مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجة -البوصيري- دار المعرفة بيروت لبنان، الأولى ١٤١٦هـ.

٣٣٦. المصنف - عبد الرزاق الصنعاني - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع: مكتب الإسلامبي بيروت، الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٣٣٧. المصنف في الأحاديث والآثار - ابن أبي شيبه - تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية الهند.
٣٣٨. المطالب العالية في العلم الإلهي - فخر الدين الرازي - تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٣٩. مطالع السعد بكشف مواقع الحمد - ابن قيم الجوزية - تحقيق: فهد العسكري، دار ابن خزيمة، الأولى ١٤١٤هـ.
٣٤٠. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - حافظ الحكمي - تحقيق: عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٤١. معالم السنن - الخطابي - منشورات المكتبة العلمية بيروت، الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٣٤٢. المعتزلة - زهدي حسن جار الله - مطبعة مصر، ١٩٤٧م.
٣٤٣. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها - عواد عبد الله المعتق - دار العاصمة الرياض، الأولى ١٤٠٩هـ.
٣٤٤. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى - د/ محمد بن خليفة التميمي - دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٤٥. المعتمد في أصول الدين - القاضي أبو يعلى الموصلي - تحقيق: وديع حداد، دار المشرق بيروت.
٣٤٦. معجم الأدباء - ياقوت الحموي - دار المشرق بيروت.
٣٤٧. المعجم الأوسط - الطبراني - تحقيق: د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض، الأولى ١٩٨٥م.
٣٤٨. معجم البلدان - ياقوت الحموي البغدادي - دار الكتاب العربي بيروت.
٣٤٩. المعجم الصغير - الطبراني - تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
٣٥٠. المعجم الفلسفي - د/ جميل صليبا - دار الكتاب اللبناني بيروت، الأولى ١٩٧١م.



٣٥١. المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية القاهرة - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عالم الكتب بيروت.
٣٥٢. المعجم الكبير - الطبراني - تحقيق: حمدي السلفي، الدار العربية للطباعة العراق.
٣٥٣. معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - الناشر: مكتبة المثنى بيروت، ودار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٥٤. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - ترتيب جماعة من المستشرقين - نشره: ونستك، مكتب بريد في ليدن ١٣٣٦هـ.
٣٥٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.
٣٥٦. معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر بيروت لبنان.
٣٥٧. معرفة القراء الكبار - الذهبي - تحقيق: بشار عواد، شعيب الأرنؤوط وصالح مهدي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٥٨. المعلقات العشر وأخبار شعرائها - أحمد الأمين الشنقيطي - دار الكتاب العربي، سورية حلب.
٣٥٩. معيار العلم في المنطق والكلام - التفتازاني - (قسم المنطق فقط، المطبوع مع شرحه للحسن بن أحمد الجلال)، طبع مكتبة إشاعة الإسلام باكستان.
٣٦٠. المعني في أبواب التوحيد والعدل - عبد الجبار الهمداني - تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.
٣٦١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإدارة - ابن قيم الجوزية - تحقيق: علي بن حسن عبد الحميد، دار ابن عفان، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٦٢. المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان.
٣٦٣. المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم - القرطبي - تحقيق: جماعة باحثين، دار ابن كثير، دمشق بيروت الأولى ١٤١٧هـ.
٣٦٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - أبو الحسن الأشعري - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٣٦٧. المقتنى في سرد الكنى -الذهبي- تحقيق: صالح مراد، مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.
٣٦٨. المقدمة -ابن خلدون- المكتبة التجارية الكبرى القاهرة.
٣٦٩. الملل والنحل -أبو الفتح محمد بن عبد الكرم الشهرستاني- تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٧هـ.
٣٧٠. مناقب الشافعي -البيهقي- تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، الأولى ١٣٩١هـ.
٣٧١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم -عبد الرحمن بن علي بن الجوزي- حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧-١٣٥٩هـ.
٣٧٢. منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز -الشيخ محمد الأمين الشنقيطي- مكتبة ابن تيمية القاهرة.
٣٧٣. منهاج السنة النبوية -شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن مسعود، الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٧٤. المنهاج شرح صحيح مسلم -النووي- إعداد مجموعة باحثين إشراف علي عبد الحميد بلطه جي، دار الخير للطباعة بيروت لبنان، الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣٧٥. المنهاج في شعب الإيمان -الحليمي- تحقيق: حلمي محمد فوده، دار الفكر بيروت لبنان، الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣٧٦. منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة -د/ محمد بن عبد الوهاب العقيل- مكتبة أضواء السلف، الأولى ١٤١٩هـ.
٣٧٧. منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري -محمد إسحاق كندو- مكتبة الرشد، الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٧٨. منهج الحافظ ابن رجب وأثره في توضيح عقيدة السلف -د/ عبد الله الغفيلي- دار المسير الرياض، الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٣٧٩. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى -نخالد بن عبد اللطيف- مكتبة الغرباء الأثرية، الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٨٠. المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل -أحمد بن يحيى بن المرتضي- صححه توما أرتلد، دار صادر بيروت.

٣٨١. موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان - الهيثمي - تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية ومكتبها القاهرة.
٣٨٢. المواقف في علم الكلام - عبد الرحمن بن أحمد الإيجي - عالم الكتب بيروت.
٣٨٣. الموسوعة الميسرة بإشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب، الثانية ١٩٧٢م.
٣٨٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - إشراف: د/ مانع حماد الجهني - دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الثالثة ١٤١٨هـ.
٣٨٥. موضح أوامهم الجمع والتفريق - الخطيب البغدادي - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بجدد آباد الدكن الهند، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
٣٨٦. الموطأ - الإمام مالك - صححه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الثقافية بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٨٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة - د/ عبد الرحمن المحمود - مكتبة الرشد الرياض، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣٨٨. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، عرضاً ونقداً - سليمان بن عبد العزيز الغصن - درا العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٨٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال - محمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ن -
٣٩٠. نتائج الأفكار في تخرج أحاديث الأذكار - للحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق: حمدي السلفي دار ابن كثير، الأولى ١٤٢١هـ.
٣٩١. نثر الورود على مراقبي السعود - محمد الأمين الشنقيطي - تحقيق: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣٩٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جمال الدين يوسف بن تغري بردي - مصورة عن مطبعة دار الكتب بمصر.
٣٩٣. نزهة الألباب في الألقاب - الحافظ ابن حجر العسقلاني - مكتبة الرشد الرياض.
٣٩٤. نصب الراية لأحاديث الهداية - الزيلعي - دار الحديث القاهرة.

٣٩٥. النظم الإسلامية نشأتها وتطورها - د/ صبحي الصالح - دار العلم للملايين بيروت،  
الثالثة ١٣٦٦هـ - ١٩٧٦م.
٣٩٦. نفع الطيب من غضب الأندلس الرطيب - المقرئ - تحقيق: د/ إحسان عباس، دار  
صادر بيروت لبنان ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٣٩٧. نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي - الإمام الدارمي - تحقيق: منصور  
السماري، أضواء السلف، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٩٨. النكت على كتاب ابن الصلاح - الحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق: د/ ربيع بن  
هادي المدخلي، مطابع الجامعة الإسلامية، الأولى ١٤٠٤هـ.
٣٩٩. النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير - تحقيق: طاهر الزاوي الطناحي، المكتبة  
العلمية بيروت.
٤٠٠. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى - محمد الحمود النجدي - مكتبة الإمام  
الذهبي الكويت، الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ه -
٤٠١. هدي الساري مقدمة فتح الباري - ابن حجر العسقلاني - تحقيق: محب الدين  
الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٤٠٢. هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - البغدادي - منشورات مكتبة المثني  
ببغداد، طبع سنة ١٩٥١م.
- و -
٤٠٣. الوابل الصيب - ابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٠٤. الوافي بالوفيات - الصفدي - بعناية جماعة من المحققين دار صادر، بيروت لبنان،  
الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٤٠٥. الوفيات - ابن قنفذ - منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
٤٠٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر  
بيروت لبنان.
- ي -
٤٠٧. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - الثعالبي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

## فهرس المحتوفك

الصفحة	
٣	المقدمة .....
٧	أسباب اختيار الموضوع .....
٨	الدراسات السابقة .....
٩	خطة البحث .....
١٤	منهج البحث .....
١٥	كلمة شكر .....
١٦	الباب الأول : الفصل الأول : معاني الحمد ودلالته .....
١٧	المبحث الأول: تعريف الحمد لغة وشرعاً .....
١٨	المطلب الأول: تعريف الحمد لغة .....
٢٠	المطلب الثاني: تعريف الحمد شرعاً .....
٢٧	المبحث الثاني: الفرق بين الحمد والمدح .....
٣٠	المبحث الثالث: الفرق بين الحمد والشكر .....
٣٥	المبحث الرابع : دلالة الحمد على إثبات الكمال
٤٠	الباب الأول: الفصل الثاني : أنواع الحمد .....
٤٢	المبحث الأول : أنواع الحمد باعتباره المحمود .....
٤٢	حمد الله على إحسانه إلى عباده .....
٤٦	أركان الشكر .....
٥٢	حمد الله على ما يستحقه من الكمال .....
٥٦	المبحث الثاني: أنواع الحمد باعتبار الحامد .....
٥٨	المطلب الأول: حمد الله تعالى لنفسه .....
٦٨	المطلب الثاني: حمد المخلوقات لله تعالى .....
٧٨	حمد الجمادات .....

الصفحة	
٨١	الفصل الثالث: فضائل الحمد .....
٨٣	المبحث الأول: أدلة فضل الحمد .....
٨٥	المطلب الأول: أدلة فضل حمد الله تعالى من الكتاب .....
٩٣	المطلب الثاني: أدلة فضل حمد الله تعالى من السنة .....
١٠٥	المبحث الثاني: المفاضلة بين التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل .....
١١٢	الباب الثاني: وجوه استحقاق الله تعالى للحمد والمواطن التي يتأكد فيها الحمد .....
١١٣	الفصل الأول: أدلة إثبات الكمال لله تعالى وحمد الله على أفعاله وأسمائه وصفاته وألوهيته .....
١١٤	المبحث الأول: أدلة إثبات الكمال لله تعالى .....
١١٥	الأدلة النقلية على إثبات الكمال .....
١٢٢	الأدلة العقلية على إثبات الكمال .....
١٢٨	المبحث الثاني: حمد الله تعالى على أفعاله .....
١٣٠	المطلب الأول: أفعال الله كلها خير .....
١٣٩	المطلب الثاني: الحكمة في أفعال الله تعالى .....
١٤٠	أنواع الحكمة .....
١٤٣	أدلة إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى .....
١٥٤	المبحث الثالث: حمد الله على أسمائه .....
١٥٦	المطلب الأول: أسماء الله كلها حسنى .....
١٥٧	وجه كون أسماء الله حسنى .....
١٦٢	أسماء الله أعلام وأوصاف .....
١٦٤	الأدلة على اشتمال أسماء الله على معاني .....
١٦٩	أسماء الله حقيقية .....
١٧٣	أسماء الله غير مخلوقة .....

الصفحة	
١٧٥	الأدلة على أن أسماء الله غير مخلوقة .....
١٧٨	أسماء الله توقيفية .....
١٨٣	الأوصاف التي تتضمنها الأسماء الحسنى .....
١٨٥	دلالات أسماء الله الحسنى .....
١٨٨	أسماء الله غير محصورة .....
١٩٠	معنى من أحصاها دخل الجنة .....
١٩٣	حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى .....
١٩٦	المطلب الثاني: الحميد اسم من أسماء الله تعالى .....
٢٠٠	اقتران الحميد بالمجيد .....
٢٠٢	اقتران الحميد بالغني .....
٢٠٣	اقتران الحميد بالولي .....
٢٠٤	اقتران الحميد بالعزير .....
٢٠٥	اقتران الحميد بالحكيم .....
٢٠٧	المبحث الرابع: حمد الله تعالى على صفاته العليا .....
٢٣٧	المبحث الخامس: حمد الله تعالى على ألوهيته .....
٢٥٠	الأدلة على إثبات توحيد الألوهية .....
٢٦٢	الفصل الثاني: المواضع التي يتأكد فيها حمد الله تعالى .....
٢٦٤	المبحث الأول: حمد الله تعالى في الصلاة .....
٢٧٠	المطلب الأول: حمد الله في دعاء الاستفتاح .....
٢٨٨	المطلب الثاني: حمد الله في ركن القراءة .....
٢٩٧	المطلب الثالث: حمد الله بعد الرفع من الركوع .....
٣٠٥	المطلب الرابع: حمد الله في الركوع السجود .....
٣١٤	المبحث الثاني: أوقات أخرى يتأكد فيها حمد الله .....
٣١٦	المطلب الأول: حمد الله في خطبة الحاجة .....

الصفحة	
٣٢٥	المطلب الثاني: حمد الله بعد الفراغ من الأكل.....
٣٣٨	المطلب الثالث: حمد الله عند وقوع الضراء.....
٣٤٣	المطلب الرابع: حمد الله تعالى عند العطاس.....
٣٥٠	الباب الثالث: الرد على المفاهيم الخاطئة في الحمد.....
٣٥١	الفصل الأول: الرد على حمد المعطلة.....
٣٥٧	المبحث الأول: تعريف التعطيل لغة واصطلاحاً.....
٣٦١	المبحث الثاني: نشأة مقالة التعطيل.....
٣٦٤	المبحث الثالث: الرد على شبهة المعطلة في الحمد.....
٣٨٩	الفصل الثاني: الرد على حمد المعتزلة.....
٣٩١	المبحث الأول: تعريف المعتزلة.....
٣٩٤	المبحث الثاني: نشأة المعتزلة.....
٣٩٨	المبحث الثالث: الرد على شبهة المعتزلة في الحمد.....
٤١٥	الفصل الثالث: الرد على حمد الجبرية.....
٤١٨	المبحث الأول: تعريف الجبرية.....
٤٢٤	المبحث الثاني: نشأة الجبرية.....
٤٢٧	المبحث الثالث: الرد على شبهة الجبرية في الحمد.....
٤٤٠	الخاتمة.....
٤٤٢	الفهارس.....